الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر – باتنة1
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

بناء الأسلوب في تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن"

– آيات القصص أنموذجا –

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي

إعداد الطالب:
عبد الرحمـن جودي

إشراف الأستاذ الدكتور:
بلقاسم بلعـــرج

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د محمد بوعمامـــة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة1	رئيسا
أ.د بلقاسم بلعـــرج	أستاذ التعليم العالي	جامعة قالمة	مشرفا ومقررا
أ.د لخضر بلخيـــر	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة1	عضوا مناقشا
أ.د رشيد شعـــلال	أستاذ التعليم العالي	جامعة قالمة	عضوا مناقشا
أ.د بشير إبريـــر	أستاذ التعليم العالي	جامعة عنابة	عضوا مناقشا
د. ابتسام بن خـــراف	أستاذ محاضر "أ"	جامعة باتنة1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015 – 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾

(المؤمنون/29)

إهداء

إلى الوالدين الكريمن "أمّي" و"أبي" اللذين حُرما تركيب الحروف وفكّ رموز الكتابة ...

إلى شريكة الحياة التي كانت لي المآزر والمحفز ساعة وهن العزيمة...

إلى أبنائي الودودين: رزان، وتسنيم، وعبد الرحيم الذين شغلت عنهم في فترة من العمر هم أحوج ما يكونون إلى الرّعاية الأبوية...

إلى الإخوة والأخوات ومن سار في ركابهم..

إلى من سار في درب العلم: معلّما ومتعلّما أو مسدّ يدّا...

أهدي هذا الجنى

شكر وعرفان

أحمد الله العظيم الذي هدى ووفق وأرشد.

أتوجه بالشكر إلى أصحاب الفضل علي، وأولهم الأستاذ الدكتور بلقاسم بلعرج الذي أشرف على هذا العمل ولم يبخل بجهد أو نصيحة، ذاكراً له ما حييت خلقه العالي وتواضعه الجمّ، فجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

وأوجّه شكري إلى أساتذتي الأجلاء أعضاء لجنة القراءة على تفضّلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة، ولما تجشّموه من عناء في القراءة، وتسجيل الملاحظات السّديدة.

وأحبّ أن أوجّه شكري إلى زملائي بجامعة قالمة على ما أبدوه من اهتمام، وعلى ما أسدوه من النصائح التي كانت ليّ محفّزا.

وكما أشكر – أيضا - أصدقائي على ما بذلوه من جهد ومساعدة، وأخص بالذكر منهم الأستاذ مقران فصيح والأستاذ يزيد مغمولي اللذين قضيا من وقتهيهما في مراجعة المخطوطة.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى أسرة جامعة باتنة عامة وقسم اللغة العربية وآدابها خاصة الذي احتضن هذا العمل.

فلهم منّي جميعا العرفان بالفضل والجميل، والدعاء بالخير والبركة.

عبد الرحمن جودي

المختصرات والرموز

المختصر	الكلمة الكاملة
مج	مجلد
ج	الجزء
ص	الصفحة
م	سنة ميلادية
هـ	سنة هجرية
ع	عدد المجلة
ط	الطبعة
(د.ط)	من دون طبعة
(د.ن)	من دون ناشر
(د.ت)	من دون تاريخ الطبع
(د.م)	من دون مكان الطبع
ت	المتوفى
ف	فعل
فا	فاعل
مف	مفعول

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمد سيّد المرسلين وعلى آله الطّيبين وأصحابه المنتجبين، وبعد:

أثارت مؤلفات سيّد قطب جدلا كبيرا في العالمَيْن العربي والإسلامي، وأقبل كثير من الكتاب والمفكرين على كتبه؛ يمدحونها ويأخذون منها، أو يردّون عليها ويُورِدون بعض الملحوظات التي لا يرضونها. وعُدّ "سيد قطب" في بداية حياته العلمية مفخرة من مفاخر "دار العلوم"، قبل أن يذيع صيته وتتهافت عليه الصحف والمجلات، وتقرّر بعض كتبه في المناهج الدراسية. ولم تكن كتبه الدّينية بأقلّ شهرة من كتبه الأدبية والنّقدية، إذ تبنّت بعض الحركات الإسلامية كتبه، وتثقّف بها أتباعها ومؤيدوها.

أمّا كتابه "في ظلال القرآن"، الذي سلك فيه منحى جديدا في تفسير القرآن مغايرا لغيره من التّفاسير التي سبقته؛ فهو عمل يتميّز بالبيان المشرق، والأسلوب السّهل الممتنع، وزاد عمّا زخرت به كتب التّفاسير المعروفة من الإغراق في البحوث اللغوية والفقهية والكلامية والفلسفية .. في بيان ما اشتمل عليه من نُظم اقتصادية واجتماعية وسياسية، لا نكاد نجدها في تلك المؤلفات، على قيمتها وجلالتها، ومع شدّة الحاجة إليها.

وعدَّ بعضُ الدَّارسين صاحبَ "الظِّلال" مؤسِّسَ مدرسة جديدة في التفسير؛ ومسوِّغُ ذلك عند أغلبهم، رَبْطُه النُّصوصَ القرآنية بالواقع، واصطباغ الكتاب بأسلوب أدبيٍّ مؤثِّر، وبخاصة أنّ "سيّدًا" قد حظيَ بتربيةٍ دينية وحفِظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة، وتأرجح في مراحل حياته بين مجالات مختلفة؛ من الأدب إلى النّقد، إلى الفكر الإسلامي، ساعيا ليحقّق طموحه الأدبي والنّقدي والفكري والدّعوي. فهل كان لذلك كلّه أثرًا في بناء أسلوبه الذي جسَّد به أفكاره ومشاعره ورؤاه؟

وللوقوف على ذلك، قد منَّ الله عليَّ بحوله الكريم بالاهتداء إلى دراسة هذا التّفسير متخيّرًا من بين العناوين: "بناء الأسلوب في تفسير سيّد قطب (في ظلال القرآن) —آيات القصص أنموذجا —"، بُغية الوقوف على ما فيه من أبنية أسلوبية تميّزه، وعلى الدور الإبداعي –الواعي– الذي جنح إليه "سيد" في اختياراته التّعبيرية؛ ساعيا من وراء ذلك إلى إيصال أفكاره ومواقفه بلغة تُرضي طموحه وتَلقى استجابة المتلقي.

وقد كان لكتابه (في ظلال القرآن) نصيبٌ وافرٌ من اهتمام الباحثين؛ فدرسوا حياة صاحبه دراساتٍ عديدةً ومتنوّعةً مستعرضين سيرتَه، ومنقّبين عن سماتِ شخصيتِه، سعيًا للكشفِ عن هويّتِه واستكناه السرّ الكامن وراء هذا الإنجاز العظيم في الظّروف الصّعبة التّي عاشها من دون أنْ تفترَ عزيمتُه؛ لكن على كثرة التّصنيفات في دراسة هذا التّفسير وتنوّعها، لم تتطرق أيُّ دراسةٍ – فيما وقفت عليه – إلى خصائص لغته وبناء أسلوبه. ولعلّ بحث هذا الجانب يُسهم في أنْ يكون هناك توازنٌ بين ما ذُكِر من الجوانب السّابقة الذّكر، وبين ما أرومُ بحثَه.

وقد ارتأيتُ أنْ اختار المقاربة الأسلوبية اللسانية سبيلا لتحقيق هذه الدّراسة، اعتمادا على دراسة الطريقة التي يتشكّل منها خطابه، وإظهار العلاقات التي تحكم بناءه لأجل الوقوف على الخصائص التي تُعطي بناء أسلوب "سيّد قطب" تميّزًا وتفرّدًا.

واقتضى منّي هذا المنْحَى أنْ أجسِّد الدّراسة في مقدمّةٍ ومدخل وأربعة فصول وخاتمة. وقد تناولت في المقدمة أهمية المدوّنة المختارة، وإشكالية البحث، والمنهج المتبّع، والخطة المتّبعة، وذكرت بعض الدراسات التي دارت حول المدوّنة وصاحبها.

وتطرّقت في المدخل إلى التعريف بـ "سيّد قطب" من خلال الوقوف عند محطات حياته، والمنعرجات الحاسمة في تطوّر فِكرِه، مع فتْحِ نافذَةٍ على مؤلفاتِه للإبراز التنّوع والوفرة في نتاجه، وبعد ذلك سلّطت الضّوء على تفسيره "في ظلال القرآن"، بتتبّع المراحل التي مرّ بها والملابسات التي شابته حتّى اكتمل بين دفتين، مع التّعريج على آراء

بعض العلماء والمفكرين ممّن أدلوا بآرائهم فيه وفي كتابه مدحًا أو قدحًا. وختمتُه بتوطئة في الإجراء المنهجي المتبّع في المدونة، بأنْ بسطْتُ الكلامَ في مصطلحَيْ البناء والأسلوب والعلاقة بينهما.

أمّا في الفصول، فقد تناولت في الفصل الأول: أسلوب التوازي؛ واستهللته بتأسيس نظري للتوازي، وأعقبته بصور أبنية أسلوب التوازي في المدونة، ومن ثَمَّ قسّمت الفصل إلى أربعة عناصر: التّوازي المتطابق، والتّوازي المتماثل، والتّوازي المتقابل، والتّوازي المتوقع.

وخصّصت الفصل الثاني لأسلوب التّقديم والتّأخير، ومهّدت له بتوطئة نظرية حدّدت أبعاده، وتعرّضت لآراء النّحاة والبلاغيين والأسلوبين، ولقيمته التّعبيرية، ثمّ انتقلت إلى التّطبيق على ما ورد في المدوّنة من تقديمٍ وتأخيرٍ، بدْءًا بتقديم عناصر الجملة الاسمية، فعناصر الجملة الفعلية، ثمّ عناصر شبه الجملة.

ودرسْتُ في الفصل الثالث أسلوبَ الاعتراض؛ فعرضْتُ مفهومَه بين النّحاة والبلاغيين وملابسات تداخل المصطلحات وتعدّدها، وأعقبتُه بتطبيقٍ على المدوّنة، ورتّبتُه وفْقًا لهذا التّرتيب: الاعتراض بين عنصُرَيْ الجملة الاسمية، فالاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية، ثمّ الاعتراض بين شقَيْ التّركيب التلازمي.

وخصّصتُ الفصل الرابع لأسلوب الحذف؛ فاستهللته –كسابقِيه– بتأسيس نظري، ثمّ درست أسلوب الحذف في المدونة وفق هذه العناصر: حذف المبتدأ، وحذف الفعل، وحذف المفعول به، وحذف الاسم الموصول، وحذف المعطوف، وحذف الموصوف، وحذف المضاف، وحذف التركيب، وحذف ما تعلّق به وترك ما يدل عليه، وحذف النّاسخ، وحذف الجارّ والمجرور، وحذف الجارّ.

وقفوت الفصول بخاتمة عامة تضمّنت أهم النتائج المتوصّل إليها.

وفي أثناء دراستي هذا التّفسير اعترضتْني عقباتٌ عدّة أوجزها في النّقاط الآتية :

أولا- اتّساع المدوّنة التيّ تتكوّن من ستّة مجلدات، ممّا جعلني أعدّل في مجال البحث وأكتفي بتفسيره آيات القصص القرآني؛ عندما تبيّن لي أنّه المجال الذي يتجلّى فيه أسلوب "سيد قطب" بصورة أوضح؛ إذ ينطلق في التّعبير مستحضرًا خبراته المعرفية ومدخراته، وما أُوتيَ منْ خيالٍ ومنْ مقدرةٍ بيانيةٍ تَستدْعِيها مقاماتُ القصصِ القرآني. في حين نجدُه في غيرِ هذا، قدْ يلجأ إلى تفسيرِ الكلمة بأختها، فَتَقِلُّ درجةُ الانزياح الأسلوبي.

ثانيا- المراجع الأسلوبية التي تدرسُ الظواهرَ الأسلوبيةَ المرصودة في المدونة تعتمِدُ على دراسةِ الشّعرِ في غالبِها، ومن الصّعوبة إسقاطُها على النّثر، لما بينهما من اختلافاتٍ وفروق.

ومن الدّراسات السّابقة — وهي كثيرة- التّي تطرّقت إلى فكر "سيّد قطب" وإبداعه، أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- "عبقري الإسلام سيّد قطب الأديب العملاق والمجدّد الملهم في ضوء آثاره وإنجازاته الأدبية" لسّيد بشير أحمد كشميري، قدّمه الباحث إلى المعهد المركزي للّغة الإنجليزية واللّغات الأجنبية بحيدرآباد بالهند للحصول على الدكتوراه.

- "ظهور داعية إسلامي: التّطور الفكري عند سيّد قطب" لعدنان أيوب مسلم، قدّمه الباحث إلى جامعة ميتشغان الأمريكية للحصول على الدكتوراه.

- "سيد قطب فكره وأدبه" لسميرة فياض، قدّمته الباحثة إلى جامعة مانشستر للحصول على الدكتوراه.

- "مع سيّد قطب في فكره السياسي والدّيني" لمهدي فضل الله، قدّمه الباحث إلى جامعة السربون بفرنسا للحصول على الدكتوراه (1976م).

- "سيد قطب الناقد الأدبي" أحمد البدوي، قدّمه الباحث إلى جامعة الخرطوم للحصول على الدكتوراه.

كما دُرس تفسير "في ظلال القرآن" ذاته بغية حصر المنهج الذي توسّله صاحبه في تفسيره، وتحديد الخصائص التّي تميّزه في خضم التّراث الزّاخر بالتّفاسير لأجل تقويمه وتصنيفه في مدرسة من مدارس التّفسير، واستكناه ما فيه من درر يَفيد منها طلّابُ العلم، أو تحذيرهم ممّا فيه من الهنات التّي يمكنها أنْ تشكّل خطرا على عقيدتهم. ومن أمثلة هذه الدّراسات:

- "في ظلال القرآن دراسة وتقويم"، لصلاح عبدالفتاّح الخالدي، وهي دراسة أكاديمية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرّياض، وهي شاملة لكلّ من المنهج الذي سار عليه المفسِّرُ في تفسيره، والحكم عليه والتّعريف به وبطبعاته المختلفة، كما ذكر عدّة فروق وقعت بين الطّبعات القديمة والطّبعات الحديثة في حياة المفسّر وأثر ذلك في التّفسير ومنهجه.

- "تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن" لعلوي بن عبد القادر السَّقَّاف، حقّق فيه الأحاديث الواردة في الظلال.

- "في ظلال القرآن لسّيد قطب دراسة أدبية" لأحمد السّعيد أحمد شلبي، قُدمت للحصول على درجة الماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور محمود حامد زلط القصبي بكلّية اللّغة العربية بجامعة طنطا بمصر.

- "المقاييس البلاغية في كتاب في ظلال القرآن لسيّد قطب استقصاء وتأصيل" لصلاح محمود شحاتة، وهي دراسة تحصّل بها على درجة الدكتوراه سنة (1977)م، بإشراف الدكتور صادق إبراهيم خطاب بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة.

- "في ظِلال سيّد قطب –رحمه الله– لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري" للدكتور وصفي عاشور أبوزيد.

غير أنيّ ألفيت دراسة تفسير "في ظلال القرآن" من حيث الأسلوب واللغة عمومًا يكاد يكون مهجورًا بين البحوث والدراسات والمصنّفات؛ ممّا شجّعني على الإدلاء بدلوي في هذا المجال لعلّني أُسهم بشيء ذي بال.

وفي آخر المطاف، إنّي لأرجو أنْ يُحظى عملي - هذا- بالقبول، وأنْ يُسهم في إثراء مكتبة الدّراسات اللغوية، فإنْ كنت أحسنتُ، فذلك من عميم مِنَنِ الله تعالى وجزيل فضله وعظيم أنعمه عليّ، وإنْ أنا أخطأتُ أو قصّرتُ، فما أجْدرَ الإنسان بالإساءة والعيوب إذا لم يُعصمْه الحفيظ. ولله درُّ القائل: (البسيط)

وما أُبرّئ نفسي إنّني بشـرٌ أسْهو وأخطِئُ ما لم يَحمِني قَدَرُ

ولا ترى عُذرًا أوْلى بِذِي زَلَلٍ مِنْ أنْ يقُــولَ مُقِـرًّا إنّني بَشَـرُ

ويتوجّب عليّ أنْ أتوجّه بالشّكر الجزيل – لا يشكرُ الله منْ لا يشكرُ النّاس- إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بلقاسم بلعرج الذي تعهّد البحث وصاحبه بالرّعاية، ولم يدّخر جُهدا في الحثّ وشحذ العزيمة، وكذا تقديم يد العون باستمرار إلى أنْ آل هذا البحث إلى خاتمته.

ولا أنسى في هذا المقام أنْ أتوجّه بالشّكر –أيضا- إلى شرذمة من الأصدقاء ممن تجشّم عناء مراجعة مسوّدة البحث، ومن كان لي نعم العون ونعم السّند.

والله الموفّق

عبد الرحمن جودي

السبت 29 جمادى الآخرة 1436 للهجرة

الموافق لـ 18 أفريل 2015 للميلاد

مدخل

في المدونة وصاحبها والإجراء المنهجي

1-التعريف بصاحب المدونة

2-التعريف بالمدونة

3-البناء والأسلوب والعلاقة بينهما

أولا: التعريف بصاحب المدونة

1- مولده:

هو سيّد قطب إبراهيم حسين الشّاذلي، وُلد في التاسع من شهر أكتوبر لسنة ست وتسع مئة بعد الألف الميلادية[1]، بإحدى قرى محافظة أسيوط (بصعيد مصر)، تُدعى (موشة)، كما تنسب إلى أحد أوليائها، فيطلق عليها بلدة الشّيخ عبد الفتّاح[2]، الذي أقيم له فيها مقام.

وأبوه هو إبراهيم قُطْب صاحب الوجاهة بين قومه، والذي ورث مالا طيّبا كان ينفقه في الارتزاق، وفي الإغداق على أبناء بلدته لأجل المحافظة على مكانة الأسرة بين نظيراتها من أسر القرية[3]. ولقد كان رجلاً متديّناً مرموقاً بين سكان القرية، يهتم بزراعة أراضيه ويعطف على الفقراء منهم ويبرّهم، وكان عضوًا في لجنة الحزب الوطني الذي كان يرأسه مصطفى كامل.

وأمّا أمّه، فكانت -أيضا- من أسرة ذات وجاهة في القرية، وكانت متديّنة، وكريمة ساعية في عمل الخير، تُعِدّ الطعام بنفسها للمزارعين، ولطلبة العلم الذين يأتون لحفظ القرآن في بيتها[4]، فتتقرّب إلى الله بهذه الأعمال، وتكون راضية النّفس، ولا تكلّ في ذلك المسعى ولا تملّ.

أمّا عن بقية أفراد الأسرة؛ فلقد تزوّج والده زوجتين: ورزقه الله من الأولى ابنًا، ومن الثانية خمسة أبناء (نفيسة، سيّد، أمينة، محمّد، حميدة)، وكان إخوة "سيّد" الصّغار يشاطرونه الكثير من آرائه التّي تجسّدت - فيما بعد - في التّأليف الجماعي للخواطر

(1) - الخباص (عبد الله عوض)، سيد قطب الأديب الناقد: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر.(د.ت). ص79.

(2) - سيد قطب، طفل من القرية: (د.ن). ط4، 1967م. ص87.

(3) - الخالدي (صلاح عبد الفتاح)، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت. ط2، 1994م. ص31.

(4) - الخباص، سيد قطب الأديب الناقد: ص82.

المحرّرة في كتاب (الأطياف الأربعة)[1].

2- نشأته:

تلقى تعلمه في المرحلة الابتدائية وهو في السادسة من عمره، كما صمّم على حفظ القرآن الكريم وهو صبي من باب التّحدي[2]، على ألاّ تمنعه الدّراسة في المدرسة المدنية، وقد تمّ له ذلك لمّا أدرك المستوى الرابع الابتدائي.

كان سيّد في صباه مولعاً بالقراءة والمطالعة، فكان أبوه يخصص له مالا يستغله في اقتناء الكتب، ولمّا لا يُوفِّر ما يكفي من مال يستعير كتابا من بائع الكتب - وقد تكوّنت بينهما صداقة - ليقرأه ثمّ يعيده في الأسبوع الموالي، فاستطاع أن يكوّن مكتبة صغيرة تضم حوالي خمسة وعشرين كتاباً - وكانت هذه المكتبة الصغيرة هي المكتبة الوحيدة في قرية " موشة " آنذاك- ومن الكتب التي كان مولعاً بقراءتها إلى درجة العشق نذكر: البردة، وسيرة إبراهيم الدّسوقي، والسّيد البدوي، وعبد القادر الجيلاني، ودعاء نصف شعبان(*)، ودلائل الخيرات... [3].

ولعدم وجود مؤسسة تعليمية عُليا بقريته، اضطّر سيد قطب إلى السّفر إلى القاهرة سنة (1920م) لمتابعة دراسته، وأقام ببيت خاله "خالد أحمد حسين عثمان" الذي كان أستاذاً في جامعة الأزهر، ودخل معهد إعداد المعلمين للمرحلة الابتدائية.

---

(1) - مهدي فضل الله، مع سيد قطب في فكره السياسي الديني: مؤسسة الرسالة، بيروت. 1978م. ص43.

(2) - ذلك أنّ مدرس القرآن فُصل من عمله، فأشاع أن الدولة تحارب القرآن وطالب أهل القرية بسحب أولادهم من المدرسة وتحويلهم إليه في كُتّابه، ووافق بعض أولياء الأمور ومنهم والد سيد، ودرس سيد اليوم الأول فلم يعجبه الكُتّاب ورجع إلى المدرسة، وصار يحفظ في كل سنة عشرة أجزاء في منزله.

(*) - يتّخذ السلفيون من هذه الكتب دليلا على النيل من سيد قطب بأنّه رضع منذ صغره أفكارا مملوءة ببدع الصوفية والعادات البالية. ينظر على سبيل المثال رأي محمد ناصر الدين الألباني:

- السّناني (عبد الله بن عصام)، براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة: مكتبة الفرقان، عجمان، الإمارات. ط2، 1424هـ. ص34.

(3) - سيد قطب، طفل من القرية. ص127.

وبعد مرور ثلاث سنوات، تخرج من المعهد بامتياز، وحصل على إجازة التّعليم في المدارس الابتدائية.

لكن ذلك لم يشبع نهمه، وأراد مواصلة التّحصيل العلمي، فالتحق بتجهيزية دار العلوم. وفي سنة (1933م) حصل على شهادة البكالوريوس في الآداب من كلية دار العلوم. وقد تميّز عن أقرانه من طلاب الجامعات، بالفاعلية والجدية، فلا يتهيّب من الدّخول في جدل ومناقشات مع الأساتذة في كافة المجالات العلمية والاقتصادية، حيث كانوا ينظرون إليه بإعجاب وسرور، لما يرون فيه من نباهة[1].

وفي أحد الأنشطة التي دأبت الجامعة على تنظيمها، شارك سيد قطب بمقالة أدبية نالت إعجاب أستاذه "محمد مهدي علاّم" الذي علّق على الموضوع قائلا: « إنّه لو لم يكن لي تلميذٌ سواه، لكفاني ذلك سروراً، وقناعة، واطمئنانًا إلى أنّني سأُحَمِّل أمانة العلم والأدب، منْ لا أشكّ في حسن قيامه عليها. يعجبني في كاتب هذه المحاضرة، جرأتُه الحازمة، التي لم تَسْفُهْ، فتصبحَ تهوّرا، ولم تذِلَّ فتغدو جبنًا وإنّ هذه الجرأة الرشيدة التي دعته إلى الاستقلال برأيه في بحثه — حتى لو خالفنا في بعض ما نعتقده من الآراء الأدبية – لهي التي تجعله أحبَّ إلى قلوبنا...»[2].

وقد عمل سيد قطب مدرّسا حوالي ست سنوات، كما شغل عدّة وظائف في وزارة المعارف. أمّا عن رحلته العلمية إلى أمريكا، فيمكن أنْ نقول إنّه توفّر عاملان هيّـئا له الجوّ المناسب، هما:

1- نشاطه الفائق، وتفانيه في عمله، فضلا عن العلاقة الحسنة التّي تربطه بـطه حسين – وزير التربية آنذاك – من خلال وظائفه في دار المعارف.

(1) – وصفي عاشور أبو زيد، في ظلال سيد قطب "لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري": صوت القلم العربي، مصر. ط1، 2009م. ص20.

(2) – سيد قطب، مهمّة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر: منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا. ط1، 1996م. ص7.

2- أفكاره التّي تخالف التّوجه العام: فقد كان دائم الانشغال والتّفكير في قضايا وطنه؛ حيث انتهى به الأمر إلى حصر ما حلّ بالبلاد من فساد وفقر وطبقية إلى عدّة أسباب؛ منها: الاستعمار الإنجليزي الذي أحكم سيطرته على مصر، والحكومة المصرية الموالية للإدارة الاستعمارية والتي تحرص كلّ الحرص على إرضائها على حساب مصلحة المواطنين وحاجاتهم الضّرورية، يضاف إلى ذلك أنانية الأحزاب السّياسية التّي تسعى لتحقيق المصالح الضّيقة بارتمائها في أحضان الاستعمار، والرأسماليون الذين لا يفكرون إلاّ في الرّبح والمصالح الفردية .

هذه الانشغالات كلّها ضمنّها مقالات تُنشر في المجلات التّي كانت تصدر في ذلك الوقت، لكن كانت كلّ مجلة أو صحيفة تنشر له مقالاً مآلها الإيقاف عن الصّدور، مما سبّب حرجا كبيرا للمسؤولين، فعنّ لهم مخرج سلس؛ إيفاده في بعثة وظيفية إلى أمريكا[1].

بدأ "سيّد" رحلته وتساؤلات كثيرة تطوف في خاطره لما له من أفكار مسبقة عن أمريكا، ومن ثمّ خلص إلى أنّ هذه الرّحلة هي ابتلاء من الله وصمّم على أن يحافظ على شخصيته، وأن يستفيد مما في الحضارة الغربية من إيجابيات، لذلك لما حلّ بـ" نيويورك" باشر العمل الذي أوكل إليه دون تأخير، فكان مثابرا في عمله، يحرص على تنفيذ مخطط عمله اليومي؛ يتّصل بالمدارس الأمريكية، ويرصد ما يلزمه من بيانات عن النّظام التّعليمي في أمريكا[2].

دامت إقامته في أمريكا سنتين، تابع خلالها ما يتداول في الصّحف اليومية والإذاعة والتلفزيون، وتوصّل إلى نتيجة أنّ أمريكا لديها نوايا مبيّتة للحدّ من الهيمنة

(1) – حقّقت الحكومة المصرية بقرار إرسال سيد قطب إلى أمريكا أمرين:
–الأول: إبعاده عن الوسط العلمي والثقافي المصري، وبالتالي تتفادى تأثيره على الرأي العام لصالح الحركة الإسلامية.
–الثاني: تعريضه لتأثير الثقافة الغربية فترة إقامته في أمريكا ، مما يجعله يعدّل أفكاره ويعرض عن معاداتها، وقد يتبنى أفكارها.

(2) – سيد قطب، الحياة في ظلال القرآن: مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر. ط4، 2011م. ص18.

الإنجليزية على دول الشّرق الأوسط، كي تبسط نفوذها بطرق جديدة. وقرّر أن يفضح المشروع الأمريكي من خلال توعية النّاس، وتنوير الشّباب للتصدّي له.

عند عودته من أمريكا سنة (1950م)، أسند إليه منصب معاون مكتب وزير التّعليم والمعارف، ولكن لم تحقق أهداف المسؤولين المبيّتة، إذ عاد "سيّد" وكلّه عزم وإصرار على التصدّي للاستعمار ومخططاته[1]؛ فبعد فترة وجد أنّ النّضال الثّقافي من داخل الجهاز الحاكم لا يوصل إلى نتيجة، وقرّر الاستقالة من المنصب الذي يشغله ليتمتّع بحريّة أكبر في النّشاط والتّعبير. وكأنّ السّحر قد انقلب على السّاحر (النظام السياسي) ولا يفلح ساحر حيث أتى!

كلّ ذلك كان بداية لمرحلة جديدة من حياته مع المعاناة والسّجون؛ فاعتُقل سنة (1954م) مع مجموعة كبيرة من قاده "الإخوان المسلمين" عقب اتّهام الجماعة بمحاولة اغتيال "جمال عبد الناصر" فى حادثة المنشية، وحُكم عليه بالسّجن لمدة خمس عشرة سنة، وتمّ الإفراج عنه سنة (1964م) بعد مرور عشر سنوات لـمّا تدهورت حالته الصّحية، ليعود إلى السّجن في السّنة الموالية (1965م) بتهمة قيادة تنظيم مسلّح يحاول قلب نظام الحكم، هذه التّهمة التي وضعت حدّا لحياته، حيث تمّ إعدامه يوم: 1966/8/29م[2].

(1) – وصفي عاشور أبو زيد، في ظلال سيد قطب "لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري": ص21.

(2) – المرجع نفسه، ص24.

3- مراحل التّطور الفكري

يقسّم الدّارسون حياة سيد قطب إلى مراحل، تختلف كلّ مرحلة عن الأخرى بسمات فكرية معيّنة :

- **المرحلة الأولى :**

تحدّد بالفترة الزّمنية الممتدّة من ولادته إلى سنة (1919م)، وهناك من يدمجها في المرحلة الموالية لها. وما يمكن القول عن هذه الفترة، إنّها تحدّد بداية حياته في بيئته: البيتِ والقريةِ قبل دخوله دار العلوم. وقد امتازت بالتّربية الدّينية التي أفادها من والدته، وفي مدرسة القرية، وتوفيقه في حفظ القرآن الكريم وهو ابن العاشرة.

- **المرحلة الثانية:**

تحدّد بالفترة الزّمنية التي تمتد من سنة (1920م) إلى غاية سنة (1939م)، حيث تبدأ بسفره إلى القاهرة للدراسة والتحاقه بمعهد المعلمين، ثم مواصلة دراسته بكلية (دار العلوم) ليتخرج منها مُجازاً في اللغة العربية وآدابها. ويسميها "حسين بن محمود" طور التّيه والضياع الفكري، لما أصاب هذا الجيل من تأثيرات فكرية غربية[1].

ومن الأساتذة الذين كانت لهم أيادٍ سابغةٌ على سيد قطب: مهدي علام الذي قدّم لكتاب: "مهمة الشاعر في الحياة" قائلاً : « طالب يسرّني أن يكون أحد تلاميذي، فإنني أقول اليوم – وقد سمعت محاضرته – إنّه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سروراً، وقناعةً، واطمئنانًا ...»[2].

أما الوظائف التي شغلها بعد تخرجه فقد « عمل مدرّساً في مدارس وزارة المعارف ابتداء من سنة (1933م)، ثم انتقل إلى وزارة المعارف سنة (1940م) وعمل

(1) – حسين بن محمود، مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب: دار الجبهة للنشر والتوزيع. (د.م). شعبان 1429هـ. ص11.

(2) – سيد قطب، مهمة الشاعر في الحياة: ص7.

– وينظر: الخالدي (صلاح عبد الفتاح)، سيد قطب الأديب الناقد، والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد: دار القلم، دمشق. ط1، 2000م. ص 82- 83.

في عدّة مناصب : في مراقبة الثقافة وفي التفتيش »[1].

وتميّزت هذه المرحلة من حياته بإقباله على الاستزادة من العلم والاغتراف من ينابيع المعرفة التي شكّلت عصره، سواء أكانت عربية أم مترجمة عن اللغات الأخرى، وهذا ما جعله يتصدّر المشهد الفكري والأدبي مع كوكبة من فطاحل عصره، فصار يزاحم "طه حسين" و"عباس محمود العقاد" و"مصطفى صادق الرافعي" على صفحات الجرائد والمجلات و« أخذت مقالاته تظهر في نفس المجلات التي تنشر مقالات هؤلاء الكتاب الكبار»[2].

وأراد أن يثبت جدارته – في المشهد الفكري والأدبي– من خلال اشتراكه في تلك الحرب الكلامية التي قامت بين " العقاد" و" الرافعي" ومن دار في فلكيهما، وقد استغرب الكثير من الدّارسين انتصار سيد قطب للعقاد على حساب الرّافعي، حتّى طعن "محمود محمد شاكر" في تصرّف سيد قطب منبّها: « إن انتقاد سيد قطب لأدب الرافعي معناه مجابهة للدّين والتقوى والحياء »[3]؛ ذلك أنّهما مصنّفان معا في خانة ذوي التّربية الدّينية.

والحقيقة أنْ لا غرابة؛ لأنّ الاختلاف نبَعَ –أصلا– من اختلاف في شأن من شؤون الدّين، وهو إعجاز القرآن. فكان الرافعي يرى الإعجاز في القرآن أمرًا مؤكدًا، وجمع أفكاره بين دفتي كتاب وَسَمه بـ" إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، ونجد في الجانب الآخر العقاد ينتقد هذا الكتاب في سلسلة من المقالات تحت عنوان " ساعات بين الكتب " جُمعت بعد ذلك في كتاب، فسار فريق من النّاس في ركاب "الرافعي"، معتبرين وقفتهم وقفةً لكرامة القرآن في وجه من لا يقرّ إعجازه، وسار فريق في ركاب "العقاد" الذي ينتقد ما جاء في كتاب "إعجاز القرآن"، ومنهم سيد قطب الذي يتّهم "الرافعي"

(1) – حسين بن محمود، مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب: ص6.

(2) – فضل الله، مع سيد قطب في فكرة السياسي الديني: ص47.

(3) – المرجع نفسه، ص48.

وأنصاره بالتّصنع والبعد عن الواقعية.

لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحدّ، واتّسع بعد ذلك ليشمل التوجّهات الأدبية، وانتصر "سيّد" -بذلك- لمدرسة أدبية على أخرى[1]، ولم ينتصر للأشخاص؛ لذلك نجده يردّ على "إسماعيل الغمراوي" الذي شكّك في صدق إيمانه قائلاً: « إنّ الأدب والشّعر كالفنون ترجمة عن النّفس الإنسانية وإحساسها وآمالها ولا دخل للدّين فيه كما يتصوّر إسماعيل الغمراوي لأنّني أدرى من غيري بحقيقة الدّين »[2].

- **المرحلة الثالثة:**

تحدّد بالفترة الزّمنية التي تمتد من سنة (1939م) إلى سنة (1951م)، وفيها يبدأ توجّه سيد قطب نحو الدراسات الإسلامية، ويستهلّها بمقالة على صفحات مجلّة المقتطف بعنوان "التّصوير الفّني في القرآن" سنة (1939م)، يحاول فيها أن يبرز مظاهر الجمال والإعجاز في بعض الآيات القرآنية[3]، ليجمع أفكاره –بعد ذلك- في كتاب "التّصوير الفني في القرآن" نشره سنة (1945م)، وتلاه "مشاهد القيامة في القرآن" في السّنة نفسها، وفيهما يعترف بعبارة صريحة أنّهما ثمرة النّشأة الدّينية التّي نشأ عليها، وأنّ القرآن سَحَره بتناسقه العجيب وأفكاره المتسقة[4].

وتنفتح شهية "سيّد" بعد ذلك في الفكر الإسلامي، ويستقلّ برأيه في مسائل منها:

- في سنة (1946م) نشر عبد الله عليّ القصيمي كتابًا بعنوان "هذه هي الأغلال"، لاقى استحسانًا من العقاد وإطراءً من غيره، لكن "سيد" انتقده وانتقد من

(1) - نظر سيد قطب إلى المسألة من زاوية الفرق بين مدرستين أدبيتين (مدرسة العقل التي يمثلها الرافعي، ومدرسة القلب التي يمثلها العقاد) وليس من زاوية أمر يتعلق بالدين.

(2) - فضل الله، مع سيد قطب في فكرة السياسي الديني: ص17-48.

(3) - يمكن القول إنّ هذه المقالة كانت بداية انسلاخه الفكري عن فكر العقاد الذي أنكر إعجاز القرآن.

(4) - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن: دار الشروق، القاهرة. ط16، 2002م. ص7.
- ومشاهد القيامة في القرآن: دار الشروق، القاهرة، مصر. (د.ت). صفحة الإهداء.

أثنى عليه، ذلك أنّ القصيميّ يذهب إلى القول بأنّ روح التّدين تخالف روح الحياة، وأنّ المتديّن لا يمكنه أنْ يكون رجلَ دنيا، فضلا عن عدّ الإسلام سببا في تأخّر العرب والمسلمين.

– وفي السنة نفسها (1946م) انتقد الحضارة المعاصرة قائلاً بأنّها حضارة مادية خاوية من القيم الروحية.

– وفي سنة (1948م) ظهر كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام" الذي يهيب فيه بالعدالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام، والتّي لا يمكن أن تتحقق إلاّ في ظل النّظام الإسلامي، وأنّها الحلّ الوحيد للبشرية في ظلّ طغيان الرأسمالية وضلال الاشتراكية.

■ **المرحلة الرابعة:**

وتتحدّد بالفترة الزمنية الممتدة من سنة (1951م) إلى سنة (1965م)، يطلق عليها حسين بن محمود: "الطّور الإسلامي العملي الحركي"[1]، ويعدّها المؤرخون مرحلة النّضج الفكري والحركي لسيد قطب، ففيها تنقطع كتاباته الأدبية، وتنسجم أفكاره مع جماعة الإخوان المسلمين، ويزداد نضجاً وإدراكاً ووعياً وحركيّة. ويصل في هذه المرحلة إلى مقررات وحقائق جديدة، ويرتاد فيها مجالات جديدة، حتى وافاه الأجل[2].

4– مؤلفاته المطبوعة

ألّف سيد قطب ستةً وعشرين كتاباً، طُبع منها خمسةٌ وعشرون كتابًا في حياته، وطُبع الكتاب الأخير بعد إعدامه بعشرين سنة؛ وهو « مقومات التّصور الإسلامي»[3]. وتُدرج كتبه في مجالات مختلفة، ولهذا تأثير في أسلوبه وتفسيره، ويمكن أنْ نعرضها –هنا– مرتّبة وفق تاريخ إصدارها الأول:

(1) – حسين بن محمود، مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب: ص15.

(2) – فضل الله، مع سيد قطب في فكرة السياسي الديني: ص51–52.

(3) – الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ص523.

1. مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر (نقد)، 1934م[1].
2. الشاطئ المجهول (ديوان شعر)، 1935م.
3. نقد كتاب مستقبل الصحافة في مصر (نقد)، 1939م.
4. التصوير الفنّي في القرآن (نقد)، 1945م.
5. الأطياف الأربعة (خواطر)، 1945م.
6. طفل من القرية (سيرة ذاتية)، 1946م.
7. المدينة المسحورة (قصّة)، 1946م.
8. كتب وشخصيات (نقد)، 1946م.
9. أشواك (قصة)، 1947م.
10. مشاهد القيامة في القرآن (نقد)، 1947م.
11. روضة الطفل (قصص أطفال)، 1947م.
12. القصص الدينية للأطفال (قصص أطفال)، 1947م.
13. الجديد في اللغة العربية (مقرر دراسي).
14. الجديد في المحفوظات (مقرر دراسي).
15. النقد الأدبي: أصوله ومناهجه (نقد)، 1948م.
16. العدالة الاجتماعية في الإسلام (فكر)، 1949م.
17. معركة الإسلام والرأسمالية (فكر)، 1951م.
18. السّلام العالمي والإسلام (فكر)، 1951م.
19. في ظلال القرآن (تفسير).
20. دراسات إسلامية (فكر)، 1953م.
21. هذا الدين (فكر)، مطلع الستينات.
22. المستقبل لهذا الدين (فكر)، مطلع الستينات.

(1) – ذُكر هذا التاريخ في مقدمة الكتاب، وقد ذكر الخباص أنّه طبع سنة (1933م). ينظر: الخالدي، سيد قطب الأديب الناقد: ص232.

23. خصائص التصوّر الإسلامي ومقوماته (فكر)، 1962م.
24. الإسلام ومشكلات الحضارة (فكر)، 1962م.
25. معالم في الطريق (فكر)، 1964م.
26. مقوّمات التصور الإسلامي (فكر)، 1986م.

من خلال استعراض مؤلفات سيد قطب المتنوّعة التّي أنتجها في فترة زمنية قصيرة نسبيًا؛ وما تخلّلها من معاناة وظروف قاسية، وكان من أشدّها قسوة؛ فترة الاعتقال، تتبيّن المميزات الآتية:

- الغزارة في نتاجه.
- تنوّع كتاباته وتعدّد مجالاتها؛ فمن ذلك الكتابات الأدبية، والفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والدّينية (دعوية وحركية).
- سيطرة الحسّ الإسلامي على كتاباته.

ثانيا: التعريف بالمدونة

1- التّسمية:

وسم سيد قطب كتابه بعنوان « في ظلال القرآن »، وهذا العنوان لم يعْنُ له لحظة ولادة فكرة تأليفه فحسب، بل شغل حيّزا من فكره من قبل؛ وأعلن عنه عندما بدأ ينشر مقالاته في التّفسير على صفحات مجلة "المسلمون"[1]، على مدى الأعداد الممتدة من العدد الثالث إلى العدد التاسع[2]، وكان هدفه وقتذاك أن يضع قرّاءه في الصّورة، أنّ الإيمان بالقرآن يُلقي بظلاله على كلّ حياة المسلم، فأراد سيد أن ينقل بعضا من تجربته الخاصة في ظلال القرآن؛ لعلّها تكون نبراسا لغيره ممن ينشد الهدى ويسعى للحكمة أينما وجدها أخذها.

فهذا العنوان لم يكن وليد اللّحظة، ولاسيما أنّ "سيّدا" قد اختبر الكتابة الإسلامية من خلال عملين جادين كانا قد سبقا الظلال، يدخلان في مضمار مشروع كان قد عزم على تجسيده بعد أن خبِر ألوانا من الكتابات منذ أن كان طفلا يافعا؛ وهو مشروع المكتبة الإسلامية الذي افتتحه بكتابه "نظرية التّصوير الفني في القرآنّ" وثنّاه بكتاب "مشاهد القيامة في القرآن".

إنّها فكرة تخمّرت في ذهنه فترة من الزّمن حتى خرجت إلى الوجود، وأعلن عنها معبّرا عمّا وجده في تعامله مع القرآن الكريم، وما شعر به خلال تجواله بين معاني الآيات دونما حاجة إلى تصنّع أو تكلّف، كما أورد بقلمه في مقدمة كتابه: «...عنوان لم أتكلفه، فهو حقيقة عشتها في الحياة ... فبين الحين والحين كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن أعيش في ظل القرآن فترة، أستروح فيها ما لا أستروحه في ظل

(1) - "المسلمون" مجلة فكرية إسلامية شهرية، أصدرها: محمد سعيد رمضان البوطي في نهاية سنة (1951م). وعرض على سيد قطب أن يكتب فيها.

(2) - الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن: دار الشهاب، باتنة، الجزائر. (د.ت). ص41.

سواه...»[1]. وهذا ما يلامسه المتلقي حين يقرأ كتابه، فيلاحظ أنّ الكاتب يحلّق مع معاني الآيات بأسلوبه المتفتق، حتى يجعل المتلقي – بدوره – يعيش في هذا الفيض الروحاني.

إنّ معايشته للقرآن الكريم بدءا من نشأته الأولى في بيت يُتلى فيه القرآن بكرة وأصيلا، بحكم ميول الأسرة الصغيرة، فضلا عن البيئة القروية التي تبذل الغالي قبل غيره مما تملكه لأجل أنْ يحفظ الأطفال القرآن الكريم، خاصة وأنّ حافظ القرآن الكريم محلّ احترام وتقدير الأهل والخلان من جهة، ومؤهل لأن ينتقل إلى المدينة لأجل مواصلة الدراسة في المؤسسات الدينية أو المدنية التي تفتح أبوابها لمثل هؤلاء في ذلك الحين لتأمين مستقبلهم، من جهة أخرى.

وهو ما كان له، إذ حفظ القرآن — وهو في العاشرة من عمره – وواصل دراسته بدار العلوم التي منحته تكوينا علميا وأدبيا أهّله لأن يقارع أساطين الأدب والنّقد بله الفكر، ليجد نفسه –بعد ذلك– تُعرِض عن كلّ هذا شيئا فشيئا، لتنقاد إلى شيء شبّ عليه، وبقي شذاه يملأ عليه نفسه، إنّه الارتباط بالقرآن العظيم.

فبعد أن باشر مشروعه حول المكتبة الإسلامية في الأربعينات من خلال كتابيه "التّصوير الفني في القرآن" و "مشاهد القيامة في القرآن"، ضمّ إليهما – فيما بعد – كتاب "خصائص التّصور الإسلامي" وتفسيره "في ظلال القرآن" المثير للجدل في حياته ولازال كذلك إلى الآن.

وكتاب « في ظلال القرآن » فسّر فيه سيد قطب القرآن الكريم بطريقة خاصة ورؤية معينة؛ تصبو إلى معالجة أدواء المجتمعات الإسلامية المعاصرة له، وترغّب في التّمسك بالشريعة وإقامة حكم الله فيها، من خلال المقارنة بين محاسن الدّين ومعايب الجاهلية وأخلاقها ونظمها. وهو ما بوّأه أن يُعَدَّ من أهمّ تفاسير القرآن الكريم

(1) – الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن: ص83.

الحديثة[1]. وقد أشتُهر بين الدارسين والقرّاء بتسمية تختصر عنوانه في: « الظّلال ».

2- التّطور التاريخي لتفسير "الظلال":

كما سبق القول، لم يولد كتاب « في ظلال القرآن» جملة واحدة، بل كان تتويجا لأفكار اتّخذت طريقا طويلة حتى نضجت، والكتب - الآنفة الذّكر- كانت تمهيدا له؛ فسيد قطب كان في بداية حياته الفكرية الجديدة، وكان يحتاج إلى مران حتى تتخمّر الأفكار في ذهنه وبعد ذلك تكون الانطلاقة، فكثير من أفكار كتبه كان يجسدها في سلسلة مقالات على صفحات مجلّة من المجلات، وبمجرد أن تتّضح معالم الفكرة، وتصبح المادة كافية، تُقطع سلسلة المقالات وتجسّد بين دفتي كتاب[2]. يدلّنا على ذلك ما فعله مع العديد من كتبه في هذه المرحلة؛ نذكر منها للتمثيل:

- كتاب « **التّصوير الفني في القرآن الكريم**»: ظهرت فكرته في بداية الأمر في شكل مقال سنة (1939م) بمجلة المقتطف تحت عنوان: « التّصوير الفني في القرآن الكريم»[3]، الذي أراد من خلاله أن يظهر مواطن الإعجاز التّصويري في القرآن الكريم، بإبراز «القدرة القادرة التي تصوّر بالألفاظ المجرّدة، ما تعجز عن تصويره الرّيشة الملوّنة، والعدسة المشخّصة»[4]. وتوصّل إلى نتيجة فائدتها في قوله « وحين انتهيت من التحضير للبحث، وجدتني أشهد في نفسي مولد القرآن من جديد، لقد وجدته كما لم أعهده من قبل أبدا، لقد كان القرآن جميلا في نفسي نعم، ولكنّ جماله كان أجزاء وتفاريق، أمّا

(1) - تحاشى سيد قطب أنْ يطلق على كتابه اسم تفسير، ونزعه عنه الكثير من منتقديه.

(2) - كأنّ سيد قطب بتصرفه هذا (عرض أفكاره على جمهور المتلقين في شكل مقالات قبل طبعه في كتاب) يجسّ نبض المتلقي، إمّا لجانب نفسي يتمثل في خشية المغامرة، وإما لجانب تجاري يتمثل في الترويج للكتاب قبل طباعته فيحقق بذلك مطلبين: تنافس دور النشر على الظفر بطباعة الكتاب، وتهافت الجمهور الذي تابع سلسلة مقالاته.

(3) - ينظر: الخالدي، سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد: ص175. ومدخل إلى ظلال القرآن، ص35-36.

(4) - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن: ص9.

اليوم فهو عندي جملة موحدة، تقوم على قاعدة خاصة، قاعدة فيها من التناسق العجيب ما لم أكن أحلم من قبل به، وما لا أظن أحدا تصوره»[1]. ولم تنضج الفكرة إلا بعد مرور خمس سنوات من نشر المقال، وأخرجها كتابا سنة (1945م).

○ وكتابه « **كتب وشخصيات** » ما هو إلاّ مقالات نقدية لكتب بعض الأدباء والباحثين جمعها سيّد من المجلات المختلفة التي سبق ونشرها بها في الفترة الممتدة بين سنوات: (1942م – 1946م)[2]، وطُبعت سنة (1946م).

○ وكتاب « **دراسات إسلامية** » أيضا يضمّ خمسا وثلاثين مقالة أدبية وإسلامية، سبق وأن نشرت في مجلات أدبية وإسلامية مختلفة، منها: الرسالة، والدعوة، والكتاب، والأزهر، والاشتراكية، واللواء الجديد، تكفّلت مكتبة لجنة الشباب المسلم بجمعها ونشرها سنة (1953م)[3].

والشأن نفسه نجده مع كتابه « **في ظلال القرآن**» الذي بدأ في شكل موضوع ثابت يوشّي به سيد قطب كلّ عدد من مجلّة "المسلمون" ابتداء من العدد الثالث، تحت عنوان " في ظلال القرآن". وقد لاقت كتابته في الموضوع استحسان المتلقين، وإقبالا طيبا من متتبّعي المجلّة، فكانوا ينتظرون صدور كلّ عدد بفارغ الصّبر، حتّى إنّ –هناك– من دور النّشر من سارعت إلى وضع يدّها على حقوق نشر الكتاب وصاحبه لم يفصح عن ذلك بعد، وكذلك كان الحال؛ حيث حصلت "دار إحياء الكتب العربية" – وهي إحدى المكتبات بالقاهرة حينئذ– على حقّ طبع ونشر تفسير سيد قطب. وبذلك كان العدد العاشر آخر عدد ينشر فيه سيّد موضوعه على صفحات "الرسالة"، مع اعتذار لجمهوره بدعوى أن العمل سيصدر في كتاب مستقل.

(1) – المرجع نفسه، ص10.

(2) – ينظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص531. والخباص، سيد قطب الأديب الناقد: ص236–237.

(3) – الخباص، سيد قطب الأديب الناقد: ص320.

وهكذا انطلقت مسيرة تأليف كتاب « في ظلال القرآن»، وكان من بنود العقد أن يلتزم سيد قطب بأن يقدّم لدار النّشر جزءا من كتابه في كلّ شهر، فقدّم ثمانية أجزاء إلى غاية شهر جانفي من سنة (1954م). وبعدها طالت يد الاعتقال سيّدا، وتعرّض في معتقله لصنوف من العذاب والتّنكيل الجسدي، لكنّ الرّجل لم تهتز معنوياته، وقابل كلّ ذلك بالصّبر، وهو حيلة المؤمن أمام البلاء. فعلى الرّغم من قلّة الحيلة نتيجة التّعذيب، والتّضييق والمرض، وندرة وسائل الكتابة، ازداد سيّد إصرارا على المضي في مشروع الكتابة والتأليف، واستطاع أن يكتب ثلاثة أجزاء أخرى من تفسيره.

ولا شك أنّ سنوات السّجن قد تركت على كتابته بصمة خاصة؛ ففرق كبير بين من يتكلّم عن معركة قرأ عنها وسمع، ومن يتكلّم وهو يحترق وسط لهب المعركة، فليس من سمع كمن رأى، ما بالك بمن أحسّ وعانى، لذلك يقرّ بعض الدارسين أنّ سيد قطب قد أحسن تفسير الآيات القرآنية التّي يكون موضوعها الظّلم والطغيان، والاستضعاف والهوان، ومعاناة الدّعاة إلى الله، وأصحاب القضايا العادلة وصبرهم، بفعل تجربة السّجن.

كما ورد في كتاب "الحياة في ظلال القرآن": « بدأ سيد قطب قراءة القرآن بقصد المتعة العقلية والأدبية.. وبعد أن عاد من أمريكا واتصل بالإخوان.. وعاش محنة السجن، وتذوّق حلاوة القرآن، بدأ يتذكر نزوله في مكة والجاهليةُ تُعذِّب المؤمنين، فأدرك أن فهم القرآن ليس فقط في معرفة الألفاظ والعبارات.. أو مجرد تفسيره، وإنما العيش معه في الظروف التي صاحبت نزوله، والجماعة المسلمة تتلقاه، وهي في الشّدة والمحنة، وهي تجاهد به المشركين في مكة، فقرأ القرآن بقصد العمل والحركة به»[1].

وبعد أن خرج من السّجن سنة (1964م)، بادر إلى إعادة قراءة وتنقيح ما كتبه – في ظل هذه الفترة– من أجزاء " في ظلال القرآن"، شعورا منه بعظم المسؤولية وخطورة النتائج ؛ لأنّ الحاجة ماسة للعودة إلى المصادر والمراجع لمفسّر القرآن الكريم، مهما أوتي

(1) – سيد قطب، الحياة في ظلال القرآن: ص16.

من علم. والسّجن لا يوفر له الكمّ الكافي منها، حتّى وإن كان للسجين أياد خفية وموالون يمارسون التقية في تمكينه من الكتاب.

وقد أُلقي عليه القبض ثانية سنة (1965م) واختلفت ظروف السّجن –هذه المرّة– عن ذي قبل؛ فمُنع من الكتابة، ممّا حال دون استكمال كتابه، وألحق ذلك ضررا بدار النّشر التي تعاقدت معه، فلجأت إلى القضاء الذي حكم لها بتعويضها عمّا لحقها من ضّرر، فاضطُرت الحكومة –آنذاك– إلى السّماح له بالكتابة بدلا من دفع التعويض الباهض الذي أقرته المحكمة، نظير تردّي أوضاعها المالية، وهشاشة أحوالها السياسية. فكانت الحكمة تقتضي المهادنة على أن يتمّ الأمر وفق شروط أهمها: أن تتولى لجنة – شُكِّلت خصيصا– مراجعة ما يكتبه قبل أن يقدم للنشر[1].

وكان الأمر كذلك، حيث أسقط مقصُ الرّقيب مقدمةَ تفسير سورة البروج، ومقدمة تفسير سورة الفجر، فأضافهما المؤلف – فيما بعد — في ثنايا كتاب: «معالم في الطريق » في باب "هذا هو الطريق"[2].

3– طبعات "الظلال" وترجماته

أ — طبـعاته:

ألّف سيد قطب كتاب "في ظلال القرآن" في طبعته الأولى إبان وجوده في السّجن الانفرادي، في ظروف غاية في السوء، حتى إنّ كتابه لم يكن يحمل الطابع الرسمي للتفسير، وقد صرّح هو ذاته في مقدمة الكتاب في طبعته الأولى أنّ ما كتبه لا يعدو أن يكون مجرد وقفات عقل متدبّر، وقلب حي، ووجدان مرهف أمام القرآن، يلتمس عظمته، ويجلي إعجازه، ويبين حقائقه، وينبّه على مقاصده[3].

(1) – كلّف الشيخ محمد الغزالي بمراجعة ما يكتبه من الظلال قبل عرضه للنشر. ينظر: الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ص556. وحسين بن محمود: مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب: ص61.

(2) – الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: ص 556.

(3) – الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن: ص83.

والطّبعة الثانية، كتبها بعد خروجه من السّجن، إذ تراجع عن بعض من أخطائه؛ خاصة في الموقف السّلبي الذي وقفه من بعض الصّحابة، فاضطر إلى إعادة صوغ بعض العبارات، وتصحيح بعض الأفكار مهتدياً بتفسير ابن كثير. لكنّ الظّروف لم تكن سانحة ليعيد النّظر في جميع أجزائه، فاعتقل وأعدم.

أما الطّبعة المهمّة فهي الطّبعة الشّرعية السّابعة – مدوّنة هذا البحث– التي صدرت عن "دار الشروق" سنة (1978م) في ستّة مجلدات من الحجم الكبير، وتكمن أهمية هذه الطبعة في ما جاء على صفحة الغلاف الداخلي: « تتضمّن إضافات وتنقيحات تركها المؤلّف وتُنشر للمرّة الأولى»[1] وتتضمّن أيضا التّنويه: « مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق لما كان في الطبعة الأصلية –التي صُوّرت عنها الطبعات غير المشروعة– من أخطاء في الآيات القرآنية والتفسير»[2].

وقدّم لهذه الطّبعة شقيقه "محمد قطب" معبّرا عن قيمة هذا الكتاب بالنّسبة إلى صاحبه، ومشيرا إلى إشكالات طبعاته غير الشرعية التي انتشرت، وذلك في العبارة الوجيزة الآتية: «"في ظلال القرآن" .. الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كلّه.. وعاشه لحظة لحظة، وفكرة فكرة، ولفظة لفظة.. وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان.. لقد آن له أن يأخذ وضعه الطبيعي في يد ناشر أمين.. يقدِّر أنه ناشر فكر قبل أن يكون جامع مال.. وأن نشر الفكر رسالة عليا وليس انتهازية طامعة.. فلتكن هذه الطبعة المشروعة الصادرة عن دار الشروق.. بعد طول التطواف في طبعات غير مشروعة.. فلتكن في ثوبها الجديد هذا.. تحية منا في رحلتنا العابرة على الأرض.. إلى المؤلف الشهيد..»[3].

(1) – سيد قطب، في ظلال القرآن: الطبعة الشرعية 35. دار الشروق. 2005م. مج1، ج1، صفحة الغلاف الداخلي.

(2) – المرجع نفسه، صفحة الغلاف الداخلي.

(3) – المرجع نفسه، صفحة التقديم.

ب – ترجماته:

تُرجم كتاب "في ظلال القرآن" إلى العديد من لغات العالم كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأردية، والتركية، والفارسية، والبنغالية والإندونيسية، لِما يحوزه من مكانة في قلوب المتلقين، واهتمام الدارسين متشعبي المشارب، والمختصين في علم التفسير، لذلك اعتُبر « من أكثر الكتب الإسلامية انتشاراً في هذا القرن والذي قبله، ومن أكثر الكتب العربية التي ألفت في القرن الماضي في عدد الطبعات»[1]. والراجح أنّ شهرة "قطب" نفسها سبب مباشر في ذلك، كما أنّ قتله إعدامًا منح حياة أخرى له ولتفسيره في العالم.

4 – دراسات عن " الظلال":

بات سيد قطب وفكره وتفسيره موضع اهتمام العلماء والمفكرين، ومنهلا للدّعاة والعاملين، مهما كان عليه من مآخذ، ومهما أثار من جدل وخلاف، فقد قامت حول كتابه "في ظلال القرآن" دراسات منها ما هو رسائل علمية –ماجستير ودكتوراه– نوقشت في جامعات من مختلف البلاد العربية والإسلامية، إضافة إلى جامعات أمريكية وأخرى أوروبية، ومنها ما نشر، ومنها ما بقي في أدراج المكتبات الجامعية ومكاتب الدّراسات، ومنها كتب تجارية بعناوين رنانة ومثيرة تُنشر هنا وهناك في دور نشر معروفة أو مجهولة، تجنح لإشباع رغبة تيار على حساب آخر، وكتب أكاديمية تتحرى الدّقة والموضوعية بغية إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل.

إنّ معين كتاب "في ظلال القرآن" لم ينضب، ولا يزال فيَّاضا يتدفَّق، على الرّغم من الدّراسات الكثيرة التي كان موضوعا لها؛ ذلك أنّه يستمدّ حياته من القرآن الكريم، فهو مرتبط به، والقرآن منذ كان وهو محلّ للدراسة، ومحلّ إلهام لكلّ ذي فطرة، ومحلّ إشعاع لكلّ ذي فكر، فتتجدّد البحوث كلّما تجدّدت الأفكار، وتجدّدت العصور.

(1) – حسين بن محمود، مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب: ص61.

وإنّ البحوث والدراسات التي تصدّت لسيد قطب وكتابه " في ظلال القرآن" كثيرة، ويمكن الإشارة إلى دراسة الدكتور صلاح بن عبد الفتاح الخالدي الذي يُعدّ من المختصين في الكتابة عن سيد قطب ومؤلفاته، والذي استهلّ مهمّته بعمله الأول: "سيد قطب والتّصوير الفني في القرآن"، وهو بحث أكاديمي تقدّم به لنيل درجة الماجستير عام (1400هـ)، وقد طبع هذا البحث -بعد ذلك-في كتابين[1]:

- سيد قطب : الشهيد الحيّ.
- نظرية التصوير الفني في القرآن عند سيد قطب.

ثم عمله الثاني: " في ظلال القرآن، دراسة وتقويم" وهو بحث أكاديمي تقدّم به لنيل درجة الدكتوراه في التّفسير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرّياض، وطبع هذا البحث -هو الآخر- في ثلاثة كتب[2]:

- مدخل إلى ظلال القرآن.
- المنهج الحركي في ظلال القرآن.
- في ظلال القرآن في الميزان.

ومن أبرز الرسائل الجامعية التي كُتبت عن سيد قطب نذكر:

- العلاقة المجازية في كتاب (في ظلال القرآن)، رسالة دكتوراه لـ"صلاح محمود علي شحاته"، مقدمة إلى كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، (1977م).

- سيد قطب ومنهجه في التّفسير، رسالة ماجستير لـ"إسماعيل الحاج أمين حاج أحمد"، مقدمة إلى كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، (1979م).

- سيد قطب الأديب الناقد، رسالة ماجستير لـ"عبد الله عوض عبد الله الخباص"، مقدمة لكلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية، عمان، (1982م).

---

(1) – صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: شركة الشهاب، باتنة، الجزائر. 1988م. صفحة المقدمة.

(2) – صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في القرآن: دار عمار، عمان، الأردن. ط2، 2000. صفحة تقديم الكتاب.

- منهج سيد قطب في ظلال القران، لـ"أسماء عمر حسن فدقع"، مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

- سيد قطب والتصوير الفني في القرآن، رسالة ماجستير لـ"صلاح عبد الفتاح الخالدي"، مقدمة إلى جامعة محمد بن سعود، كلية أصول الدين، المملكة العربية السعودية، الرياض، (1979م).

- سيد قطب حياته وأدبه، عبد الباقي محمد حسين، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (1980م).

- La pensée politique et religieuse de Sayyid Qotb, Fadlallah. M: Thèse, Sorbonne. paris. (1974)

- Sayyid Qutb – His thought and Literature, Fayyad. Samira: Thesis submitted for the degree of doctor of philosophy, Faculty of arts, University of Manchester.

وعلى كلّ، فقد كثرت الآراء في سيد قطب وكتبه وتعدّدت، وخاصة في كتابه "في ظلال القرآن" – مدوّنة الأطروحة – وقديما قيل: "من ألّف فقد استهدف"[1]، وإذا تأملنا هذه الآراء وجدناها تتراوح بين الإفراط والتّفريط: فمن ممجّد للرّجل وما كَتَبه، غاضّا الطّرف عن عيوبه بحكم انتمائه إلى جماعته[2]، إلى ساخط على الرّجل وكُتُبِه، محرّضا على إحراقها بدعوى ما احتوته من شرك وكفر[3]، أو كما قال صاحب كتاب "مراحل التّطور في حياة سيد قطب": « فانقسم النّاس فيه قسمين: قسم حكموا عليه

(1) – هذه العبارة ضاربة في القدم، ويُختلف في أصل مضربها. قال البلوي في "الرّحلة": « وقديما قيل من ألّف فقد استهدف». ونسبها الشيخ حماد الأنصاري للسلف مطلقا. وأمّا عن أول من قالها فقد ذكر الثعالبي وجماعة أنها من كلام الجاحظ (ت255هـ)، وقال أبو حيان وغيره إنّها من كلام المبرد (ت286هـ). وينسبها الكثير إلى الإمام عبد العزيز العتابي (ت240هـ) ...

(2) – المزغدي (أبو بلال عبد القادر منير)، الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي: طب بريس، الرباط. ط1، 2002م.

(3) – ينظر: المدخلي (ربيع بن هادي عُمير)، العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع، الجزائر. ط1، 2002م. وينظر كذلك: السّناني، براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة.

بالحرمان، وقسم رموا تحت رجليه صكوك الغفران »[1].

ولكن يوجد بين هذا وذاك رأي يحاول أن يتّصف بالاعتدال والإنصاف، وألاّ يبخس الرّجل بضاعته؛ إذ يكفيه أنّه قدّم نفسه دفاعاً عن الإسلام، وفي الوقت نفسه ينبّه إلى ما في كتبه من زلاّت وأخطاء يقوّمها بإقامة الحجة من الكتاب والسّنة[2]، حتّى لا يأخذها عنه طلبة العلم، وحجّة هذا الرأي في ذلك أنّ النّقد يوجّه إلى المقول لا إلى قائله، وقد اشتهرت مقولة الإمام مالك – رحمه الله– إنّ كلّ إنسان يؤخذ من كلامه ويُردّ إلاّ صاحب هذا القبر (وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلّم)[3]، وإنّ العلماء أمناء فيما نقلوا ولكنّهم مناقَشون فيما قالوا أو كتبوا.

(1) – حسين بن محمود، مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب: ص5.

(2) – القرني (عائض بن عبد الله)، اقرأ باسم ربك: دار ابن حزم، بيروت، لبنان. ط1، 2000م. ص190–191.
– الدويش (عبد الله محمد)، المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال: مكتبة دار العليان، بريدة. ط1، 1987م. ص5.

(3) – المشهور أنّ هذه الكلمة تنسب إلى الإمام مالك، ولكنها قد جاءت عن غيره ممن قبله من أهل العلم.

ثالثا: البناء والأسلوب والعلاقة بينهما

إنّ مصطلحي البناء والأسلوب من مصطلحات النظرية اللغوية الحديثة لكونهما منطلقين في كيانها الفكري، ولذلك أرتأيت أنْ أعرج على مفهوم البناء وعلاقته بالدّرس الأسلوبي.

1- مصطلح البناء:

بادرنا في هذا العمل إلى توظيف مصطلح "بناء" بدل "بنية"، وإن كان المصطلحان يستعملان مترادفين عند دارسين كثيرين[1]، جاء في معجم اللسانيات أنّ مصلح "بناء" «مرادف قديم لبنية»[2]؛ ثمّ إنّ لفظ "بناء" إذا اقترن بلفظ "أسلوب" زال كلّ لبس محتمل بين المفهومين.

إنّ مادة الفعل "بنى" في اللغة تدلّ على معنى التشييد والإقامة والتركيب، والبَنْيُ: «نَقيضُ الهَدْم، بَنى البَنَّاءُ البِناءَ بَنْياً...والبِناءُ: المبْنِيُّ، والجمع أَبْنِيةٌ، وأَبْنِياتٌ جمعُ الجمعِ.. والبِنْيَةُ والبُنْيَةُ: ما بَنَيْتَهُ، وهو البِنَى والبُنَى.. »[3].

يتّضح من هذا أنّ كلاّ من البنية والبناء يقوم بوظيفة معيّنة تتمثل في الجمع والتّأليف بين عناصر خاصة بميدان محدّد ووسط.

وفي اللغات الغربية اشتق لفظ "بناء" أو "بنية" من الأصل اللاتيني (Stuere)، وهو بمعنى البناء أو الهيئة والكيفية التي يوجد الشيء عليها[4].

ويذهب الكثير من الدّارسين إلى أنّ فردينان دي سوسير (F. de Saussure) لم

---

(1) – عبد الوهاب جعفر، البنوية الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها: دار المعارف. (د.م)، 1980م. ص12، وكذلك صفحة (ث) في تصدير الكتاب.

(2) – جورج مونان، معجم اللسانيات: ترجمة جمال الحضري. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان. ط1، 2012م. ص103.

(3) – ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم)، لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان. ط7، 2011م. مج2، ص160، مادة [بني].

(4) – صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: دار الشروق، القاهرة، مصر. ط1، 1998م. ص120.

يعْرِف مصطلحي البنية والبناء[1]، وإنما عرَف مصطلح " التّنظيم"، لأنّه المفهوم الأساس في نظره[2]. وجاء من أتباعه من استخدم مصطلح (Structure) الذي ترجم إلى اللغة العربية بألفاظ مختلفة في مشرق البلاد العربية ومغربها، شأنه في ذلك شأن غالبية المصطلحات اللسانية. فمن الألفاظ التي عجّت بها الكتب والمعجمات نذكر: البنية، والبناء، والتركيب، والهيكل، والبنيان، والنظم..[3].

أمّا في الاصطلاح، فقد تعدّدت التعاريف بتعدّد التيارات البنوية، وكذلك بتعدّد الأعلام داخل التيار الواحد، فضلا عن تعدّد مؤلفات العلم الواحد[4]؛ لذا يرى "جان بياجه"(J. Piaget) في مدخل كتابه (البنيويّة) أن إعطاء تعريف موحّد للبنية رهينٌ بالتّميّيز « بين الفكرة المثالية الإيجابية التي تُغطي مفهوم البنية في الصراعات أو في آفاقٍ مختلف أنواعِ البنياتِ، والنّوايا النّقديةِ التّي رافقتْ نشوءَ وتطورَ كلِّ واحدةٍ منها مقابلَ التّياراتِ القائمةِ في مختلفِ التّعاليم»[5].

وقد بسّط صلاح فضل التّعريف بقوله: « كلٌّ مكوّنٌ من ظواهر متماسكة،

---

(1) – يصرّ بعض الدّارسين على أنّ دي سوسير لم يعرف مصطلح البنية، على الرّغم من استعماله للفظ(structure) الذي تترجمه الكثير من مسارد المصطلحات إلى (بنية) في قوله: « On emploie souvent les termes de construction et de structure à propos de la formation des mots» .

– Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, éditions talantikit, Bejaïa. 2002. p265.

(2) – ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءة تمهيدية: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط2، 1985م. ص61.

(3) – ينظر: نخبة من اللغويين، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي–إنجليزي، إنجليزي–عربي): مكتبة لبنان، بيروت، لبنان. ط1، 1983م. ص12.

– عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب: الدار العربية للكتاب، تونس–ليبيا. ط3، (د.ت). ص204.

– محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم إنجليزي–عربي): الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، مصر. ط3، 2003م. ص109.

(4) – صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص121–122.

(5) – جان بياجيه، البنيوية: ترجمة عارف منيمنه، وبشير أوبري. منشورات عويدات، بيروت–باريس. ط4، 1985م. ص7.

يتوقّف كلّ منها على ما عداه، ولا يمكنه أنْ يكون ما هو إلاّ بفضل علاقته بما عداه»[1].

ومن ثم فإنّ البنية تتكوّن من عناصر خارجية خاضعة للقوانين المميزة للنسق، وليس المهمّ في النّسق العنصر أو الكلّ، بل العلاقات القائمة بين هذه العناصر.

2- مصطلح الأسلوب

تعدّدت المعاني اللغوية للفظة "أسلوب" في المعاجم العربية، منها: أنّه سطر النّخيل والطّريق الممتدة، والوجه والمذهب، وهو الفن؛ فيقال: أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي أفانين منه[2]. وهو أحدث تعريف على عهد "ابن منظور".

واختلفت تعريفات مصطلح الأسلوب عند العلماء العرب المتقدمين، فابن قتيبة (ت276هـ) يراه بأنّه طريقة العرب في النّظم؛ ووفقا لذلك يكون « الشّاعرُ المجيد من سَلَك هذه الأساليب، وعدَّل بين هذه الأقسام، فلم يجعلْ واحداً منها أغْلَبَ على الشّعر، ولم يُطِلْ فيُمِلَّ السّامعين، ولم يقْطَعْ وبالنّفوس ظَمَآءٌ إلى المزيد»[3].

ويرى "يحيى العلوي (ت749هـ)" ضرورة مراعاة ما يقتضيه علم النّحو في أصوله وفروعه لأجل الوصول إلى الفن الكلامي (الأسلوب)[4].

وقد حسم "ابن خلدون (ت808هـ)" الأمر حين رأى أنّ الأسلوب هو: « المنوال الذي تُنسَج فيه التراكيب، أو القالب الذي يُفرَغ فيه الكلام»[5]، ولكلّ فنّ من الكلام أساليب تختصّ به ولا تصلح لغيره. والمنوال -هنا- هو القالب.

---

(1) - صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص121.

(2) - ابن منظور، لسان العرب: مج7، ص225. مادة [سلب].

(3) - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري)، الشعر والشعراء: تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. دار المعارف، القاهرة. ط2، 1982م. ج1، ص75- 76.

(4) - العلوي (يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم)، الطراز: تحقيق عبد الحميد هنداوي،. المكتبة العصرية، صيدا- بيروت. ط1، 2002م. ج1، ص83.

(5) - ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد)، مقدمة ابن خلدون: تحقيق: عبد الله محمد الدّويش. مكتبة الهداية، دمشق، سورية. ط1، 2004م. ج2، ص397.

أما عند الغرب، فلم تجتمع كلمة العلماء الذين نظروا في مفهوم الأسلوب على تعريف جامع شامل؛ إذ نجدها تتّفق في أمور وتختلف في أخرى، ولاسيما أنّهم ينتمون إلى مذاهب مختلفة وتيارات متنوعة، وينظر كلّ باحث في دراسته إلى الأسلوب من زاوية مغايرة، لهذا يذكر موسى ربابعة أنّ ويلي ساندرز(Willy Sanders) أحصى ثمانية وعشرين تعريفا للأسلوب[1].

فالفترة الكلاسيكية نظرت إلى الأسلوب على أنّه الطابع الشخصيّ للإنسان في موضوع الخطاب[2]. وعبّرت كاتي وايلز(Katie Wales) عن ذلك قائلة: « ومن ناحية الأصالة، كان الأسلوب (Stylus) أداة للكتابة، أي نوعًا من القلم، وأصبح يعني "طريقة الكتابة" بواسطة تغير كنائي (Metonymic) »[3]. وظلّ هذا المفهوم مسيطرًا على مصطلح الأسلوب إلى أن جاءت لسانيات دي سوسير، والتي لم تقلب المفاهيم رأسا على عقب، بل ألحقت الأسلوب بالكلام.

ومع ظهور تحليل وظائف اللغة ونظرية الإعلام وتطوّر البنوية تعمّق مفهوم الأسلوب، واعتُمد عنصر الأسلوب في التّحليل اللساني والنقدي من باب أنّ اللغة تعبّر عن الأسلوب أو ما كما عبّر عنها "ريفاتير" في مقولته الشهيرة: « la langue exprime, le style souligne »[4]. لكن الآثار التي تظهر فيها وظيفة اللغة ليست مستقلّة ولا توجد في ذاتها.

وكلّ هذا لا يفترق كثيرًا عن المفهوم التقليدي للأسلوب الذي يراه مجرّد إضافة زخرفية، كما لا يبتعد –أيضا– عن الفكر الغربي العام الذي يعدّ الأسلوب

(1) – موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها: دار الكندي، الأردن. ط2، 2003. ص22.

(2) – Jean Dubois & autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, éd Larousse,1999.P446.

(3) – كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات: ترجمة خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة. بيروت، لبنان. ط1، سبتمبر 2014م. ص633.

(4) – Jean Dubois & autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage: p447.

"انزياحًا" (écart) بالنّظر إلى المنطق، و"انزياحًا مرضيًا لغويًا (Pathologique) ناتجًا عن ضعف طبعه الانساني[1].

وعرّف (المعجم الأساسي للفرنسية الأدبية) الأسلوب بأنّه: الطريقة الخاصة بالفرد أو الكاتب على الخصوص لاستعمال اللغة[2]. ويتمظهر أسلوب الكاتب في طبيعة الألفاظ التي يستعمل، وطريقة تركيبه الجمل، والعمليات التي تتردّد بصورة آلية...[3]. كما يعرّفه (القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان) بأنّه « ناتج عن توليف الاختيار الذي يجب على كلّ خطاب أن يعمله بين عدد معين من الاستعدادات المتضمنة في اللغة وعدد من المتغيرات التي يدخلها إزاء هذه الاستعدادات»[4].

ومصطلح أسلوب (style) عند الغربيين أسبق إلى الظهور من مصطلح (Stylistique) الذي شاع في اللغة العربية بمسمى (الأسلوبية) أو (علم الأسلوب)، ولم يبرز إلا مع ظهور الآراء الجديدة في اللسانيات بريادة السويسري (دي سوسير)، ومن تبعه من تلاميذه وغيرهم – والتي لم تنقل إلى العربية إلا بعد نحو نصف قرن من تأريخ وفاته– فأفادت الدراسات العربية الحديثة من تلك النظريات.

3– علاقة البناء بالأسلوب:

نشأت الأسلوبية معتمدة على اللسانيات وتطوّرها، فهي منهج من المناهج اللغوية المستخدمة في دراسة النّصوص الأدبية[5]. كما عُدت إجراء عمليا تطبيقيا لمنهج

(1) – Jean Dubois & autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage: p447.

(2) – P. Forest et G. Conio, Dictionnaire Fondamental du Français Littéraire: Maxi-livres, Brodard & Taupin CPI. France, 2004. P378.

(3) – المرجع نفسه، ص378.

(4) – أوزوالد ديكرو & جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: ترجمة منذر عياشي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت. ط2، 2007. ص582.

(5) – محمود عياد، (الأسلوبية الحديثة "محاولة تعريف"): مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. مج1، ع2، 1981م. ص123.

عام. ومن المؤلفات العربية التي تصدّت لعلاقة البناء بالأسلوب، نذكر: "عبد السلام المسدي" االذي يقرّر أنّ الأسلوبية كانت من البداية تُعرّف بأنّها الجانب اللساني الذي يصبو إلى تلك العلاقة التي تربط التركيب اللغوي بمدلول محتوى صياغته[1]. ويذهب "محمد عبد المطلب" إلى القول بأنّ الأسلوبية : « تتحرّى دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفة ليؤثر ويقنع في آن واحد، مع ملاحظة أنّ التأثير والإقناع يأتيان من ترابط الشّكل والمضمون في تلاحم تام، ومحاولة الفصل بين لغة الأثر الأدبي ومضمونه من شأنها أنْ تحُول دون النّفاذ إلى الخواص الحقيقية للنص الأدبي»[2]، ويستمدّ "صلاح فضل" القول من "ريفاتير" بأنّ البنية الأدبية ما هي إلا بنية لغوية، وأنّ الأسلوبية هي كلُّ إبرازٍ وتأكيدٍ يزيد عن المعلومات التي تنقلها البنية اللغوية من دون تأثير في معناها[3].

فحسب هؤلاء الرّواد العرب، فإنّ الدّراسة الأسلوبية تتصدى للنّص بهدف فهمه باعتباره نظاما فرديا من القيم، والوصول إلى ذلك النظام هو هدفها المنشود.

(1) – المسدي، الأسلوبية والأسلوب: ص35.

(2) – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى: الشركة المصرية العالمية للنشر(لونجمان)، القاهرة. ط1، 1997م. ص119–120.

(3) – صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: دار الشروق، القاهرة–بيروت. ط1، 1998م. ص85.

فصل أول

أسلوب "التوازي"

تأسيس

-أسلوب التوازي في تفسير آيات القصص

-التوازي المتطابق

-التوازي المتماثل

-التوازي المتقابل

-التوازي المتوقع

- **تأسيس:**

يتّجه الشّعر إلى الثّبات في الذاكرة بما يُخصّ من بنيات التّشابه التي تتكرّر في وزنه وإيقاعاته، وتركيز الدّارسين على الجانب الصّوتي في الشّعر يعود إلى أنّ جوهر الشّعر هو إيقاع الصّوت، وهدفه ليس التّبليغ مثل النّثر؛ وإنما ينبني على الكلمة في حدِّ ذاتها وليس مجرّد تجسيد لمعنى مخصوص أو تفجير لشحنة عاطفية.

ومن النّثر ما ينزع إلى هذا التّوجه من خلال مجموعة من سمات التّشابه التي يعدّ التّوازي أحسن صيّغها بوصفه تكرار لبُنى لغوية. ولقد نصّت دراسات الشّكلانيين على أنّ التّنظيم الصّوتي له موقع لا يُستهان به في النّثر الأدبي على الرّغم من اختلاف طبيعته عن الشّعر[1]، فازديان النّثر بالتّنظيم الموسيقي لا يصيّره شعرًا، نستدل على ذلك بالنّثر الموقّع المتمثّل في سجع الكهان، وفن المقامة، وفن الخطابة، وما حوته هذه الفنون من التّساوي والتّوازي والتّوازن، ونظرائها من العناصر الإيقاعية التي اجتهد البلاغيون في كشف قوانينها[2]، وكما أنّ نقصانه من الشّعر لا يحوّله إلى نثر. وخير مثال على ذلك: قصيدة النّثر وما آلت إليه من استرسال، لكنه لم يكن كافيا ليحوّلها إلى نثر خالص.

ومن النّقاد المحدثين من عدّ التوازي ظاهرة مقصورة على الشّعر دون النّثر، لكن إذا عدنا إلى الدراسات البلاغية العربية نجدها لم تقصر هذه الظاهرة على الشّعر، بل وسّعه البلاغيون لينطلي على الشّعر والنّثر على حدّ سواء. ذلك أنّ فنون التّعبير اللغوي

(1) – محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة (دراسة في نقد النقد): منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا. 2003م. ص74.

وينظر أيضا: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص247.

(2) – محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي): دار المعارف، القاهرة، مصر. ط2، 1995م. ص110.

إذا تجاوزت الجملة الواحدة، تحتوي لا محالة على ضربٍ ما من التوازي[1]. وقد أكّد هذا التوجّه "رومان جاكبسون" في إجابته عن سؤال حول دور التوازي في النّثر الأدبي قائلًا: « ليس التوازي شيئا خاصا باللغة الشّعرية، إنّ هناك أنماطا من النّثر الأدبي تتشكل وفق المبدأ المنسجم للتوازي..»[2].

فكلّ من الشّعر والنّثر – على حدّ سواء – يَرِدُ في شكل سلسلة صوتية تتكوّن من تراكيب تختلف في الدّلالة الصّوتية وتتشابه لفظيا، لكن الشّعر يتميّز عن النّثر بقدر ما يخرق من اختلافات دلالية لهذه الأصوات المتشابهة[3]. والقاسم المشترك بين الشّعر والنّثر هو فنّية النّص الّتي تقوم على عنصري "الاستبدال والتّركيب"[4]، أين ينشغل كلّ من الشّاعر والكاتب باختيار الألفاظ التي تناسب موضوعه، ثمّ ينظمها في تراكيب متلائمة[5].

ومن ثَمّ يمكن القول: إنّ الإيقاع الّذي يقع على حشو الشّعر: كالسّجع، هو الإيقاع المهيمن على النّثر، وهو في الوقت نفسه إيقاع الفاصلة في القرآن الكريم، وليس الأمر غريباً؛ فإنّ الإيقاع عنصر تشترك فيه الفنون جميعاً، فهو أسّ كلّ عمل فني[6].

(1) – محمد مفتاح، التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية): المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت. ط1، 1996م. ص 98.

(2) – رومان جاكبسون، قضايا الشّعرية: ترجمة محمد الولي ومبارك حنون. دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 1988م. ص108.

(3) – جون كوهين، بناء لغة الشّعر: ترجمة أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر،1990م. ص19.

(4) – من ثنائيات دي سوسير، والظاهر أنّ دي سوسير لم يستعمل مصطلح الاستبدال ولكنه شاع وانتشر عند من جاء من بعده، وهو إنما استعمل مصطلح الاقتران. ينظر كتاب:

– ليونارد جاكسون، بؤس البنوية (الأدب والنظرية البنوية): ترجمة ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، سوريا. 2008م. ص89.

(5) – صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص388– 389.

(6) – مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مكتبة لبنان، بيروت، لبنان. ط2، 1984م. ص71.

– مفهوم التوازي:

إذا أنعمنا النّظر في مفهوم التّوازي، ندرك من الوهلة الأولى أنّ دلالته الاصطلاحية لا تختلف كثيراً عن مفهومه اللغوي، بحيث إذا رجعنا إلى معاجم اللغة نجده يعني المحاذاة والتقابل والتّناظر، فلسان العرب ينصّ على أنّ « وَزَى الشيءُ يَزِي: اجتَمع وتَقَبَّض... والموازاةُ: المقابلة والمواجَهةُ، قال: والأصل فيه الهمزة، يقال: آزَيْته إذا حاذَيْتَه»[1]. ونجد الشّيء نفسه في المعجم الوسيط: فـ « (وَازَاهُ): قابله وواجهه، (توازى) الشيئان: وازى أحدُهما الآخر»[2]. فالتوازي من الوجهة اللغوية يتطلّب شيئين متقابلين أو متواجهين.

أما من النّاحية الاصطلاحية، فيعرفه "جيمس فوكس J. fox" بأنّه: « عبارة عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات القائمة على الازدواج الفني وترتبط ببعضها، وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية، سواء في الشّعر أو في النّثر، خاصة المعروف بالنّثر المقفى، أو النّثر الفني، ويوجد التوازي بشكل واضح في الشّعر، فينشأ بين مقطع شعري وآخر، أو بيت شعري وآخر»[3].

ويشرحه "عبد الواحد حسن الشيخ" كما يلي: « فمثلا عندما يلقي المتكلم جملة ما، ثمّ يتبعها بجملة أخرى، متّصلة بها أو مترتبة عليها سواء كانت مضادة لها في المعنى، أو مشابهة لها في الشّكل النّحوي، ينشأ عن ذلك ما يعرف بالتوازي، أي إنّه عبارة عن جمل متماثلة، وسطور متقابلة (متطابقة) الكلمات والعبارات والمعاني، ترتبط ببعضها في العبارة المتطابقة أي أنّه نوع ما من أنواع الترابط بين الألفاظ –مفردة ومركبة– والمعاني، سواء كان هذا الترابط بالتضاد أو خلافه»[4].

---

(1) – ابن منظور، لسان العرب: مج15، مادة (وَزَي)، ص206–207.

(2) – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية. ط4، 2004م. باب الواو، مادة (وَزَى). ج2، ص1030.

(3) – عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي: مطبعة الإشعاع الفنية، مصر. ط1، 1999م. ص7–8.

(4) – حسن الشيخ، البديع والتوازي: ص8.

ويتضمّن التّوازي عند "رومان جاكبسون R. Jakopson" مجموعة « أدوات شعرية تكرارية منها الجناس والقافيةُ والترصيعُ والسجعُ والتطريزُ والتقسيمُ والمقابلةُ والتقطيعُ، والتصريعُ وعدد المقاطع أو التفاعيل والنبرُ والتنغيم. ويمكن لبنية التوازي أن تستوعب الصور الشّعرية بما فيها من تشبيهات واستعارات ورموز»[1]، ومن ثمّ تفطّن "جاكبسون" إلى أنّ الشّعرية في الشّعر، إنّما تنتج من إسقاط مبدأ التّشابه في محور الاختيار على محور التّأليف، وبه تتاح أمام المبدع إمكانات أوسع لخلق المتشابهات والمتوازيات التي تشمل البنية الإفرادية والتركيبية معاً[2]. وإذا كانت البنية الإفرادية محدودة بحدود مفردات اللغة؛ فإنّ مجال الإبداع والخلق يتجلى في أحسن صوّره في البنية التركيبية وأنساقها المتعددة. وهو ما دفع كثيراً من النّقاد إلى حصر باب التّوازي في البنية النّحوية، باعتباره شكلاً من « أشكال النّظام النّحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول والنغمة والتكوين النّحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب»[3].

ويقترح "محمد مفتاح" تعريفا مركبا للتوازي يراه ينسحب على كلّ أنواع الخطاب، بعد أنْ ناقش تعريفَيْ كل من "غريماس/ A.J. Grémas" و"راستي/ F.Rastier" لمصطلح التوازي، إذ قصره الأوّل على المضمون، وأطلقه الثاني ليشمل التعبير والمضمون على السّواء[4]. وقد استعمل "محمد مفتاح" مصطلح التشاكل بدل التوازي في البداية قائلا: « التّشاكل هو تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانًا لانسجام الرسالة»[5].

---

(1) – ينظر: رومان جاكبسون، قضايا الشّعرية: تقديم المترجمَيْن: محمد الولي ومبارك حنون. ص8.

(2) – رومان جاكبسون، قضايا الشّعرية: ص 106.

(3) – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص(سلسلة عالم المعرفة): المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت. أغسطس 1992م. ص198.

(4) – محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التناص): المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت. ط3، 1992م. ص19.

(5) – محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجية التناص): ص25.

فالتوازي من الظواهر الجوهرية التي تطبع بنية اللغة؛ تفطّن إليه جاكوبسون، واعتمد عليه "صموئيل ليفين/ S. levin" في تحليله لأشكال التّزاوج في الشّعر[1].

وللتكرار روابط وشيجة ببنية التّوازي؛ فهو عنصر من مكوناتها، وهي تنبني عليه؛ إذ يساهم التوازي في ظهور عناصر تكرارية على سطح المستويات المختلفة (الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية)، ويطعّم عنصرَ التّشابه المتأتي من التّكرار بعنصر آخر هو المقابلة الذي يمكنه أنْ يقضي على الرّتابة التي تنتج عن التّكرار، إذ الفنية ما هي إلاّ حاصل المزاوجة بين عناصر المؤتلِّف وعناصر المختلِّف[2]. فكلّ بنية تتردّد بقدر يسمح لها بالظهور بشكل قويّ، دون أنْ يؤدي ذلك إلى تأليتها؛ لأنّ قاعدة الفن هي التّجدد والتّطور المستمرّ، بحيث لا يرسم لنفسه حدودا حتّى يخرقها ويرسم غيرها. وإذا هيمنت بنية على غيرها من البُنى بشكل يؤدي إلى تأليتها فقدت تأثيرها وبريقها [3] .

نستنتج ممّا تقدّم أنّ التوازي بديل لساني حلّ محلّ المفاهيم التي تختزل أشكال التّقابل البلاغية كلّها[4]، وهو شكل من أشكال النظام اللغوي الذي يجنح إلى تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول، والنغمة، والبناء النحوي. فهو يقوم على مبدإ المجاورة والتماثل بين بنيتين فأكثر.

(1) – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: ص198.

(2) – محمد العمري، تحليل الخطاب الشّعري، البنية الصوتية في الشّعر: الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية. ط1، 1990م. ص123.

(3) – المرجع نفسه، ص124.

(4) – على الرغم من الجهود التي تبذل في توحيد المصطلحات واستقرارها إلاّ أنّ هناك من لا يأبه لذلك، فعلى سبيل المثال ترجم مصطلح (Parallelism) إلى موازاة، بيد أن مصطلح التوازي يلاقي قبولا عند النقاد والدارسين.
– ينظر: كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات: ص491.

– أسلوب التوازي في تفسير آيات القصص

أسعى إلى أن أرصد الأشكال المختلفة من بنيات أسلوب التوازي التي وظّفها "سيد قطب" في تفسير آيات قصص القرآن الكريم في كتابه "في ظلال القرآن"، ولا أدّعي – هنا – أنّي أرصد كلّ بنيات التّوازي؛ ذلك أنّ المدوّنة مترامية الأطراف، وأنّ هذه الظاهرة لا يخلو منها كلام، سواء وُجدت بشكل مكثّف أم بشكل عرضي.

ومن خلال تتبّع تفسير آيات القصص القرآني في المدونة، يتبيّن أنّ ظاهرة التّوازي تشدّ الأنظار في كثير من المواضع، وبشكل خاص التوازي التركيبي (النّحوي) الذي يظهر خصوصية الكاتب في التّعبير، بحيث يكون أكثر حرية في اختيار العلاقات التركيبية بين عناصر الجملة، فيلجأ إلى تقديم بعضها وتأخير أخرى، ويحذف بعضها ويذكر أخرى، ويصِل بعضها ببعض أحيانا ويفْصِل حينا... حتى تتشكّل وفق ما يرتضيه الكاتب، ويراه قمِنا بحمل أفكاره، ويحدث أن تتقابل الجمل (تتشابه أو تتخالف)؛ فينشأ عن ذلك نغم إيقاعي يُسهم – إلى جانب الموضوع – في إدخال المتعة على المتلقي، وهذا التّشابه بين عناصر التركيب أو التّخالف قد يكون تاما أو ناقصا، متطابقا أو متماثلا، متوقعا أو غير متوقع، وبناء على هذا أرتأيت أن أقسّم التّوازي – في المدونة – إلى أربعة أبنية:

1- التوازي المتطابق

2- التوازي المتماثل

3- التوازي المتقابل

4- التوازي المتوقع

أولا: التوازي المتطابق

يُقصد به التطابق التّام في كلّ عناصر البناء النّحوي للجمل المتوازية، ولا سبيل إلى تحقيقه إلا إذا اختُزِلت المقولات النّحوية في مقولات تحليلية كالفعل والفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والمحددات...[1]، وقد يجيء التوازي نحوياً صرفياً قائماً على توالي الصّور النّحوية نفسها التي تنتظم في صيغ متوازنة، وقد يكون بين جمل كاملة، أو بين فضلات الجمل من جار ومجرور، أو صفة وموصوف...[2].

والتوازي المتطابق من أشكال التوازي التي يميل إليها "سيد قطب"، فكثيرا ما يلجأ إلى تكرار نسق نحوي متطابق بشكل مكثّف محدثاً تغييرًا في بعض مفرداته أو مكوّناته؛ بحيث تضيف كل مفردة (جديدة) معنى إضافياً تراكمياً إلى المعاني السّابقة، وتُصبح الدلالة الأساس هي حاصل مكونات هذه الأنساق النّحوية، ومن ذلك قوله:

1- « بكلِّ مَا فيهَا مِنْ زيفٍ، وبِكُلِّ ما فيهَا مِنْ فَسادٍ، وبكُلِّ ما فيهَا مِنْ أوْهامٍ وخرافاتٍ»[3].

عمد الكاتب إلى تكرار هذا النّسق: [بكل ما فيها من..] ويُتبعه في كلّ مرّة بذكر مثلب من المثالب (زيف، فساد، أوهام وخرافات)؛ فلم يكتف بذكر مثلب من المثالب المذكورة، ولم يرتض عطف هذه المثالب بعضها على بعض. كأن يقول: (بكل ما فيها من زيف وفساد، وأوهام وخرافات)، بل أعرض عن ذلك كلّه، واختار أنْ يكرّر النّسق النّحوي الذي يدلّ على التّعميم مع إضافة مثلب من المثالب بعد "مِنْ" في كلّ مرّة.

(1) – محمد مفتاح، التلقي والتأويل– مقاربة نسقية: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 1994م. ص155.

(2) – محمود محمد سليمان علي الجعيدي (الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي "دراسة نحوية دلالية")، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، 2003م. عدد32.

(3) – في ظلال القرآن: مج3، ج11، ص1814.

ويمكن أنْ نتصوّر التركيب وفق هذا التقابل:

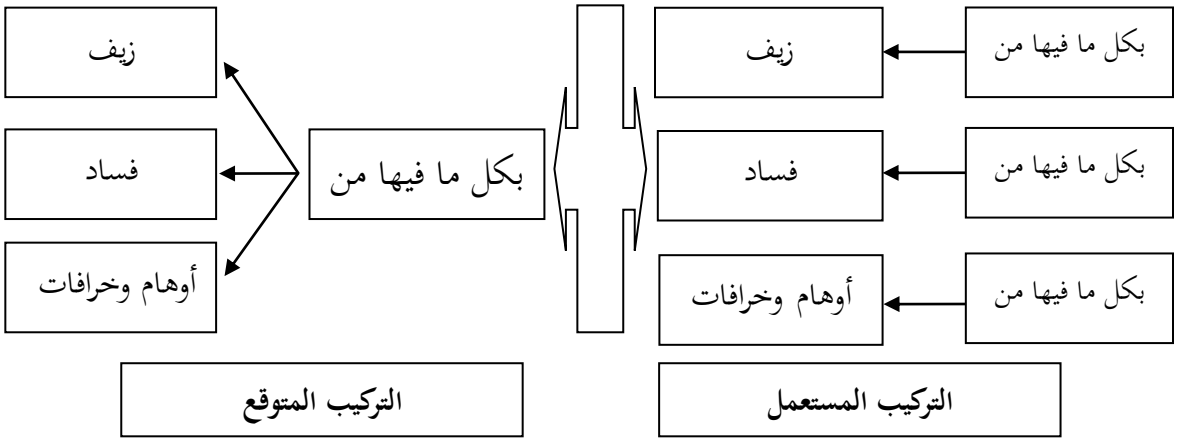

شكل رقم (1)

من خلال هذا الشّكل، يتجلى الفرق في كمية العناصر المشكّلة لكلّ تركيب، والكاتب أعرض عن (التّركيب المتوقّع) على الرغم ممّا فيه من إيجاز، واختار (التركيب الموظّف) على الرغم ممّا فيه من تكرار، ونتج عنه تواز في التراكيب والمعنى، وهو يسعى من وراء ذلك إلى تكثيف المعنى بالانتقال التدريجي: يذكر الزّيف الذي يكون للمادي، وينتقل إلى الفساد الذي يكون للمادي والمعنوي على السّواء، ثمّ يذكر الأوهام والخرافات ذات الطابع المعنوي؛ من ناحية، ولا شك في أنّ تكرار النّسق النّحوي بشكل متتابع – على هذا القبيل– يُظهر موقف الكاتب، ودرجة الانفعال المتزايدة التي تكتنفه من ناحية أخرى، وهذا الضرب من الأسلوب الذي لجأ إليه الكاتب يضع في أيدينا مفتاح الفكرة التي تهيمن عليه، فهو ضوء لا شعوري يسلّطه النّص على أعماق الكاتب يمكّننا من الاطلاع عليه، على حدّ تعبير نازك الملائكة[1].

ويدلّ هذا الشّاهد وما يتلوه على قدرة "سيد" على التّشقيق والتّفريع وبداعة التّعبير.

ومن الضرب نفسه نجد المثال الآتي:

(1) – نازك الملائكة، قضايا الشّعر المعاصر: منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق. ط3، 1967م. ص243.

2- « والنَّظر إلى ما في السَّماوَاتِ والأرْضِ يمدُّ القلْبَ والعـقْـلَ بِـزادٍ مِنَ المشاعِرِ والتّأمُلاتِ؛ وزادٍ مِنَ الاسْتِجاباتِ والتّأثراتِ؛ وزادٍ مِنْ سَعَةِ الشُّعُورِ بالوُجُودِ؛ وزادٍ مِنَ التَّعاطُفِ مَع هَذا الوُجُود »[1].

لم يكتف بعطف ما يمكن أن يتزوّد به القلب والعقل معا جرّاء التأمل فيما في السّموات والأرض، بل كرّر السّياق: [بزاد من ...]، المكون من لفظة "زاد" متبوعة بـ"من" التبعيضية، مع تغيير ما يتبعهما في كلّ مرّة، على هذا النحو:

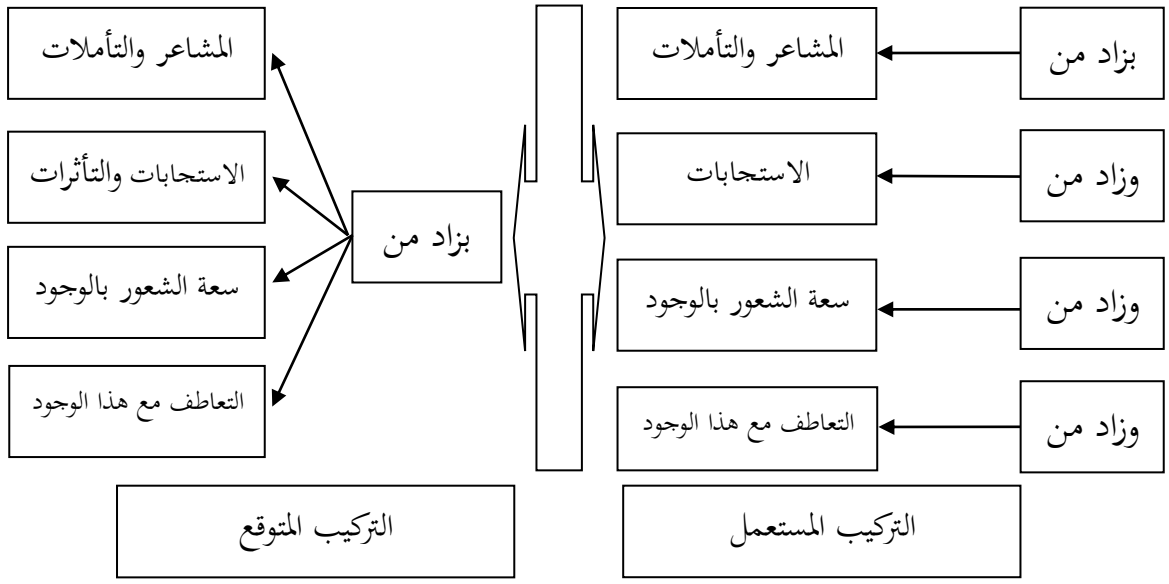

شكل رقم (2)

أعرض الكاتب عن التركيب المتوقّع (شكل2)، ووظف التركيب في صورته الأولى (التركيب الموظف)، إيذانا بإصراره على الفكرة؛ إذ يسلّط الضّوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية[2]، باللجوء إلى تكرار المتعلق بلفظة (زاد)، وتكرار الاسم المجرور (المشاعر) بما يصبّ في الحقل الدلالي ذاته: (المشاعر، سعة الشعور، التعاطف، الاستجابات، التأثرات).

وفي قوله:

(1) – في ظلال القرآن: مج3، ج11، ص1822.

(2) – نازك الملائكة، قضايا الشّعر المعاصر، ص242.

3- «إنَّ هَذِه الوَشِيجَة ليستْ وَشِيجَة الدّمِ والنّسَبِ؛ وليستْ وشِيجَة الأرضِ والوَطنِ؛ وليستْ وَشِيجَة القوْمِ والعَشِيرَة؛ وليستْ وَشِيجَة اللّوْنِ واللّغةِ؛ وليستْ وَشِيجَة الجنْسِ والعُنْصُرِ؛ وليستْ وَشِيجَة الحِرْفَةِ والطبَقَةِ .. »[1].

يحافظ الكاتب على التوازي في هذه التراكيب، من خلال تعداد التفاصيل الدّقيقة في تحديد مقصوده بالوشيجة؛ بنفي ما لا يقصده من وشائج مضافة إلى لفظ "وشيجة" مسبوقة بالنّفي بـ"ليست"، على هذا النحو:

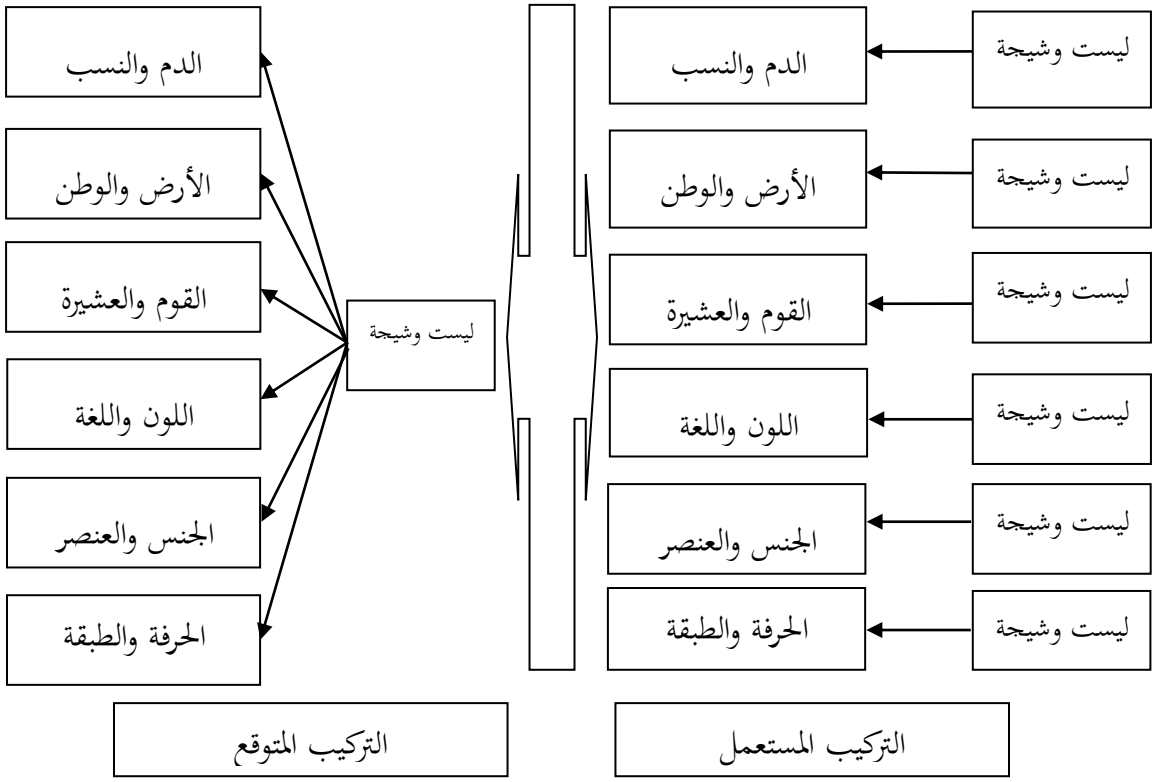

شكل رقم (3)

كرّر لفظة "وشيجة" متبوعة بِاسْمين معطوفين متقابلين فشكّل توازيا تركيبيا كميّا، واستقصى المعنى من خلال ذكر أصناف من الوشائج التي إذا وضعت في كفّة، ووضعت وشيجة الإيمان والعقيدة في كفة ثانية، لرجحت الكفّة الثانية؛ فكلّ الوشائج – عدى وشيجة الإيمان والعقيدة – هي وشائج جاهلية قد توجد ثمّ تنقطع العلاقات بين الأفراد.

ويفيض القول في هذه الفكرة، فيزداد التركيب استطالة كالآتي:

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1886.

4- « إنَّ الجاهِلِيَاتِ تجعلُ الرابطة آنًا هي الدّمُ والنّسبُ؛ وآنًا هي الأرْضُ والوطَنُ، وآنًا هي القوْمُ والعشِيرَةُ، وآنًا هي اللّوْنُ واللّغةُ، وآنًا هي الجِنْسُ والعُنْصرُ، وآنًا هي الحِرْفةُ والطّبقَةُ! تجعَلُها آنًا هي المصالحُ المشتركةُ، أو التّارِيخُ المشترَكُ، أو المصيرُ المشترَكُ...»[1].

يقرّر في هذا الشّاهد أنّ الوشائج التي سردها آنفا هي روابط جاهلية، تُوظّف لأجل التّفريق بين الشعوب - والأصل في الرابط أن يجمع ولا يفرّق - فيعرض الروابط المتعدّدة والمتنوعة التي اختلقتها الجاهلية للنّاس، ليجعلوهم متعددين ومتفرقين وقلوبهم شتى، وتكرار هذا النّسق في كلّ تركيب من شأنه أنْ يستوفي المعنى بأقطارها؛ حيث يحافظ على الوحدتين المعجميتين (آناً هي)، ويستبدل ألفاظ (المعطوف عليه والمعطوف) على هذا النّحو:

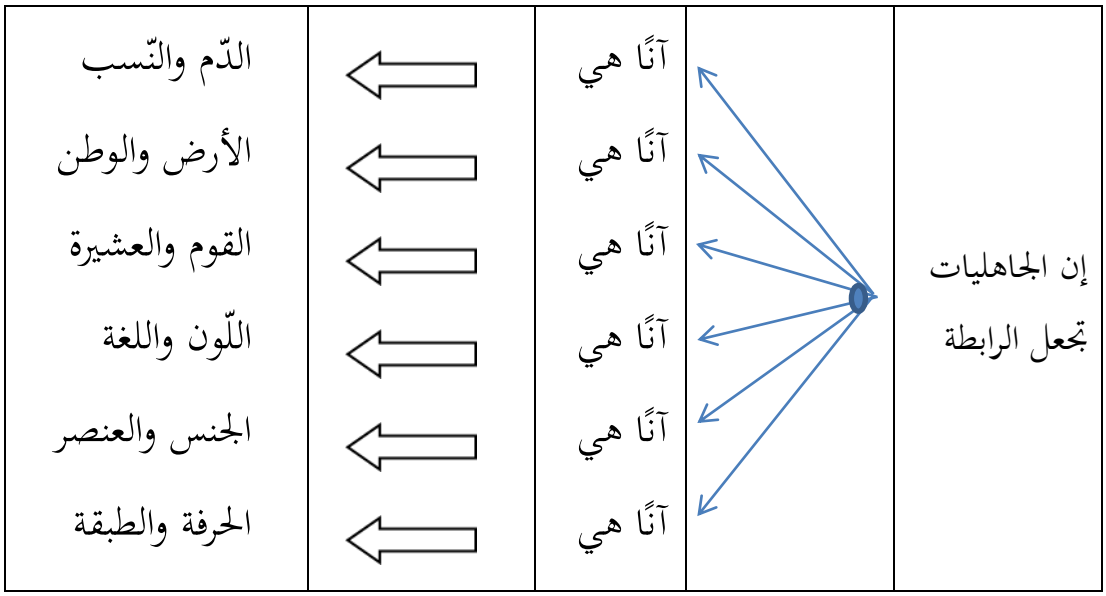

شكل رقم (4)

أورد الكاتب هذه التفاصيل، وعدّد الرّوابط المختلقة إلى حدّ الاطناب، ليبيّن أنّ الأمر دُبر بليل لتشتيت النّاس، حتى يسهل اقتيادهم واضطهادهم ولا يقوُون على المقاومة، وإذا كان هذا التّعداد يضجر المتلقي، ويجعله يحسّ بالملل، فإنّ الجاهليات لا تسأم ولا تملّ، إذ تجعل هذه الروابط تتجدّد مع تجدّد العصور، فيختلقون لكلّ عصر ما يلائم بيئته، لذلك لم يجمعها معطوفة بعضها على بعض في تركيب واحد، كما هو الأمر

(1) - في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1886.

مع التركيب الذي يليها: « تجعلها آنا هي المصالح المشتركة، أو التاريخ المشترك، أو المصير المشترك»[1].

ومنه كذلك الشاهد:

5- « بعدًا لهم مِن الحيَاةِ فقدْ ذَهَبُوا، وبعدًا لهم من رحمَةِ اللهِ فقدْ لُعِنُوا، وبعدًا لهم من الذّاكِرةِ فقدْ انْتَهُوا ... وما عَادُوا يسْتَحِقُّونَ ذِكْرًا ولا ذِكْرَى!»[2].

نلحظ تكرارا للنّسق: [بعدا لهم من ... + فقد ...]، الذي يمسك عرى هذه الجمل المتتالية، مع تغيير يمسّ الوحدات الدلالية التي تكوّن الاسم المجرور، في كلّ جملة: (الحياة، رحمة الله، الذاكرة)، والوحدات الدلالية التي تكوّن الفعل الماضي بعد (فقد): ذهبوا، لعنوا، انتهوا، فهي تنبئ عن البؤرة التي يتمركز الشعور حولها:

تكرار	استبدال	تقابل	تكرار	استبدال
بُعدًا لهم من	الحياة	⟸	فقدْ	ذهبوا
وبُعدًا لهم من	رحمة الله	⟸	فقدْ	لُعِنوا
وبُعدًا لهم من	الذاكرة	⟸	فقدْ	انتهوا

شكل رقم (5)

فصل الكاتب بين التراكيب المتوازية – هنا – بحرف العطف، وعلى الرّغم من ذلك فقد اختار تكرار عبارة الدعاء (بُعدًا لهم من)، وكثّف من حضور هذا النّسق النّحوي في التراكيب المتتالية بشكل خطيّ، ليعبّر من خلال ذلك عن مدّ انفعاليّ متوتر ينبسط فوق مساحة هذه التراكيب كلّها، حتى يكون له مسوّغ كاف لأن يدعو عليهم بزوال ما يسعون إليه من محامد (الحياة، رحمة الله، الذاكرة)، ويريح باله وبال المتلقي بتحقّق ما تمنّاه بذكر الفعل الماضي (ذهبوا، لُعنوا، انتهوا) مسبوقا (فقد).

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1886.

(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1879.

وفي قوله:

6- « حتّى وَهِمُوا أنّ هَذا هو الأصْلُ، وأنّ هَذا هو الفَضْلُ، وأنّ هَذا هو الأَدَبُ، وأنّ هذا هو الخُلُقُ! وأنَّ هَذا هو الصَّلاحُ »[1].

كثّف من حضور النّسق [أنّ هذا هو]، ويغيّر لفظا واحدا (الخبر) في آخر كل فاصلة، فيقدّم الدلالة المتشعبة في جرعات متتالية؛ ذلك أنّ تحوّل الوهم إلى عقيدة راسخة لا يكون دفعة واحدة، بل يتحوّل شيئا فشيئا حتى يرسخ. وتكرار البنية الدلالية ذاتها الذي اعتمده الكاتب، يكثّف الدلالة الإيحائية للنّص[2]، ويحمل المتلقي على الانتباه والتركيز حتى يتمثّل التجربة، ويرى القوم قد تغيرت عندهم المفاهيم، وهم مزهوون يتباهون بما آلوا إليه، غير مدركين للفساد العقدي والتشوّه المفهومي الذي هم فيه.

وكما تحقق التوازي بتكرار عناصر النّسق في الجملة الاسمية، نجده كذلك محقّقًا بتكرار بعض عناصر الجملة الفعلية، مثل قوله:

7- « هو الّذِي يَسْتحِقُ أنْ تُصَانَ فِيه الدِّمَاءُ، وتُصَانَ فِيهِ الأَمْوالُ؛ ويُصَانَ فيهِ النّظَامُ العَامُ »[3].

يكرر هنا النّسق [تصان فيه]، ويغير لفظ نائب الفاعل الذي فُصل عن الفعل بلفظ الجار والمجرور (فيه). فاكتفى بالإحالة بالهاء (فيه) على المجتمع المسلم الذي هو مركز الحديث، وكثّف الحديث عن حقوق هذا المجتمع، وما يجب أن يتوفّر فيه: من حقْنٍ لدماء النّاس، وسلامة أموالهم، واحترام لحرياتهم حتى يكون قمِنا بهذه التّسمية (المجتمع المسلم).

وعلى منوال آخر، يقول:

(1) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2683.

(2) – منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية: اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية. ط1، 1990م. ص83.

(3) – في ظلال القرآن: مج2، ج06، ص874.

8- « فهُوَ القَهْرُ والغَلَبَةُ والهَيْمَنةُ، في صُورَةٍ حِسِّيَةٍ تُناسِبُ المَوْقِفَ، وتُناسِبُ غَلاظَةَ القَوْمِ وشِدَّتَهُم، وتُناسِبُ صَلابَةَ أجْسَامِهِم وبُنْيَتَهم، وتُناسِبُ غَلَظَ حِسِّهِم ومَشاعِرَهم..»[1].

نجده في هذا الشكل من التوازي يعمد إلى تكرار نسق تركيبي بشكل مكثف محدثاً بعض التغيير في مكوناته، بحيث تضيف كل كلمة جديدة معنى إضافياً تراكمياً إلى المعاني السّابقة، وتصبح الدّلالة الأساس هي حاصل مكونات هذه الأنساق المتتابعة[2].

ويتكرر بناء الجملة الفعلية في أكثر من موضع، لأجل تفصيل الإجمال الوارد في: (تناسب الموقف) بحيث يحافظ على ذكر لفظ الفعل (تناسب)، مع تغيير يلحق عنصر المفعول به في كلّ تركيب، فيحيط بالفكرة التي انطلق منها:

الصورة الحسية	تناسب	الموقف
القهر	⟺	غلاظة القوم وشدتهم
الغلبة	⟺	صلابة أجسامهم وبنيتهم
الهيمنة	⟺	غلظ حسهم ومشاعرهم

شكل رقم (06)

هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿... مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا..﴾[هود/56] التي جاءت على لسان هود –عليه السلام- مخاطبا قومه الجبارين، فأطلق "سيد" حكما؛ أنّ هذه الآية تصوّر قدرة الله عزّ وجلّ التي تجسّد القهر والغلبة والهيمنة في صورة حسية ماثلة تراها العين، ثمّ يعلّل لذكر هذه الصفات بالتناسب مع موقف قوم هود: فالقهر يتناسب مع غلاظة القوم وشدتهم، والغلبة تتناسب مع صلابة أجسامهم وبنيتهم، والهيمنة تتناسب مع غلظ حسّهم ومشاعرهم.

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1899.

(2) – البدراوي زهران، أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث: دار المعارف، القاهرة، مصر. 1982م. ص103.

وفي قوله أيضا:

9- «.. ثُمّ أَخَذَهُمْ مَا أَخَذَهُمْ مِنَ العَذابِ المدَمِّرِ، حِينَ لمْ يَسْمَعُوا النَّذِيرَ. فلمْ تُغْنِ عَنْهُم قُوَّتُهم - وكانُوا أقْوَى - ولمْ يُغْنِ عَنْهُم ثَراؤُهُم - وكانُوا أغْنَى - ولمْ يَنْتَفِعُوا بِسَمْعِهُم وأبْصَارِهِمْ وأفْئِدَتِهِمْ - وكانُوا أذْكِيَاء -ولمْ تُغْنِ عنْهُم آلهتُهُمْ التِّي اتَّخَذُوهَّا تَقرُّبًا - بِزَعْمِهم - إلى اللهِ »[1].

نجده يكرر النّسق التركيبي للتوكيد "لم يغن عنهم ...- وكانوا...-"، ويغير في لفظ الفاعل، ويتبع ذلك بـ"كان" واسمها، ويغير في خبرها، فنتج عنه تواز في الفقرة لضرورة التّعداد، على الرّغم من التّغييرات الأخرى التي لحقت ملحقات التركيبين الثالث والرابع. وقد سلك هذا الضرب من التركيب لأجل أن يكثّف الدلالة الرئيسة بهذه التشعبات، فبعد أن يبين أنهم استحقوا العذاب لمّا لم يأبهوا للنذير، يعرض المانع الذي كانوا يتحصنون خلفه ولم يمنعهم، فقد كانوا أقوياء لكن القوة لم تنفعهنم، وكانوا أثرياء لكن الثراء لم ينفعهم، كما لم ينفعهم ذكاؤهم وآلهتم أيضا.

وفي قوله:

10- « ولمْ يَأخُذْهَا بُطُولَةً. ولمْ يَأخُذْهَا شَجَاعَةً. ولمْ يَأخُذْهَا انْدِفَاعاً إلى الخَطَرِ دُونَ مُبَالاةٍ. ولمْ يُظْهِرْ لِشَخْصِه ظِلاً ولا حَجْماً ولا وَزْناً.. إنّمَا أرْجَعَ الفَضْلَ كُلَّه للهِ إنْ هُو أعَانَهُ عَلى مَا يَطْلُبُ إلَيْهِ .. »[2].

كرر النسق التركيبي "ولم يأخذها" وغير لفظ المفعول الثاني (بطولةً، شجاعةً، اندفاعًا)، ولكنه لم يخرج عن الحقل الدلالي. كما توسّع في التركيب الثالث بإضافة الملحقات. فهي صفات يقتضي بعضها بعضًا؛ فلا بطولة بلا شجاعة والشجاعة تقتضي الاندفاع. ولم يعطف الصفات بعضها على بعض، بل رأى أن تستقل كلّ صفة بجملة،

(1) - في ظلال القرآن: مج6، ج26، ص3265.

(2) - في ظلال القرآن: مج5، ج23، ص2995.

فيُطيل العبارة، ويطول معه تلذذه والمتلقي بخصال نبي الله إسماعيل مع أبيه إبراهيم.

وفي التركيب الآتي يكرّر عناصر الجزء الأول، ويغيّر في بقية العناصر:

11- « لقَدْ عَفَا اللهُ عنْهُم بعْدَ اتّخَاذِهم العَجْلَ؛ وعَفَا عنْهُم بعْدَ الرَّجْفَةِ عَلى الجبَلِ»[1].

كرّر السّياق [عفا الله عنهم بعد..] مع تقليص في عناصره بأن أضمر الفاعل لفظ الجلالة "الله" في التركيب الثاني، وغيّر في العناصر الأخرى لفظا ونحوا؛ وتجنب التكرير الحرفي المطابق.

وكما كرّر تركيبا أو جزءا من التركيب، ألفيناه يكرّر لفظا واحدا من النّسق التركيبي، يكون فعلا أو اسما، ويكون في بداية التركيب أو في آخره.

ومن أمثلة تكرار لفظ في بداية التركيب، قوله:

12- « ثُمّ يمْضِي التّعْقِيبُ بعْدَ الدّعْوَةِ إلى المبَاهَلَةِ –وربّمَا كانَت الآيَاتُ التّالِيةُ قدْ نزَلَتْ بعْدَ الامْتِنَاعِ عنْهَا- يُقَرِّرُ حَقِيقَةَ الوَحْي، وحَقِيقَةَ القَصَصِ، وحَقِيقَةَ الوَحْدَانِيةِ التِّي يَدُورُ حَوْلهَا الحدِيثُ»[2].

نجده يكرر لفظ المفعول به (المضاف)، ويغير لفظ المضاف إليه كلّ مرّة:

تركيب مستعمل	
يقرّر	حقيقة الوحي وحقيقة القصص وحقيقة الوحدانية

تركيب متوقع		
يقرّر	حقيقة	الوحي والقصص والوحدانية

شكل رقم (07)

(1) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1382.

(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص405.

فعلى الرّغم من أنّ اللغة تمدّه بإمكانية حذف المضاف[1] وعطف المضاف إليه على الآخر إلاّ أنه أصرّ على إعادة ذكر المضاف، رغبة منه في استقصاء المعنى من جهة، وإعادة تصوّره في الذهن، والتأكيد عليه وإقراره في النّفس من جهة ثانية[2].

والأمر ذاته نلاحظه في التركيب الآتي:

13- « وهَكذَا تتَجَلَى بَسَاطَةُ هَذِه الحَقِيقَة .. حَقِيقَة عِيسَى، وحَقِيقَة آدَم، وحَقِيقَة الخَلْقِ كُلِّهِ »[3].

إنّ تكرار لفظ "حقيقة" يدلّ على التعدّد؛ لأنّها حقائق مختلفات، لكن مصدرها واحد. والظاهر أنّ "سيدا" متأثر جدّا بأسلوب القصص القرآني نفسه.

ويمكن تمثيله وفق ما يأتي:

تركيب مستعمل	
تتجلى بساطة هذه الحقيقة	حقيقة عيسى وحقيقة آدم وحقيقة الخلق كله

⇔

تركيب متوقع		
تتجلى بساطة هذه الحقيقة	حقيقة	عيسى وآدم والخلق كله

شكل رقم (08)

بُني التّوازي –هنا– على تماثل البداية، لأجل تنبيه توقع المتلقي[4] لما سيأتي.

وفي قوله:

(1) – يرى جمهور النّحاة جواز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إذا أمن اللبس.
– ينظر: ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تحقيق محمد محيّ الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. 1991م. ج2، ص716.

(2) – ينظر: نصر الدين بن زروق، الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم: دار هومة، الجزائر. 2013م. ص256.

(3) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص405.

(4) – ينظر: موسى ربابعة، قراءة النص الشّعري الجاهلي: جامعة اليرموك، الأردن. 1991م. ص89.

14- « الشُّبُهَاتُ ذَاتُهَا، والاتهَامَاتُ ذَاتُهَا ، والكبْرِيَاءُ ذَاتُهَا... »[1].

يقرّر أنّ التاريخ يعيد نفسه، وشدّة شبه اليوم بالأمس؛ فالأمر الذي حدث بالأمس هو ذاته اليوم، كأنّ شيئا لم يتغيّر: لا الزمان ولا المكان ولا القوم، وساق مجموعة من الحقائق مردوفة باللفظة "ذتها":

تركيب مستعمل		تركيب متوقع	
الشبهات	ذاتها	الشبهات	ذاتها
والاتهامات	ذاتها	والاتهامات	
والكبرياء	ذاتها	والكبرياء	

شكل رقم (09)

لم يعطف هذه الألفاظ بعضها على بعض في تركيب واحد (تركيب متوقع)؛ حتّى لا تبدو أنّها شيئ واحد، بل فصل بعضها عن بعض؛ لتبدو أشياء متعدّدة، لأن احتمال التّشابه في أمر واحد على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأقوام وارد، لكن التّشابه في أمور كثيرة احتمال ضعيف. ولتثبيت الفكرة في الأذهان أردف كلّ لفظ بالتوكيد اللفظي "ذاتها".

ومن أمثة تكرار لفظ في آخر التركيب، قوله:

15- « فَنَغْمَةُ الدّعَاءِ، ومُوسِيقَى الدّعَاءِ، وجُوُّ الدّعَاءِ ... كُلُّهَا حَاضِرَةٌ كَأنَّهَا تَقَعُ اللّحْظَةَ حَيَّةً شَاخِصَة مُتَحرِكَةً ... »[2].

إنّ حسن تلقي سيد قطب للآية القرآنية جعله يتفاعل مع دعاء إبراهيم وابنه اسماعيل –عليهما السّلام– ويترجمه في هذه التراكيب المتتالية، التي تعلو شيئا فشيئا، بدءا بالخاص وانتهاء بالعام، فالنغمة جزء من الموسيقى، والموسيقى جزء من الجو العام؛ لكنه

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1871.

(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص114.

ينسبها كلّها للدّعاء، في هذا النسق المتوازي الذي جعله متحركا ينطلق من نقطة ضيّقة ثم يتسع شيئا فشيئا حتى يعمّ المكان كلّه. وإنّ تكرار لفظ الدّعاء، وجعله فاصلة؛ فمردّه العناية به، « والعرب إذا اعتنت بشيء واهتمت به كررته، وإنّ ذلك من فصيح كلامهم» [1].

وقد يحافظ على النّسق التركيبي في تراكيب متتالية، وبعد ذلك يوسّع عناصر النّسق، ليخالف به توقع المتلقي، مع المحافظة على لفظة تتكرر في الأنساق الأخرى؛ ليبقي المتلقي مشدود الانتباه به.

ومن ذلك قوله:

16- « بالهَوْلِ آنًا وبالجَلالِ آنًا، وبالعَذَابِ آنًا، وبالحَرَكةِ القَوِيَّةِ في كُلِّ آن! » [2].

نلاحظ ثلاثة تراكيب متتالية متطابقة، يحافظ على توازن العناصر المكونة لها، كما يتكرر فيها لفظ بعينه- لفظ "آنًا"- في آخر كلّ تركيب، وفق النّسق النّحوي المتكرّر الآتي: [بـ + اسم مجرور + آنًا]، ثم يوسّع عناصر التركيب الأخير.

ونجد هذا القبيل في قوله:

17- « ثمّ يَجُولُ مَعَهُم جَوْلاَتٍ شَتّى: يَسْتَنْكِرُ مَوقِفَهُم مَرّةً، ويَسْتَعْرِضُ شُبُهَاتِهِمْ مَرّةً، ويَلْمُسُ وِجْدَانَهُمْ بِدَلائِلِ الإيمَانِ في أنْفُسِهِمْ وفي الآفَاقِ مَرّةً، ويَأخُذَهُمْ بِمُسَلمَاتِهِمْ فيَجْعَلهَا حُجَّةً عَلَيْهِم مَرّةً » [3].

حافظ على النّسق النّحوي في التركيبين الأول والثاني [فعل+ فاعل+ مفعول به + مرّة]، ليتسع بعد ذلك لعناصر أخرى في التركيبين الرابع والخامس مع المحافظة على اللفظة [مرّة] في آخر كلّ نسق، ليجمع بين التكرير المتّفق والتكرير المختلف.

(1) – نصر الدين بن زروق، الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم: ص258.

(2) – في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3674.

(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج18، ص2471.

ومن أشكال التوازي التركيبي التي وظفها "سيد"، أنّه يعمد إلى ذكر تركيب مجمل، ثم يُتبعه بنسق متكرّر، أكثر تفصيلا من خلال ما يطرأ عليه من تغييرات في العناصر، ومثل هذا التوازي من شأنه أنْ يهيئ الفرصة لتنامي النّص؛ بإضافة عناصر جديدة تكون قادرة على تكوين تيار دلالي متدفق في ذهن المتلقي، يمكّنه من ملء الفراغ الذي يخلفه النّص، ويحقّق المتعة الجمالية المنشودة[1]. ومثال ذلك قوله:

18- « إنّهُ الإيمَانُ. والثّقَةُ. والاطْمِئْنَانُ. . الإيمَانُ باللهِ، والثّقَةُ بِوعْدِه، والاطْمِئْنَانُ إلى نَصْرِه.. »[2].

ورد خبر إنّ مجملا "الإيمان والثقة والاطمئنان" عطف فيه هذه المصادر بعضها على بعض، ثمّ أعاد ذكرها مرتبة، ملحقا بكلّ عنصر جارا وجرورا، وهي بمثابة بدائل تفصّل الشّقّ المجمل، وأسلوب تفصيل المجمل يشكلّ فيه استقصاء، وفي جلّ الشواهد السّابقة واللاحقة.

19- « وجَعَلَ التّوكُّلَ عَلى اللّهِ مُقْتَضَى هَذا وذَاك .. مُقْتَضَى الاعْتِقَادِ في اللّهِ، ومُقْتَضَى إسْلاَم النّفْسِ لهُ خَالِصَةً والعَمَل بما يُرِيدُ..»[3].

جاء التركيب مجملا – بادئ الأمر– في اسمي الإشارة (هذا وذاك)، واسم الإشارة على الرّغم من أنّه اسم معرفة لكنّه يحتاج إلى ذكر بعده، دفعا لكلّ غموض، إلاّ أنّ "سيدا" لم يذكر المشار إليه، بنِيَّة تكرار التركيب في التّفصيل الذي يتبعه؛ لإظهاره وتوجيه الاهتمام إلى الفكرة التي يريد[4]. فالتوازي نتج عن تكرار لفظ البدل لأجل التّفصيل.

وفي قوله:

(1) – مسلم الأسدي (مسلم مالك بعير)، لغة الشّعر عند أحمد مطر: رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق. أيلول 2007م. ص178.

(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1899.

(3) – في ظلال القرآن: مج3، ج11، ص1815.

(4) – محمود شفيق لاشين، شعر عمر أبو ريشة (قراءة في الأسلوب): الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة. ط1، 2009م. ص216.

20- « فكُلُّهُمْ سَارَ في هَذا الطَرِيق. كُلُّهُمْ عَانَىَ. وكُلُّهُمْ ابْتُلِيَ. وكُلُّهُمْ صَبَرَ »[1].

إنّ طريق الأنبياء في دعوة أقوامهم، ليس طريقا سالكا دائما على الرّغم من المعجزات التي أُيِّدوا بها، فمسيرة الأنبياء –على تباينها- تتراوح بين المضايقات الكلامية والقتل. وهذا أمر معروف، لكن الكاتب أبى إلا أن يردف هذا الإجمال (في هذا الطريق) بتراكيب متتالية في نسق متطابق: [كلّ + هم + فعل ماض]، ليوضح المعالم العامة والمشتركة بينهم، فنتج عن ذلك تواز تركيبي من تكرار هذا النّسق.

قد يلجأ الكاتب إلى صنف من الجمل المتوازية تندرج في سياق تعداد الخصال والمثالب، فيحافظ على النّسق النّحوي في التراكيب المتوالية، كما يحافظ على تكرار لفظ في بداية كلّ تركيب، من أمثلته:

21- « والابْتِلاَءُ أَلْوَانٌ. ابْتِلاَءٌ لِلصّبْرِ. وابْتِلاَءٌ لِلشّكْرِ. وابْتِلاَءٌ لِلأجْرِ. وابْتِلاَءٌ لِلتّوْجِيهِ. وابْتِلاَءٌ لِلتّأدِيبِ. وابْتِلاَءٌ لِلتّمْحِيصِ. وابْتِلاَءٌ لِلتّقْوِيمِ.. »[2].

ينص في مستهل كلامه على أنّ الابتلاء ألوان، ثم يعدّد هذه الألوان في تراكيب متتالية ومتطابقة على نحو: [ابتلاء (لفظ يتكرر) + جار ومجرور]، مع الفصل بينها بحرف العطف.

ومن الضرب نفسه قوله:

22- « مِنْ هَذا الحَقّ الكَبِير تَتَفَرّعُ سَائِرُ الحُقُوقِ. الحَقّ في خِلافَةِ الأرْضِ. والحَقُّ في الحُكْمِ بيْنَ الخَلْقِ. والحَقُّ في تَقْوِيمِ مَشَاعِرِ النّاسِ وأعْمَالِهِم.. »[3].

ذكر الحقّ الكبير المتمثل في خلق السّموات والأرض، وهذا الحقّ يستوجب حقوقا أخرى لها ارتباط مباشر بالحقّ الأول، فمَنْ خلَق الأرض مِنْ حقّه أنْ يخلُف فيها منْ يشاء، ومنْ حقّه أنْ يحكم بين منْ خلَفَهم فيها، وكذلك من حقّه أنْ يقوِّم مشاعرهم

(1) – في ظلال القرآن: مج5، ج23، ص3016.

(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج18، ص2466.

(3) – في ظلال القرآن: مج5، ج23، ص3019.

وأعمالهم. فسرد الحقوق المترتّبة عن الحقّ الأوّل، في تراكيب متطابقة نسبيا، حافظ فيها على تكرار لفظ حقّ، وشبه جملة مع تغيير في ملحقاتها، وفق هذا النسق:

[الحقّ + جار ومجرور + ملحقات(متغيرة)].

ففي هذا المثال –وما قبله– يذكر المعنى مجملا في الجملة الأولى ثمّ يفرّعها إلى جمل متتالية، يتّحد بعضها مع بعض، ليشكّل تنويعًا ترادفيًّا لمفردات النّص، « مما يسمح لها بالتضافر والانسجام والتكثيف والإيحاء، لتعبّر بدقّة عن بنية الجملة النووية»[1]، لا سيما وغايته رفع حدّة التوتّر، وتكثيف الدلالة، ليزيد من قابلية المتلقي على التّأثر بالنّص والاحساس به.

(1) – عصام شرتح، ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل: منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2005م. ص117.

ثانيا: التّوازي المتماثل

التّوازي المتماثل أرحب من التّوازي المتطابق، فكلّ تطابق تماثل، وليس كلّ تماثل تطابقاً؛ إنّه عبارة عن علاقة تماثل – تتّم على مستوى أو مستويات لسانية– بين طرفين أو أكثر، مبني على نمذجة افتراضية، لذلك قد تتحقّق جميع عناصره في بنية ما، وإلاّ لجأنا إلى تقدير عناصره[1].

هذا الشّكل من التّوازي توفّر لدى الكاتب، إذْ يعمد إلى تكرار النّسق النّحوي المتماثل بكيفية متواترة، مع المحافظة على مكوّنات الجمل.

ومن أمثلة ما يكون المكرّر فعلا قوله:

23- « ظِلٌّ عُلْوِيٌّ جَلِيلٌ، تَخْشَعُ لهُ القُلُوبُ، وتَسْكُنُ لهُ النّفُوسُ، وتَعْنُو لهُ الجِبَاهُ »[2].

جاء بالنّسق النّحوي: [فعل مضارع + جار ومجرور+ فاعل]. وكرّره ثلاث مرات، مع المحافظة على مكوّنات الجمل الفعلية من دون تغيير، بلا زيادة ولا نقصان. فالكاتب أراد أنْ يعطي المعنى حقّها، ونلْمح ذلك في قوله في العبارة السّابقة « وللسّورة ظلّ خاص يغمر جوَّها كلّه »[3]، ثم انبرى يصوّر لنا هذا "الظل العلوي الجليل" وما به من هالة تشخصُ لها الأبصار، ويحسّ الكاتب أنّ تعبيره عاجزٌ عن إعطائه حقّه ومستحقه، فيتدرج في المعنى من عبارة إلى أخرى، موظفا عبارات متوازية، عكست نسقا موحّدا من التركيب؛ لما بين وحداتها من تماثل ناتج عن الصّورة نفسها، ساعد على تقوية الفكرة باعتباره حجة جمالية إقناعية[4].

ونجد الأمر نفسه في قوله:

(1) – محمد مفتاح، التلقي والتأويل: ص156.
(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2327.
(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2327.
(4) – محمد مفتاح، التلقي والتأويل: ص150.

24- « والإنْسَانُ مخلوقٌ مِنْ مَادَةِ هذِه الأرْضِ. عنَاصِرُ جِسْمِه كلِّهَا مِنْ عنَاصِرِهَا إجْمَالاً. ومِنْ زَرْعِهَا يَأكُلُ، ومِنْ مَائِهَا يَشْرَبُ، ومِنْ هَوائِهَا يتَنفّسُ »[1].

نصّ الكاتب على أنّ العناصر المكوّنة لجسم الإنسان، هي العناصر المكونة للأرض ذاتها، ثمّ جاء بتفصيل ذلك إيضاحا للفكرة في نسق نحوي متماثل [عطف+ جار ومجرور(مقرون بضمير)+ فعل مضارع]. إذ يكرّر جملة فعلية مضارعية تحمل دلالة الاستمرارية، يتقدّمها الجار والمجرور ليسرد بعضًا من مواد الأرض التي تدخل في مكونات جسم الإنسان، وإنَّ تكرار النّسق النّحوي على هذا المنوال، من شأنه أنْ يشيَ بتوازِ أهميةِ هذه المواد في جسم هذا المخلوق.

وكثيرا ما يُتبِع التّركيب بتركيب ثان أو أكثر مواز له، من مثل قوله:

25- « إنّهُ فَيْضُ الكرَمِ الإلهِيِّ يُغْدِقُه عَلى عَبْدِه الذِّي دَعَاهُ في ضَراعَةٍ، ونَاجَاهُ في خِفْيَةٍ، وكَشَفَ له عَمَّا يخْشَى، وتَوَجَّهَ إلَيهِ فيمَا يَرْجُو »[2].

توسّع الكاتب في صلّة الموصول[*]؛ لتصوير العبد الذي يناله الكرم الإلاهي، في تراكيب معطوف بعضها على بعض، وتشكّلت وفق نسقين:

أ- [فعل ماض + مفعول (ضمير متصل)+ جار ومجرور]

ب- [فعل ماض +جار ومجرور(ضمير متصل)+جار ومجرور+فعل مضارع].

إنّ وقع هذا التوسّع في صلة الموصول، والتّلوين في النّسق النّحوي غالبا ما يكون أشبه بالمد البصري بين ما هو فيزيائي وما هو خيالي، إلى ما ليس له حدّ، وبما لا يقف عند مدّ، إذ يُنبئ أنّ هذا الكرم واسع، ويطال أصنافًا مختلفة من العباد لا تحصى[3].

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2339.

(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2303.

(*) – المقصود بالتوسّع في صلة الموصول، أن الكاتب لا يكتفي بجملة واحدة، بل يردفها بجملة أو جمل أخرى معطوفة عليها تجعل المعنى أكثر رحابة.

(3) – ينظر: حسين جمعة، التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية وفكرية وأسلوبية) : منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية. ط1، 2005. ص146.

وكذلك في قوله:

26- « وحقَّتْ عَلَيْهِ اللّعْنَةُ، وكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّغَارُ »[1].

إنّ تتابع التّعبير بهذا الشّكل من شأنه أنْ يُبرز الانفعال المتزايد الذي يكتنف أنَا الكاتب من ناحية، والتّوازي الدلالي الذي يتجسّد في التراكيب المتتالية من ناحية أخرى[2]. ذلك أنّ إبليس هو عدوّ الإنسان الأول، وقد رسخ في اعتقاد كلّ إنسان أنّ إبليس كان سببا في خروج أبي البشرية آدم –عليه السّلام– من الجنّة أول الأمر، وهو سبب جنوح الإنسان إلى الرذائل في الحياة الدّنيا آخر الأمر–كذلك–، والتّعبير عن الحنق والغضب الدفينين في نفس الإنسان لا تسعهما العبارة الواحدة.

وفي قوله:

27- « فتَكيّفُوا بِهِ في حَيَاتِهم اليَومِيَةِ. تَكيّفُوا بِهِ في مَشَاعِرِهِمْ وضَمَائِرِهِمْ، وفي سُلُوكِهِمْ ونَشَاطِهِمْ. وفي بُيُوتِهِمْ ومَعَاشِهِمْ »[3].

هذه التراكيب المعطوفة والمتتالية استدعتها ضرورة توضيح الفكرة؛ ذلك أنّ الحياة اليومية متشعبّة، ومن الضّروري توضيح جوانب حياتهم اليومية التي استطاعوا أن يطوّعوها للقرآن. فالتّطويع لحق خباياهم، كما ظهر في تصرفاتهم، وكذلك عمّ كلّ ما يتعلّق بحياتهم المعيشة.

وقوله:

28- « إنّمَا يُلْقُونَ بِهَذا القَوْلِ الغَامِضِ الذّي لا يُحِقُّ حَقًّا ولا يُبْطِلُ بَاطِلاً ولا يَدْفَعُ دَعْوَى »[4].

(1) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1266.

(2) – البدراوي زهران، أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث: ص103.

(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج15، ص2253.

(4) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص 2694.

حافظ الكاتب على التماثل في التراكيب، وفق هذا النّسق النّحوي:

[لا نافية + فعل مضارع + مفعول]

ليصوّر ردّ آل فرعون لمّا جاءهم موسى بالبينات: ﴿ مَا هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُفْتَرى، وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأوَّلِينَ﴾(القصص/36)، إنّه ردٌّ غير مؤسَّس ولا يقوم على دليل؛ فهو لا ينتصر لحقّ، ولا يثور على باطل، ولا يقيم حجة على دعوى ادّعاها.

أما في قوله:

29- « لقَدْ نَشَأَ هَذا الحُكْمُ -كَمَا نَزَلَتْ تِلْكَ النّصُوصُ- في مجتَمَعٍ مُسْلِمٍ؛ ليُطبَّقَ في هَذا المجْتَمَع؛ وليَعِيشَ في هَذا الوَسَط؛ وليُلبيَ حَاجَةَ ذَلك المجْتَمَع. وِفْقَ نَشْأتِه التَّارِيخِيَة، ووِفْقَ تَركِيبِه العُضْوِيّ، ووِفْقَ وَاقِعِه الذَّاتيّ. فهوَ مِنْ ثمّ حُكْمٌ إسْلامِيٌّ جَاءَ ليُطبّقَ في مجْتَمعٍ إسْلامِيٍّ .. وقدْ نَشَأَ في وَسَط وَاقعِيٍّ ولمْ ينْشَأ في فَراغٍ مثَاليٍّ.»[1].

جمع –هنا- بين توازيات متنوعة؛ منها التّوازي النّحوي الصّرفي بين التركيبين: «ليطبّق في هذا المجتمع؛ وليعيش في هذا الوسط» و « وفق نشأته التاريخية، ووفق تركيبه العضوي، ووفق واقعه الذاتي».

ووظيفة هذا النّوع من التوازي تقوية الفكرة المراد تقديمها، بالتأثير المباشر على الأذن، وترسيخ المعنى في نفس المتلقي[2].

وقد يعمد الكاتب إلى تكرار النّسق النّحوي بشكل متواتر، مع إحداث تغيير في مكونات الجمل، بزيادة عناصر أو نقصان أخرى.

ومن أمثلة هذا الضرب، قوله:

30- « لِيَرُدَّ الجَاحِدِينَ إلى الاعْتِرَافِ، ويَرُدَّ الكافِرِينَ إلى الشُّكْرِ، ويَرُدَّ الغَافِلِينَ إلى الذِّكْرِ، ويَرُدَّ الشَّارِدِينَ مِنْ أبْنَائِهِ إلى سِيرَةِ أبِيهِمْ »[1].

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2007.

(2) – موسى ربابعة، قراءة النص الشّعري الجاهلي: ص139.

حافظ على تواتر النّسق النّحوي في التراكيب الثلاثة الأولى وفق:

[فعل مضارع + مفعول به+ جار ومجرور]

وهو ما يُوحي بتطابق الأثر النّفسي عنده، ثمّ أحدث تغييرا بإضافة عناصر جديدة إلى التركيب الرابع: [فعل مضارع +مفعول به+جار ومجرور+ جار ومجرور+ مضاف إليه]. فكان الكاتب أكثر رأفة ورحمة بأبناء إبراهيم، فلم يسوّهم بغيرهم، لأنّ سيرة أبيهم ماثلة أمام أعينهم تُعيدهم إلى الحقّ في أيّ لحظة.

وكذا في قوله:

31- « وقدْ تَلَقَّى مُوسَى مَا تَلَقَّى، وقدْ شَاهَدَ كذَلك مَا شَاهَدَ »[2].

ذكر الكاتب في التركيب الأول الفاعل، وفي التركيب الثاني أضمره وأضاف لفظ "كذلك"، ولم يكتف بذكر ما تلقاه موسى من تكليف منذ طفولته الباكرة، واحتاج إلى التأكيد بمشاهدة العين، على الرغم من أنّ المشاهدة هي نوع من التلقّي.

إنّ هذا التّنويع الأسلوبي له دور تأثيريّ على حساسية المتلقي الذي كان يتوقّع تكرار بناء معيّن ثمّ يصدم بما يخالف توقعه، من خلال زيادة العناصر التي تُسهم في غالب الأحيان في تقييد الدّلالة، وفي التّكثير كذلك (ما تلقّى —ما شاهد).

فالجمل تحافظ على ترتيب عناصرها غير أنّ كلّ جملة تزيد عن سابقتها بعنصر لغوي أو أكثر، وبين التوقّع ومخالفته يحدث التأثير في المتلقي [3].

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2109.

(2) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2693.

(3) – جمال الدين بن الشيخ، الشّعرية العربية: ترجمة مبارك حنون، ومحمد الولي، ومحمد أوراغ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 1996م. ص915.

*** جملة اسمية متوازية نحويا:**

قد يعمد الكاتب إلى تكرار النّسق النّحوي المتماثل بشكل متواتر، مع المحافظة على مكونات الجمل، ويكون النّسق المكرر جملة اسمية.

من أمثلته قوله:

32- « فالكَلاَمُ هَمْسٌ. والسُّؤَالُ تَخَافُتٌ. والخُشُوعُ ضَافٍ. والوُجُوهُ عَانِيةٌ. وجَلالُ الحَيِّ القَيُّومِ يَغْمُرُ النّفُوسَ بالجَلالِ »[1].

استرسل الكاتب في التعبير، سالكا توالي الأنساق النّحوية المتماثلة، على منوال واحد: [مبتدأ (مقرون بـ"ال")+ خبر(نكرة)]، بحيث يعطف التركيب على الآخر حتى يبلغ بالمتلقي إلى ما يريد في رويّة؛ فوظّف التصوير المتتابع بتعابير قصيرة، وحقل دلالته الصّمت (همس، تخافت، خشوع)، ليتناسب والمشهد الرّهيب أمام الخالق -جلّ شأنه- يوم القيامة.

ومنه أيضا قوله:

33- « وأَهْلُ الكِتَابِ همْ أَهْلُ الكِتَابِ، والكُفَّارُ هُم الكفَّارُ. والدِّينُ هُو الدِّينُ »[2].

حيث يقرّر ما يريد من دون أنْ يهزّ فكر المتلقي بجديد يخالف توقعه، محافظا على النّمط النّحوي: [مبتدأ + ضمير الفصل(هم)+ خبر]. والضمير الفاصل للتوكيد وقطع الشّك من نفس المتلقي، فالكتابيّ كتابيّ، والكافر كافر، والدّين دين ولا شيء غير ذلك.

ومن القبيل نفسه، يأخذ "سيد" المتلقي بلطف في قوله:

(1) - في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2352.

(2) - في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص136.

34- « هَذا نَصِيبُ مُوسَى. وهَو نَصِيبٌ عَظِيمٌ. وهَذِه عَاقبَةُ مُوسَى. وهِي عَاقبَةٌ كرِيمَةٌ»[1].

نجده يقرّر الحكم، ثم يعلّق عليه آخذا بيد المتلقي لتقبّل الحكم الذي ارتضاه؛ فيذكر نصيب موسى الذي أتاه الله الكتاب، ويعقّب عليه بأنّه نصيب عظيم، ثم يذكر عاقبة موسى الذي نصره الله على فرعون وجنوده، ويردفها تعقيب بأنها كريمة. وهو في كلّ هذا يحافظ على النّسق النّحوي المتماثل والمتتابع ليثبّت الأفكار في الأذهان[2].

ومن التّوازي الذي يُعمد فيه إلى تكرار النّسق النّحوي المتماثل بشكل متواتر، مع تغيير في بعض مكونات الجمل الاسمية، قوله:

35- « وكُلُّ ذُرَّةٍ فِيهِ تَنْبُضُ، وكُلُّ خَلِيَّةٍ فِيهِ تَحْيَا، وكُلُّ حَيٍّ فِيهِ يتَحَرَّكُ، وكُلُّ كائِنٍ فِيهِ يتَفَاعَلُ أو يتَعَامَلُ معَ الكائِنَاتِ الأخْرَى... »[3].

حافظ على النّسق النّحوي في التراكيب الثلاثة الأولى:

[مبتدأ (كلّ + مضاف إليه)+ جار ومجرور (فيه)+ خبر (جملة فعلية مضارعية)]، مع تغيير في التركيب الرابع؛ بزيادة فعل مضارع مع متعلقاته معطوفا على السّابق.

وهذا النّوع من التّوازي الذي يبنى على تماثل البدايات، لا يقتصر أثره على مستوى الفضاء البصري للنص، بل يمتدّ ليثير توقع القارئ ويحدث توترا على مستوى الإيقاع والتركيب والدلالة[4].

والأمر نفسه نجده في قوله:

36- « دَعْوَةٌ فِيهَا الألَمُ. وفِيهَا الالْتِجَاءُ. وفِيهَا الاسْتِسَلامُ. وفِيهَا -بعدَ ذلِك- المفَاصَلَةُ والحسْمُ والتَّصْمِيمُ »[1].

(1) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2695.

(2) – حسن الشيخ، البديع والتوازي: ص31.

(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2338.

(4) – موسى ربابعة، قراءة النص الشّعري الجاهلي: ص132.

حافظ على النّسق في التراكيب الثلاثة الأولى، وأحدث تغييرا في نسق التركيب الرابع؛ فاعترض بين المبتدأ المؤخر (المفاصلة) ومتعلّق الخبره المحذوف (فيها)، ثم عطف عليه (والحسم والتصميم) ليوجّه الانظار إلى ما يكتنف هذه الدّعوة من عسر، ومايترتب عليها من تحمل مسؤولية القرار وتبعاته.

وقد يؤدي التّغيير في النّسق إلى تغيير الوحدة النّحوية تماما، كقوله:

37- « وكُلُّ قُوَّةٍ – غَيْرَ قُوَّةِ اللهِ – هَزِيلَةٌ، وكُلُّ سُلْطَانٍ – غَيْرَ سُلْطَانِ اللهِ– لا يُخَافُ؟! »[2].

حيث أحدث تغييرا على الوحدة النّحوية (الخبر) في آخر النّسق:

-نسق الجملة الأولى: [مبتدأ(مضاف ومضاف إليه)+ اعتراض + خبر(مفرد)]

-نسق الجملة الثانية: [مبتدأ(مضاف ومضاف إليه)+ اعتراض + خبر(جملة فعلية)]

فتحوّل من الإخبار باللفظ المفرد (هزيلة) إلى الإخبار بالجملة الفعلية(لا يخاف).

ويكون التّوازي ناتجا عن توالي أنساق نحوية في شكل أشباه جمل متعاطفة، في نحو قوله:

38- « ومُتَنوِّع الوسَائِل في دَأْبٍ طَوِيلٍ، وفي صَبْرٍ جمِيلٍ، وفي جَهْدٍ نَبِيلٍ »[3].

ساق أشباه جمل مسجوعة، ومتوازية نحويا وصرفيا.

كما يلجأ إلى تغيير عناصر تركيب من التراكيب، في مثل قوله:

39- « فَكُلُّ أوْلئِكَ مَوْصُول بمصْدَر واحِدٍ هُو الحَقُّ المتَمَثِّل في ذاتِ اللهِ سُبْحَانَه وفي قَضَائِهِ وقَدَرِهِ، وفي تَدبِيرِهِ وتَصرِيفِهِ، وفي حسَابِهِ وجَزَائِهِ، في الخَيرِ وفي الشَرِّ سَواءٌ »[4].

(1) – في ظلال القرآن: مج2، ج06، ص871.

(2) – في ظلال القرآن: مج2، ج7، ص1142.

(3) – في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3715.

(4) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1905.

توازت الأنساق نحويا وصرفيا على امتداد التراكيب الثلاثة، وفي التركيب الرابع يتجدّد النّسق وينكسر الإيقاع فجأة محدثا كسر أفق القارئ الذي أَلِفَ إيقاع الأنساق السّابقة ويرجو تواصلها، فيحذف حرف العطف ويعرف الاسم المجرور بـ "ال" التعريف بدلا من الضمير المتصل، إيذانا بأنّ الفكرة قد اكتملت[1].

(1) – ينظر: حسين جمعة، التقابل الجمالي في النص القرآني: ص147.

ثالثا: التوازي المتقابل

قد يلجأ الكاتب، في تحقيق بنية التوازي، إلى تكرار بنيتين تركيبيتين متعادلتين ومتتاليتين، لكنهما متقابلتان تقابلا ضدّيا من حيث دلالة عناصرهما[1]، وتتميّز بنية التّوازي المتقابل بوجود تقابل دلالي بين عنصرين أو موقعين في النّسق، فتتعزّز الدلالة ببيان وجه الصّلة العميقة بين شيئين متضادين.

ومن أمثلة النوع، قوله:

40- « وَمَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِهِ أَنْ يَجْتَمِعُوا هُمْ والعَالمونَ عَلى مَعْصِيتِهِ، وَمَا يَزِيدُ في مُلْكِهِ أَنْ يَجْتَمِعُوا هُمْ والعَالمونَ عَلى طَاعَتِهِ »[2].

لجأ الكاتب إلى تكرار بنيتن تركيبيتين محافظا فيهما على النّسق النّحوي ذاته، لكنه قابل ضديّا بين بعض عناصرهما الدّلالية[3] كـ (ينقص من، يزيد في)، (معصيته، طاعته)، على هذا النحو:

فالله غني عنهم وعن العالمين أجمعين	وما ينقص من ملكه أن يجتمعوا هم والعالمون على معصيته
	≠ ≠
	وما يزيد في ملكه أن يجتمعوا هم والعالمون على طاعته

فبعد أن بيّن ظلم بني إسرائيل لأنفسهم، وأنّ هذا الظلم لا يطال الله، ولا يحيق إلاّ بأنفسهم، قرّر: "فالله غني عنهم وعن العالمين أجمعين"، ويردف القول بسلسلتين متواليتين للنّظام الصّرفي النّحوي نفسه، مصاحب بتكرارات وباختلافات معجمية دلالية[4]. والتركيبان يتماثلان في مواقع متقابلة في علاقتهما بالتركيب الأول، فالله غني

(1) – مسلم الأسدي، لغة الشّعر عند أحمد مطر: ص180.

(2) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1382.

(3) – مسلم الأسدي، لغة الشّعر عند أحمد مطر: ص181.

(4) – محمد كنوني، (التوازي ولغة الشعر)، مجلة فكر ونقد، المغرب. ع18، ابريل 1999م. ص80.

عنهم وعن العالمين؛ إذْ إنّ معصية بني إسرائيل لله، وتضاف إليها معصية العالمين جميعا لا تنقص من ملكه شيئا، كما أنّ طاعتهم وطاعة العالمين جميعا لا تزيد في ملكه شيئا.

وقد ساوى الكاتب بين مكونات التركيبين، وقابلهما معنويا، ليبيّن أنّ الله غني عن الطاعة، وغني عن العصيان، وأن ملكه لا يزيد بطاعة العباد، ولا ينقص بعصيانهم، فالغنى يطال الطاعة والعصيان على السّواء، ولا ينفع الله –سبحانه– ولا يضرّه، إنّما فيهما نفع للإنسان ومضرّة له. وما عصيان بني إسرائيل لله والتواؤهم عن طريقه المستقيم إلاّ ظلم لأنفسهم.

وقد يكون التوازي للتّمثيل لمتباعدين، ويظهر في قوله:

41- « وعَلِمْنَا أنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ قدْ صَبَرُوا فَلَقوا جَزَاءَ صَبرِهِم الحُسْنَى، وأنَّ فرعَونَ وآلِهِ فَجَرُوا فَلَقُوا جَزَاءَ فُجُورِهُم الدَّمَارَ »[1].

نلاحظ أنّ ثمّة تشابها في البنى التركيبية، وفي الوقت ذاته هناك تغاير في بعض البنى الدلالية، نحو: (صبروا، فجروا)، (جزاء صبرهم، جزاء فجورهم)، (الحسنى، الدّمار). وليوضح الكاتب للمتلقي أنّ الجزاء يكون من جنس العمل، يلجأ للموازنة المبنية على المقابلة:

علمنا	أن بني إسرائيل قد صبروا	فلقوا جزاء صبرهم الحسنى
	≠	≠
	أن فرعون وآله فجروا	فلقوا جزاء فجورهم الدمار

فالتوازي –هنا– نشأ من مواقع متقابلة لمركبات في هذه السلسلة ترتبط جميعها بمركب فعلي واحد وهو الفعل (علمنا)، واستعماله لهذا الفعل يلمح إلى أنّ ما يقرره ليس من صنيعه، إنما هو ما قررته الإنسانية من خلال ما خبرته في تاريخها الطويل وما جربته،

(1) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1356.

ثم يوازن بين صنفين من النّاس عاشوا زمن موسى –عليه السّلام–: الصنف الأول يمثله بنو إسرائيل الذين دعاهم موسى للإيمان فآمنوا وصبروا على ظلم فرعون، فكان جزاء صبرهم أنْ أحسن الله إليهم، وحقّق وعد موسى لهم، والصّنف الثاني يمثله فرعون وآله الذين دعاهم موسى للإيمان فكفروا وفجروا، فكان الجزاء من جنس عملهم (الدّمار).

وقد يكون التوازي للجمع بين متقابلين، في نحو قوله:

42- « وقدْ تَدَرَّجَ السِّيَاقُ مِن القِصَّةِ الأولى وَوَجْهُ العَجَبِ فِيهَا هوَ وِلادَةُ العَاقِرِ مِنْ بَعْلِهَا الشَّيخُ، إلَى الثَانِيةِ وَوَجْهُ العَجَبِ فِيهَا هوَ وِلادَةُ العَذْرَاء مِنْ غَيْرِ بَعْلٍ! وهيَ أعْجَبُ وأغْرَبُ »[1].

قابل بين نسقين نحويين متماثلين في البنية، يتخلّلها تكرار تركيب (ووجه العجب فيها هو)، وجمع الوحدات الدلالية المتضادة: (ولادة ≠ عاقر)، (ولادة ≠ من بعل شيخ)، (ولادة ≠ عذراء)، (ولادة ≠ من غير بعل).

هذان التركيبان يجمعهما رابط المفارقة؛ فبعد أنْ عرض قصة ميلاد يحيى، يمهّد لعرض قصة ميلاد عيسى، ولكي يُفصح منذ البداية أنّ هذه القصة عجيبة غريبة مثل سابقتها، يحافظ على السّياق الذي لخّص به القصة الأولى (ووجه العجب فيها هو)، ليمهّد به للقصة الثانية (ووجه العجب فيها هو)، فهذا التوازي يَشي بتشويق القارئ لمتابعة أحداث القصة الآتية، فإذا كانت المفارقة الأولى ظهرت في ولادة العجوز بعد يأس، من بعلها الشّيخ الذي يئس بدوره من الخلفة، فماذا سيكون أعجب من هذا؟ فيتسَاوَق التركيب الثاني مع سابقه، فتكون المفارقة: أن العذراء التي يُرجى أنْ يتهافت عليها العرسان عليها، تُرزق بمولود من غير عريس.

وفي قوله:

43- « كُلُّ شَيءٍ .. كُلُّ صَغِيرٍ وكُلُّ كَبِيرٍ. كُلُّ نَاطِقٍ وكُلُّ صَامِتٍ. كُلُّ متَحَرِّكٍ وكُلُّ

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2304.

سَاكِنٍ. كُلُّ مَاضٍ وكُلُّ حَاضِرٍ. كُلُّ مَعْلُومٍ وكُلُّ مَجْهُولٍ. كُلُّ شَيءٍ..خَلَقْنَاهُ بقَدَرٍ...»[1].

وظّف الكاتب مجموعة من الأزواج المتقابلة ضديا، ويتركّب كلّ شقّ من الأزواج من لفظ "كلّ" مضافة إلى صفة، وهذه الأنساق النّحوية المتتالية في السلسلة ترتبط جميعا بالمركب الإضافي "كلّ شيء"؛ ولتفصيل هذا الإجمال، يحاول أن يصنّف المخلوقات إلى تصنيفات تجمع الأقطاب المتباينة: من الصّغير إلى الكبير، ومن الناطق إلى الصّامت، ومن المتحرك إلى السّاكن، ومن الماضي إلى الحاضر، ومن المعلوم إلى المجهول... ليبيّن أنّ مخلوقات الله -جلّت قدرته- لا تُحصى ولا تُعدّ، وأنّ عقل الإنسان يقف عاجزا أمام أصنافها. وهو تبيان لعظمة الخالق وقدرته من خلال تفسيره للآية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر/49).

ومما لاشك فيه أنّ لفاعلية التّضاد في الكلام أبعاداً مثيرة، تنجم عن توظيف الثنائية الضّدية في إثارة إيقاع متميّز مبني على التّوتر، فينشط ذهن المتلقي بالانتقال من قطب إلى قطب مضاد، فيدرك أنّ أشياء متباعدة، ولا تربطها علاقة معهودة، قد صارت متآلفة بطريقة ما[2].

وفي قوله:

44- « فَهُو مِنْ ثَمَّ حُكْمٌ إسْلامِيٌّ جَاءَ ليطبّقَ في مجتَمَعٍ إسْلامِيٍّ .. وقَد نَشَأَ في وَسَط وَاقِعِيٍّ ولم ينْشَأ في فَراغٍ مِثَاليٍّ.»[3].

قابل تركيبين في سلسلة واحدة: الأول مثبت والثاني منفي، وهذا التعبير يحمل في طياته تقابلاً بين دلالات يشكّل أحدهما نقيضًا للآخر، وفق ما يأتي:

(1) – في ظلال القرآن: مج6، ج27، ص3436.

(2) – جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي عند العرب: المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان. ط3، 1992م. ص190.

(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2007.

جاء ليطبّق في مجتمع إسلامي	وقد نشأ في وسط واقعي
	≠ ≠
	ولم ينشأ في فراغ مثالي

نجد التركيبين الفعليين: (قد نشأ) و(لم ينشأ) متماثلين موقعياً، ويصفان "حكمًا إسلاميًّا"، ليظهر الكاتب أنّ "الحكم الإسلامي" ابن البيئة التي يطبق فيها، وليس مجرد تنظير افتراضي يسعى لأن يفرض على بيئة قد تكون مستعدة لتقبل تلك الأفكار، وقد ترفضها.

ومن خلال هذه البنية التقابلية بين الوحدات اللغوية يتحقق الناتج الدلالي، فنرى الكاتب استغل إمكانات تعبيرية عدّة لإحداث نوع من التّوازي المعجمي بين المفردات، كالتكرار والتجنيس والترادف والتقابل، وقد نجح في توظيف كل بنية في حمل المعنى الذي يريده، وتحقيق درجة عالية من التّعادل والتوازي بين الوحدات اللغوية، الذي يمثل المبدأ التنظيمي الذي يمكنه أنْ يحكم بنية النص.

رابعا: التوازي المتوقع

هذا النّوع من التّوازي يمكن أن نطلق عليه التّوازي المتوقع، ذلك أنّه ينبني على أنساق نحوية، وألفاظ تتساوق في العادة، وعندما تنتهي إلى مسمع المتلقي، يتوقع شقا آخر من الكلام مماثلا للشق الأول، فيُسهم في تماسك النّص من جهة، ويجعل ذهن المتلقي متعلقا بالفكرة التي لا يذكر منها إلا جانبا واحدا، ويترك المتلقي ينتظر الجانب الثاني الموازي للجانب الأول.

1 – تكرار أنساق تعبيرية

ومن أمثلة هذه الأنساق التي وظفها "سيد" في تفسيره لآيات قصص القرآن:

– [من ناحية ...]:

45– « مَلأَهَا بالالتِواءِ مِنْ نَاحِيّةٍ؛ وبِالقَسْوَة مِنْ نَاحِيّةٍ؛ وبالجُبْنِ مِنْ نَاحِيّةٍ؛ وبالضّعْفِ عَنْ حَمْلِ التَّبِعَاتِ مِنْ نَاحِيّة. وتَرَكَهَا مهَلْهَلَةً بيْنَ هذِه النّزَعَاتِ جميعاً »[1].

يختار الكاتب مثل هذه الأبنية عندما يكون بصدد عرض فكرة ينظر إليها من زوايا مختلفة، أو يحصر الآراء المتعددة فيها، وفي الوقت نفسه يحاول أن يحافظ على البناء التركيبي في كل فاصلة، ويجعل اللفظة المكررة في نهاية التركيب مؤشرا للإيقاع، وفي هذا المثال يعرض النواحي المختلفة لطبيعة بني إسرائيل التي ورثت رواسب الذّل جيلا بعد جيل، هذه الآثار التي يتوجّب على موسى مواجهتها بعد أنْ فرغ من مواجهة فرعون.

الكاتب يبّن أنّ مهمّة موسى –عليه السلام– لم تكن سهلة، بل هذي أصعب من مواجهة فرعون، لأنّ فرعون استذل بني إسرائيل مدّة من الزّمن ليست بقصيرة، فامتلأت نفوسهم برواسب الذّل التي تتعدّد مظاهرها، ومجموع النواحي أربعة:

(1) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1364.

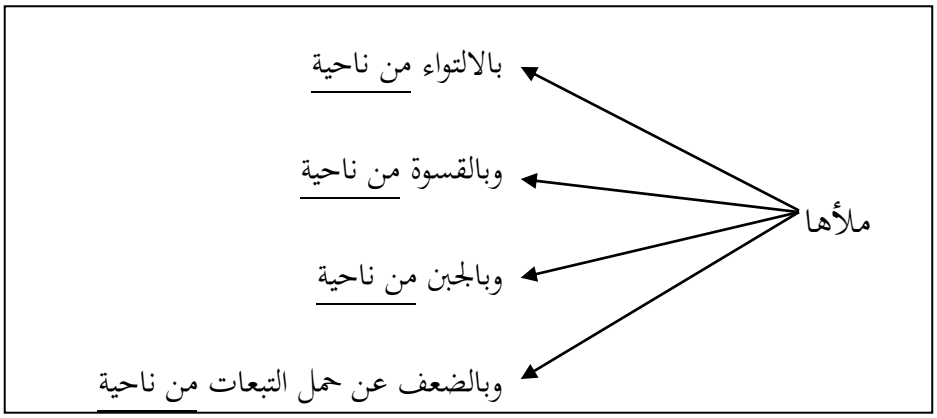

جاء بالفعل (ملأ) بما يحمل من دلالات؛ فهذا الفعل يستعمل في العادة للأشياء المادية، والكاتب جعل النفس الإنسانية كمزادة ملأى ليس بالماء ولكن بمظاهر الذّل المختلفة، وهذا يَشي بثقل المسؤولية الملقاة على كاهل موسى-عليه السلام- لإعادة تأهيل نفوس بني إسرائيل، من نواح متعددة، فهذه الصفات المشار إليها في الشكل السابق ليس قائمة اختيارية، بل هي رواسب حقيقية في نفوسهم، فهي مملوءة بالالتواء في سلوك، وبالقسوة في القلوب، وبالجبن في النفوس، وبالضعف في العزيمة.

عبّر عن ذلك في أشباه جمل متسلسلة متتالية ترتبط جميعا بالمركب الإسنادي "ملأها"، وحافظ على تكرار عبارة "من ناحية" بعد كلّ صفة، ليدل على تعدّد الصفات المترسبة بنفوسهم من جهة، وليترك ذهن المتلقي متعلقا بما يذكر من صفات أخرى.

-[من جانب ... من جانب آخر]

46- « وامْتَلأتْ نُفُوسُهمْ بالجُبْنِ والذّلِ مِنْ جَانِبٍ، وبالحِقْدِ والقَسْوَةِ مِنْ الجَانِبِ الآخَرِ»[1].

يوظف الكاتب هذا النسق [من جانب... من الجانب الآخر]، الذي يُسهم في تماسك النص، فعندما يعرض الجانب الأول المتمثل في الجبن والذل اللذين امتلأت بهما نفوس بني إسرائل حتى صارا سجية من سجاياهم على مرّ الزّمن، يستدعي أن يعرض الجانب الثاني المتمثل في الحقد والقسوة. وهذا التلازم في البناء الأسلوبي، يقابله تلازم في

(1) - في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1364.

المعنى، حتّى إنّ الكاتب يعلّق قائلا: «.. وهما جانبان متلازمان في النفس البشرية حيثما تعرضت طويلا للإرهاب والطغيان...»[1].

وكذلك الأمر في قوله:

47- « وهَكَذَا يُسْدِلُ السِّتَارَ عَلى مَشْهَدِ الهَلاكِ والدَّمَارِ في جَانِبٍ، وعَلى مَشْهَدِ الاسْتِخْلافِ والعَمَارِ في الجَانِبِ الآخَرِ »[2].

حافظ الكاتب على التوازي من خلال المطابقة والمماثلة بين الوحدات المعجمية التي تلي التركيب الإسنادي، فالتركيب الأول "مشهد الهلاك والدّمار" يقابل التركيب الثاني "مشهد الاستخلاف والعمار"، ولا يفوته ربط التركيبين المتقابلين، بذكر عبارة "في جانب" التي تستدعي انتظار ذكر جانب آخر "في الجانب الآخر". فلمّا تحدّث عن المشهد الدرامي المتمثل في هلاك الظالمين من فرعون ومن تبعه، رأى أن يعرّج بالضرورة على المشهد المبهج المتمثل في وراثة المستضعفين من أتباع موسى للأرض، وهي سنة الله في الأرض أراد "سيد" أنْ يُبرزها ليثبّت بها نفسه، وكلّ من يلاقي الويلات جراء محاولة إحقاق الحق.

- [من جهة... من جهة أخرى]:

48- « إنّمَا هوَ الاسْتِهْتَارُ والسُّخْرِيَةُ مِنْ جِهَةٍ. والتَّظَاهُرُ بالإنْصَافِ والتَّثَبُّتِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى »[3].

ينسحب على هذا النّسق ما قيل على النّسق السّابق، إذ عندما يعرض الكاتب الفكرة من جهة، ننتظر أنْ يعرضها من جهة أخرى، لتعدّد زوايا النظر وأبعاد التفسير عنده؛ فبعد عرضه لموقف فرعون لمّا عرض عليه موسى أنْ يعبد إلاهه الواحد، وتظاهره بإصدار الأوامر لبناء صرح عال يمكنه من رؤية الإله، يقرر سيد حكما يلخص مكنونات

(1) - في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1364.
(2) - في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1361.
(3) - في ظلال القرآن: مج5، ج24، ص3082.

شخصية فرعون المزدوجة، فمن جهة هو مستهتر بوجود إلاه واحد –سبحانه– ساخر من موسى والأفكار التي يعرضها، ومن جهة أخرى يظهر لرعيته بمظهر الحاكم العادل الذي لا يتردّد في إصدار الأوامر للتحقق مما يدّعيه موسى. فهذا النّسق الذي وظفه الكاتب [من جهة ... من جهة أخرى]، يمكنه من عرض الفكرة من زاويتين مختلفتين، كما يُسهم –بدوره– في تماسك النّص، وشدّ ذهن المتلقي إلى ما يعرضه الكاتب.

-[**سواء ... أو ...**]:

49- « سَوَاءٌ تعَلَّقَ هَذا الأمْرُ بشَعِيرَةٍ تَعَبّدِيَّةٍ، أوْ تعَلَّقَ بتَوْجِيهٍ أخْلاقِيٍّ، أوْ تعَلَّقَ بِشَرِيعَةٍ قَانُونِيَّةٍ »[1].

في توضيح مدلول العبادة، يقرر بأنها الدّينونة لله وحده في جميع أمور الإنسان الدّنيوية، فيما يتعلّق بالشعائر والأخلاق والتشريع القانوني. لقد استهل التركيب بلفظ "سواء" مما يقتضي ذكر أشياء متعدّدة تتساوى في تعامل الإنسان معها حتى يكتمل دينه، فلا يغلب الجانب الشّعيري على جانب المعاملة، أو الجانب التنظيمي. وفصَل الكاتب بين هذه الجوانب بحرف العطف "أو" الذي يفيد التّسوية، ورافق هذه التسوية المعنوية تواز في التراكيب المتتالية.

-[**أمّا ...، وأمّا...**]:

50- « فأمَّا نَاسٌ فيُفْتَنُونَ ويَرْتَدُّونَ! وأمَّا نَاسُ فيُصَدِّقُونَ مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فيَقْضُونَ نَحْبَهُم ويمُوتُونَ شُهَدَاء. وأمَّا نَاسُ فيَصْبِرُونَ ويُصَابِرُونَ ويُصِرُّونَ عَلى الإسْلامِ »[2].

يحافظ الكاتب على الإيقاع بتوظيف "أمّا" التي تعلّق الحُكم بأحد الشيئين أو الأشياء، كما تُلازِم التكرار[3]، فجاء النّسق النّحوي وفق ما يأتي:

[أمّا + مبتدأ + فـ + فعل مضارع + ...]

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1991.

(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2008.

(3) – حرف يفيد معنى الشرط دائما، والتفصيل غالبا، وهي أداة ربط بين جملتين.

وبعد ذلك ينوّع في الملحقات من تركيب إلى آخر.

يقسم الكاتب النّاس إلى طبقات إيمانية: منهم من تساوره الشكوك ويعود إلى جاهليته، ومنهم من يضحّي بنفسه من أجل الإيمان، ومنهم من يعظّ بنواجده حتى يظهر الله الحق. وهو بهذا التّفصيل يريد أنْ يُظهر لمن عاصره أنّ تفرّق النّاس في موقفهم من الدّعوة سنة سارية المفعول في كلّ المجتمعات، ومع كلّ الأمم.

-[... **كما** ....]

51- « .. يَقِفُ الطُّغْيَانُ عَاجِزاً أَمَامَ القُلُوبِ التِّي خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنّهُ يَمْلِكُ الوِلايَةَ عَلَيهَا كمَا يَمْلِكُ الوِلايَةَ عَلَى الرِّقَابِ! ويَمْلِكُ التَّصَرُّفَ فيهَا كمَا يَمْلِكُ التَّصَرُّفَ فِي الأَجْسَامِ »[1].

إنّ هذه اللفظة "كَمَا" مركبة من كاف التّشبيه، وما المصدرية التي تختصّ بالدّخول على الجمل اسميةً وفعليةً [2]، تُسهم في حفظ توازي تركيبين: تركيب قبلها وآخر بعدها، وهذا التوازي ينبع من عقد تشابه بين معنين، مما أدى إلى تشابه بناء التركيبين؛ حيث تخيّل الطّاغية أنّ الولاية على القلوب تشبه الولاية على الرّقاب، وأنّ التّصرف في القلوب يشبه التّصرف في الأجسام، ورافق ذلك تكرار لوحدات معجمية في التركيبين، حافظ من خلالها الكاتب على التّوازي بين طرفي كل تركيب:

الطرف الأول من التركيب	الأداة	الطرف الثاني من التركيب
يملك الولاية عليها	كما	يملك الولاية على الرقاب
يملك التصرف فيها	كما	يملك التصرف في الأجسام

إنّ مثل هذا البناء التركيبي، يظهر رتابة التّفكير عند الطاغية؛ عندما يظن أنّه يستطيع أنْ يُخضع كلّ شيئ بالقوّة، ولا يتجاوز تفكيره ذلك إلى البحث عن وسائل أخرى، كالتفاعل والحوار والإقناع...

(1) – في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1351.

(2) – حرف مصدري يؤول مع ما بعده بمصدر.

2- توازي تكرار الأساليب

أ- تكرار الجملة الشرطية

الشّرط أحد أساليب نظم الجملة، يقوم على تعليق عبارتين، كثيرا ما تكون الأولى سببا للثانية، أو مرتبطة بها بمعنى من المعاني، فلا تستقلّ إحداهما عن الأخرى من حيث المعنى، ومن حيث التركيب[1]، فهو تركيب يتكوّن من ثلاثة أركان: أداة الشرط، والشرط، وجوابه أو جزاؤه. وأداة الشرط تربط بين الشرط وجواب[2].

ومن مؤلفي الكلام من يُكرّر الأداة الشّرطية مع ركني الفعل والجواب للتعبير عن الشيء ومقابله، فينتُج عن ذلك تواز بين الجمل[3]. ومن أمثلته، قوله:

52- « وَمَنْ شَاءَ فلْيَخْتَرْ. وَمَنْ شَاءَ فلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فلْيَكْفُرْ. وَمَنْ شَاءَ فلْيُجَالِسْ فُقَرَاءَ المؤْمِنِينَ »[4].

يكرر الكاتب نسق جملة الشّرط المكونة من [اسم شرط +فعل الشرط(فعل ماض) + جواب الشرط (الفاء + اللام + فعل مضارع)] في أربعة تراكيب متتالية، ولكنه أحدث تغييراً في الألفاظ المكونة لجواب الشّرط ليعكس بذلك شمولية الدلالة وانفتاحها على أكثر من جانب. كما كثف من عملية التّوازي النّسقي بتواز معجمي تمثل في التقابل الدلالي بين الكلمات : (فليؤمن ≠ فليكفر، فليختر ≠ فليجالس).

وقد يحرُص الكاتب على أنْ يكون هناك تواز أيضا بين تركيبي الجملة الشرطية الموسعة، ومن أمثلته:

(1) – مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه): منشورات دار الرائد العربي، بيروت، لبنان. ط2، 1986م. ص284.

(2) – أبو أوس إبراهيم الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب: مطابع الدجوي، عابدين. ط1، 1981م. ص143.

(3) – أبو أوس إبراهيم الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب: ص474.

(4) – في ظلال القرآن: مج4، ج15، ص2270.

53- « فإذَا صَوَّرَ حَالَهُ، وقَدَّمَ رَجَاءَه، ذَكَرَ مَا يخشَاهُ، وعَرَضَ مَا يَطلبُهُ »[1].

وظّف توازيًا مزدوجًا من خلال التّوسع الشّرطي[2]؛ فجاء بالنّسق النّحوي لفعل الشّرط [فعل ماض(فاعله مستتر)+ مفعول+ضمير متّصل] ثمّ توسّع فيه بأنْ عطف عليه نسقا نحويا مماثلا، واتبع ذلك بالنّسق النّحوي لجواب الشرط [فعل ماض(فاعله مستتر)+ اسم موصول (مفعول به) + صلة الموصول (فعل مضارع+فاعل مستتر+مفعول به(ضمير متّصل)] ثمّ توسّع فيه بأن عطف عليه نسقا نحويا مماثلا. وهذا التّوازي بين تركيبي فعل الشّرط وتركيبي جوابه أسهم في إحداث نوع من التفاعل مع المتلقي، ونوع من الترابط بين الجمل، لا سيما أن هذا الأسلوب يتطلب جملتين، جملة فعل الشرط، وجملة جواب الشرط[3]. إضافة إلى ما تضمنه من طباق.

ب- تكرار الجملة المنفية

قد يحافظ الكاتب على التوازي بين التراكيب، عند تكرار الجملة الفعلية المنفية، إذ يحافظ على النّسق النّحوي ذاته، ويكرّر حرف النّفي مرفوقا بلفظ الفعل ذاته، وقد يغيّر لفظ الفعل.

فمن الضرب الأول، قوله:

54- « الذّي لا يحْتَمِلُ هَزْلاً، ولا يحْتَمِلُ لَعِبًا، ولا يحْتَمِلُ تَلفُّتًا عَنْهُ مِنْ هُنَا أوْ هُنَاكَ»[4].

كرّر حرف النفي "لا"[1]، وكرّر معه الفعل المضارع "يحتمل"، فوقع التّكرار في مواضع محدّدة من التّركيب، ممّا أوجد توازياً تركيبياً، يعكس توازياً دلالياً؛ إذ نلاحظ أنّ الألفاظ التي تلت المكرّر "لا يحتمل" جاءت متقاربة في المعنى تصبّ في الحقل الدلالي

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2302.

(2) – ينظر: الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، ص390.

(3) – مسلم الأسدي، لغة الشّعر عند أحمد مطر: ص118.

(4) – في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3674.

ذاته: (الهزل + اللعب + التلفت عنه).

ومن الضرب الثاني، قوله:

55- « ولْيَسْتَشْعِرُوا صِلَتَهُم بالجَنَابِ الذّي لا يُضَامُ مَنْ يَلْجَأ إليْهِ، ولا يَخِيبُ مَنْ يتوكَّل عليْه »[2].

توسّع الكاتب في صلة الموصول بالعطف، فجاء بصلة الموصول (لا يضام من يلجأ إليه)، ثمّ عطف عليها جملة من النّسق النّحوي ذاته: (لا يخيب من يتوكّل عليه)، ولم يغير إلا لفظ الوحدات المعجمية، وهذا التّوازي النّسقي من شأنه أنْ يوضّح فكرة الكاتب أكثر؛ فكرة أنّ زكرياء –عليه السلام– لجأ إلى جناب الله أين يجد العدالة، ويجد التّوفيق.

وقوله:

56- « ولكنّهُ لا يُلَبِّي في انزِعَاجٍ، ولا يَسْتَسْلِمُ في جَزَعٍ، ولا يُطِيعُ في اضْطِرَابٍ »[3].

حافظ أيضا على التوازي التركيبي والدلالي على السّواء، حيث كرّر النّسق النّحوي المنفي [لا + فعل مضارع + جار ومجرور]، استهله بأداة النفي "لا" التي تهيمن على الواقع الدلالي، وغيّر لفظ الفعل المضارع ومتعلقاته، لكن الوحدات المعجمية بقيت تدور في الحقل الدلالي الواحد:

-الفعل المضارع: (تلبي، يستسلم ، يطيع)

-الجار والمجرور: (في انزعاج ، في جزع ، في اضطراب).

وكذلك الحال عندما يلجأ إلى تقرير فكرة، والإصرار عليها، فيقول:

---

(1) – أداة النفي "لا" تخلص الفعل المضارع للاستقبال كـ(لن) عند أغلب النّحاة. ينظر:

– فاضل صالح السامرائي، معاني النحو: شركة العاتك. القاهرة، مصر. ط2، 2003م. ج3، ص311.

(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2302.

(3) – في ظلال القرآن: مج5، ج23، ص2995.

57- « فَلَمْ يُفسِدْ في الأرْضِ، ولم يَظلِمْ في النّاسِ »[1].

ينفي هذه المثالب في تراكيب متوازية دلاليا (لم يفسد ، لم يظلم)، ومتوازية تركيبيا [استئناف + نفي + فعل مضارع + جار ومجرور]، حتى إنّه يضطر أحيانا إلى مخالفة ما سارت عليه اللغة، كاستعمال الفعل المعتدي لازما؛ كما هو واضح في التركيب الثاني (يظلم في)، أين عامل الفعل معاملة اللازم وهو متعدّ.

ج- تكرار الجملة الاستفهامية

الاستفهام أحد الأساليب الإنشائية الطلبية، لا يختلف مفهومه اللغوي عن معناه الاصطلاحي، سواء كان لهدف محدّد ومباشر أم كان لتصوّر جمالي غير مباشر عند المتكلّم[2]، فهو أسلوب لغوي أساسه طلب الفهم بأداة من أدواته.

وقد ينتج توازٍ عن تكرار الأساليب الاستفهامية التي يجنح الكاتب إلى توظيفها. ومن أمثلتها، قوله:

58- « لمنَ يَنْبَغِي أنْ يكُونَ السُّلطَانُ ! لمنْ يَنْبَغِي أنْ يكُونَ الحُكْمُ ! لمن يَنْبَغِي أنْ تكُونَ الطّاعَةُ »[3].

كرّر الكاتب نسق الاستفهام التقريري، في التراكيب الثلاثة، كما كرّر الوحدات المعجمية، ولم يغيّر إلا اللفظ الأخير في كلّ تركيب، الأمر الذي أدى إلى تواز تركيبي، يدلّ على الإصرار على أنّ حقّ "العبادة" لا يكون إلاّ لمن يكون له: السّلطان والحكم والطاعة.

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2093.

(2) – حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية): منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق. 2005م. ص:134.

(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1990.

د- تكرار الجملة المنسوخة

تتكوّن الجملة المنسوخة من أكثر من شق (الناسخ + الاسم+ الخبر) ، وتكرار نسقها النّحوي يحدث توازيًا بين التراكيب، ومن أمثلتها عند "سيد"، قوله:

59-« فَأَعْطَاهُ اللهُ آيَةً تُنَاسِبُ الجُوَّ النّفْسِيَّ الذّي كَانَ فِيهِ الدّعَاءُ وَكَانَتْ فِيهِ الاسْتِجَابَةُ »[1].

تكرر النّاسخ متبوعا بالجار والمجرور (في محل خبره المحذوف)، ثم غير في لفظ اسمه المؤخر.

وفي قوله:

60- « وَكَانَ فِيهِمْ هَارُون - عليه السّلام - فلَمْ يمْلِكْ لهُم رَدًّا عَنْ هَذا الضّلالِ السّخِيفِ. كَانَ فِيهِمْ بَعْضُ عُقَلائِهِمْ فلَمْ يمْلِكُوا زِمَامَ الجَمَاهِير الضّالَةِ المتَدَافِعَةِ على العَجْلِ الجَسَدِ »[2].

يحافظ هنا على ألفاظ شقّ من التركيب ويغير في الأخرى، فكرر "كان فيهم"، وغير لفظ اسمها المؤخر، كما كرّر في الشق الثاني " فلم يملك" وغير في ملحقاته، وفي ذلك إلحاح على الجهة المكررة في العبارة التي تعني الكاتب[3]، أكثر مما يعنيه سواها.

وكذلك الشأن في قوله:

61- « إنّ الحُدُودَ الضَّيِّقةَ لَتَنْزَاحُ، وإنّ الجُدْرَانَ الصّلْدَةَ لَتَرُقُّ، وإنّ الوَحْشَةَ الموغِلَةَ لَتَشُفُّ »[4].

جاءت التراكيب متماثلة متتالية، لم يكرر فيها إلا الناسخ "إنّ" والام المزحلقة،

(1) - في ظلال القرآن: مج4، ج16، ص2300.

(2) - في ظلال القرآن: مج3، ج09، ص1373.

(3) - نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر: ص242.

(4) - في ظلال القرآن: مج4، ج15، ص2262.

وغيّر ألفاظ عناصر التركيب الأخرى، مع المحافظة على النّسق النّحوي:

[إنّ + اسمها + صفة + لام مزحلقة + فعل مضارع].

أما مع "لا" النافية للجنس، فقد تكررت مع اسمها، كما في قوله:

62- « ... مُدَبَّرَة بِحِكْمَةٍ. لا شَيْءَ جُزَافٌ. لا شَيْءَ عَبَثٌ. لا شَيْءَ مُصَادَفَةً. لا شَيْءَ ارْتِجَالٌ »[1].

كرّر "لا" النّافية للجنس مع اسمها النّكرة (شيء)، وغير في لفظ خبرها المفرد النّكرة في النّسق: [لا + اسم نكرة + اسم نكرة].

وفي قوله:

63- « فلا لِقَاءَ بعْدَ ذلِكَ في نَسَبٍ. ولا لِقَاءَ بعْدَ ذلِكَ في صَهْرٍ. ولا لِقَاءَ بعْدَ ذلِكَ في قَوْمٍ. ولا لِقَاءَ بعْدَ ذلِكَ في أرْضٍ »[2].

كرّر "لا" النافية للجنس مع اسمها النكرة (لقاء) وملحقاته (بعد ذلك)، وغيّر في لفظ الجار والمجرور الدّال على خبرها المحذوف، وفق النّسق الآتي:

[لا لقاء + بعد ذلك + جار ومجرور].

والأمر نفسه نجده في قوله:

64- « إنّ هَذا الدّين لا بُدَّ لهُ مِنْ هَيْبَةٍ، ولا بُدَّ لهُ مِنْ قُوّةٍ، ولا بُدَّ لهُ مِنْ سطْوَةٍ، ولا بُدَّ لهُ مِنْ الرّعْبِ الذّي يُزَلْزِلُ الطَّوَاغِيتَ حتّى لا تَقِفَ لِلْمَدّ الإسْلامِيِّ »[3].

كرّر "لا" النافية للجنس مع اسمها النكرة وملحقاته (له)، وغير في لفظ الجار والمجرور بعد ذلك، وفق النسق التالي: [لا بد + له + جار ومجرور].

وقد يحافظ على النّسق النّحوي ويغير الألفاظ، كما في قوله:

(1) – في ظلال القرآن: مج6، ج27، ص3436.

(2) – في ظلال القرآن: مج3، ج11، ص1721.

(3) – في ظلال القرآن: مج3، ج10، ص1542.

65- « فَلاَ مُشَارَكَة للجُهَال، ولاَ مُخَاصَمَة لهُم، ولاَ مَوْجِدَة عَلَيْهِم، ولاَ ضَيْق بِهِم »[1].

كرّر "لا" في بداية النّسق [لا + اسم نكرة + جار ومجرور]، وغير في لفظ اسمها وخبرها، والتّكرار في هذا الشّاهد وما سبقه، « يسلّط الضّوء على نقطة حسّاسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلّم بها..»[2]. فهو ذو دلالة نفسية، ينبئ عن موقفه وإحساسه الدّفين اتجاه الموضوع.

إنّ أسلوب التوازي – في المدونة – يعدّ سمة بارزة من سمات الأسلوب التي حاول "سيد قطب" أنْ يستغلها استغلالاً واسعاً، وهو ما يجعل البنية الأسلوبية –في حالات عديدة– تتناسب مع البنية الدلالية، لاسيما أنّ التوازي يهتم بتعادل المباني والمعاني، فهو قائم على الازدواج الفني، وأنّه يتّخذ من الموسيقى الصوتية والمحتويات الدلالية وسيلة للبناء الفني، سواء كانت نابعة من اللفظ المفرد وتغيراته الوظيفية، أم ناتجة عن البناء التركيبي، أم صدرت من دلالة التركيب.

(1) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2702.

(2) – نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر: ص242.

- خلاصة:

ويمكن حصر النتائج التي خلص إليها البحث، فيما يلي:

- أسلوب التوازي سمة بارزة في أسلوب "سيد قطب" على الرّغم من كون المدونة نثرية، يستغله في تعبيره استغلالاً واسعاً، وهو ما يجعل البنية الأسلوبية -في حالات عديدة- تتناسب مع البنية الدلالية، فكان موّلِدا الدلالات ومكثّفا إيّاها، لا يحسّ القارئ - في الغالب- بتكلّف في صياغة العبارات أو إطناب لأجل إحداث توازن، بل ينساب مع المعنى بعفوية ويسر.

- وظّف صُوَّرا متنوعة للتوازي؛ فنجد التوازي المتطابق، والتوازي المتماثل، والتوازي المتقابل، والتوازي المتوقع؛ بغية التجديد في التعبير والتنويع، وهو نابع أيضا من رواسب مراحل حياته الأدبية السّابقة.

- حرصَ سيد قطب على تكثيف المعنى، فأتى بالتوازي المتطابق الذي يكون في صورة تكرار نسق تركيبي مع إحداث تغيير طفيف في مكوناته، بحيث يضيف كلّ مكوّن جديد معنى إضافياً تراكمياً إلى المعاني السّابقة، ويجعل الدّلالة الأساس حاصل مكونات تلك الأنساق وتوابعها.

- وظّف تقنية الإجمال ثم التفصيل؛ فجاء بالتركيب مجملا، وأتبعه بنسق تركيبي آخر أكثر تفصيلا من خلال ما يطرأ على مكوناته من تغييرات، ويدل ذلك على عمق نظره، وسعة فكره.

- ظهر توظيف تقنية الإجمال والتفصيل - أيضا - في سياق التّعداد؛ إذ حافظ على النّسق النّحوي في تراكيب متوالية، وحرص على تكرار لفظ مكوّن في بداية كلّ تركيب، ليربط التراكيب الجزئية بالتركيب المحوري.

– لجأ في التوازي المتماثل إلى تكرار النّسق النّحوي بشكل متواتر، مع إحداث تغيير في المكونات المعجمية للجملة، تارة بزيادة بعض العناصر وتارة بنقصانها، وذلك بحسب ما يتطلبه الموقف.

– عمد إلى توضيح الفكرة باستخدام أسلوب التوازي المتقابل؛ فكرّر بنيتين تركيبيتين متتاليتين متعادلتي العناصر، لكنهما متقابلتان تقابلا ضدّيا من حيث دلالة عناصرهما، ويدرج أيضا في سياق التعبير الجمالي الإيقاعي.

– يحدث التوازي المتوقع عندما يكون الكاتب بصدد عرض فكرة ينظر إليها من زوايا مختلفة، أو يحصر الآراء المتعددة فيها، وفي الوقت نفسه يحاول أن يحافظ على البناء التركيبي في كل فاصلة، ويجعل اللفظ المتكرر في نهاية التركيب مؤشرا للإيقاع.

وقد ينتج عن تكرار بُنـى أسلوبية مثل الشرط والنفي والدعاء والاستفهام؛ فبمجرد أن يبدأ التركيب يتوقع المتلقي ما يمكن أن تؤول إليه نهايته.

– إنّ أسلوب التوازي بأنواعه المختلفة التي وظفها سيد قطب يقدم وظيفة دلالية؛ لكنه في الوقت نفسه يقدم وظيفة جمالية تمتع الأذن، وتريح النفس، وتمتع العين.

فصل ثان

أسلوب "التّقديم والتأخير"

- تأسيس

-بناء التّقديم والتأخير في تفسير آيات القصص

-ما يختص بالجملة الاسمية

-ما يختص بالجملة الفعلية

-ما يختص بأشباه الجمل

– تأسيس:

تسمح اللّغة للمتكلّمين بإنتاج عدد غير محدود من التّراكيب التي تنتظم على الخط الأفقي وفق تنظيم قارّ في الذّهن، تنتجه الجماعة اللّغوية[1]، ويلتزم به كلّ فرد في هذه الجماعة، ويتصرّف فيه من خلال اختيار بُنى معيّنة، واستعمالها استعمالا مختلفا قد يتفرّد به متكلّم من الجماعة عن غيره من دون أنْ ينتهك المعيار الذي سطّرته، والّذي لا يستطيع أنْ يغيّره بمفرده.

ولا شك أنّ اختيار بنية تركيبية من دون غيرها من البُنى يتّصل بحركة فكر المبدع، وبقدرته الفنية على تقديم الفكرة في أحسن حُلّة، وهو من الأمور التي يتبارى فيها المبدعون، ويتفاوتون بحسب الجهد الذي يبذله المتكلّم المبدع، وبحسب القدرة على التأمّل والتّدبر؛ لأنّ الكلام عند الأفراد خاضع للإرادة والذّكاء على حدّ تعبير دي سوسير[2].

إنّ النّثر والشّعر صنوان، كلاهما بناء لغويّ مؤلف من مجموعة من التراكيب، منها ما يجري على المألوف من القواعد، ومنها ما يوّلده المتكلّم المبدع في أشكال تعبيرية مغايرة للأصل، فيكتسب التّركيب خصوصية في بناء الأسلوب، ويُسهم في إنتاج الدلالة بحسب مقتضيات الأحوال.

والتّقديم والتّأخير من الأشكال التعبيرية المغايرة للأصل التي تعتمد على تبادل المواقع بين العناصر التركيبية.

(1) – فرديناند ده سوسر، محاضرات في الألسنية العامة: ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر. المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر. 1986م. ص92.

(2) – المرجع نفسه، ص25.

1. الاهتمام ببناء التّقديم والتّأخير

بدت العناية ببناء التّقديم والتّأخير واضحة لدى النّحويين والبلاغيين، قديمهم وحديثهم؛ ذلك أنّ هذا البناء الأسلوبي ذو صلة وثيقة بالنّحو والبلاغة على حدّ سواء، فتجمعه وشائج صلة بقرينة الرّتبة في النّحو العربي، كما تجمعه وشائج صلة بتنويع التّعابير في البلاغة العربية؛ حتّى إنّ "عبد القاهر الجرجاني" لما درَس بناء التّقديم والتأخير، لم يوظّف جهده كلّه في اقتفاء التّحولات التّي من شأنها أنْ تطرأ على التّركيب فحسب، بل ادّخر بعضًا من جهده للدلالات التي تطرأ عليها تغيرات كلمّا طرأ تغيّر على بناء التّركيب من تقديم وتأخير، وما يترتّب على ذلك من أثر في المتلقي من متعة ذهنية وإثارة لمخيّلته[1].

يقول يوسف أبو العدوس: « اهتم النّحويون والبلاغيون بهذه الظاهرة على حدّ سواء، واختلفت النّظرة إليها وفق منطق كلّ منهما، فالنّحاة يدرسون التّقديم والتّأخير للكشف عن الرّتب المحفوظة الثابتة، والرّتب المتغيرة في الجملة...أمّا البلاغيون والأسلوبيون فغايتهم من دراسة التّقديم والتّأخير الكشف عن قيمته الدلالية والنّفسية في العمل الأدبي..»[2]، ويدلّ ذلك على أنّ النّحو والأسلوب يشتركان في جملة الكلام ويفترقان في الغاية بين الموقع والمعنى.

أ. بناء التّقديم والتّأخير عند النّحاة العرب

اهتّم النّحاة ببناء التّقديم والتّأخير في إطار اهتمامهم بالجملة العربية، وبدت العناية بالتّحليل النّحويّ والتّخريج اللّفظي جليّة مع سيبويه (ت80هـ) الذي كان أوّل من قدّم ملاحظات في هذا المجال[3]، لكنّه لم يحصرها في باب واحد بل يجدها الباحث

(1) – الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز في علم المعاني: تصحيح محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، تعليق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة، بيروت، لبنان. ط2، 1998م. ص85-86.

(2) – يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤية والتطبيق): دار المسيرة، عمان، الأردن. ط1، 2007م. ص190-191.

(3) – سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب: علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب. دار الكتب

مبثوثة في أبواب شتّى من الكتاب.

وحاول النّحاة أنْ يُوجِدوا عِللا لتقديم ركن من الجملة أو متعلّق به، أو تأخيره معتمدين في ذلك على التركيب والمعنى، وقد يتجاهلون المعنى لتعليل ضرورة نحوية.

فبناء الجملة عند نحاة العربية يقوم على ركنيين أساسيين، هما المسند والمسند إليه، وهما عمادان بحسب قول سيبويه (ت180هـ): « وهما ما لا يستغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّمُ منه بدًّا. فمن ذلك الاسمُ المبتدأُ والمبنيُّ عليه. وهو قولك: "عبدُ الله أخوك"، و"هذا أخوك". ومثل ذلك قولك: "يذهب زيدٌ"، فلا بدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوَّل بدٌّ من الآخرِ في الابتداء»[1].

ومن ثمّ فقد قسّم الجملة إلى اسمية: وهي ما بُدئت باسم، وفعلية: وهي ما بُدئت بفعل، وهذا رأي جمهور النّحاة غير الذين ارتؤوا تقسيما مخالفا لرأي الجمهور في ظاهره، ولكنّه يوافقه في جوهره، من أمثال الزمخشري (ت538هـ) الذي رأى أنّ « الجملة على أربعة أضرب فعلية واسمية وشرطية وظرفية...»[2]، ولكن ابن يعيش (ت643هـ) في شرح المفصل أوضح بأنّ الأمر في جوهره لا يعدو أنْ يكون قسمين: جملة اسمية وأخرى فعلية، وذلك في قوله: « واعلم أنّه قسّم الجملة إلى أربعة أقسام: فعلية، واسمية، وشرطية، وظرفية، وهذه قسمةُ أبي عليّ، وهي قسمةٌ لفظيّةٌ، وهي في الحقيقة ضربان: فعليّةٌ واسميّةٌ، لأنّ الشرطيّة في التّحقيق مركّبةٌ من جملتَين فعليَتَيْن: الشرطُ فعلٌ وفاعلٌ، والجزاءُ فعلٌ وفاعلٌ. والظرفُ في الحقيقة للخبر الذي هو " اسْتَقَرَ"، وهو فعلٌ وفاعلٌ...»[3].

ورفض ابن هشام (ت761هـ) أيضا أنْ تستقلّ الجملة الشرطية بقسم خاص، في

العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1999م. مج1، ص87، 88، 99 وما بعدها. ومج2، ص125،127.

(1) – سيبويه، الكتاب: مج1، ص48.

(2) – الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، المفصّل في علم العربية: دار الجيل، بيروت، لبنان. ط2، دت. ص24.

(3) – ابن يعيش (موّفق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي)، شرح المفصل للزمخشري: تقديم وفهرسة إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 2001م. ج1، ص229.

قوله: «... وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية، والصّوابُ أنّها من قبيل الفعلية...»[1]، فرأى أنّ تقسيم الجملة ثلاثة أقسام؛ اسمية وفعلية وظرفية:

- فالاسمية هي: الجملة التي صُدِّرت باسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان.
- والفعلية: هي الجملة التي صُدِّرت بفعل، كقام زيد، وضُرِب اللّص، وكان زيد قائمًا، وظننته قائمًا، ويقوم زيد، وقُمْ.
- أمّا الظّرفية فهي الجملة التي صُدِّرت بظرف أو مجرور، نحو أعِنْدَكَ زيد، وأفي الدّار زيد، عند من عَدّ (زيدًا) فاعلاً بالظرف والجار والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبرًا عنه بهما[2].

يتبيّن لنا -ها هنا- أنّ المعوّل عليه في التّقييم هو الصّدارة في البنية السّطحية للجملة، فالأصل في الجملة الفعليّة أن يُقدّم المسند-وهو الفعل وما يعمل عمله- لأنّه محكوم به، وأنْ يُؤخر المسند إليه -وهو الفاعل وما ينوب عنه- لأنّه محكوم عليه، وتلحق باقي المتعلّقات بعد ذلك.

أمّا الأصل في الجملة الاسميّة فهو أنْ يُقدّم المسند إليه -وهو المبتدأ- لأنّه محكوم عليه، وأنْ يُؤخر المسند -وهو الخبر- لأنّه محكوم به، وتتبعهما المتعلّقات بعد ذلك[3].

إنّ الألفاظ ما هي إلاّ قوالب للمعاني، لذلك وجب أنْ يكون التّرتيب الوضعيّ فيها بحسب التّرتيب الطبيعيّ لها؛ والواضح أنّ المسند إليه يُقدّم في الرّتبة لأنّه المحكوم عليه، وأمّا المسند فيؤخّر في الرّتبة لأنّه محكوم به، وما عدا هذان الرّكنان (المسند والمسندإليه)، فهي توابع ومتعلّقات تذكر بعدهما في الكلام[4].

---

(1) - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج2، ص433.

(2) - المرجع نفسه، ص433.

(3) - الميداني (عبد الرّحمن حسن حبنّكة)، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكلٍ جديد من طريف وتليد: دار القلم، دمشق، سوريا. ط2، 1428هـ-2007م. ج1، ص145، وما بعدها.

(4) - المراغي (أحمد مصطفى)، علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني: المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان. ط1، 2004م، ص86.

ولكن قد يحدث أنْ تتبادل عناصر الكلام المواقع، فيتقدّم من الكلام ما كان حقّه التّأخير، ويتأخّر منه ما كان حقّه التقديم؛ لمزايا وأغراض يريدها المتكلّم ويقصد إليها قصدا، وقد تنبّه سيبويه إلى ذلك حين قال في "باب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعوله": « وذلك قولك: "ضَرَبَ عبدُ الله زيدًا"، فـ"عبد الله" ارتفع ههنا كما ارتفع في "ذَهَبَ"، وشَغَلْت "ضرَب" به كما شغلت به "ذهَب"، وانتصب "زيدٌ" لأنّه مفعول تعدّى إليه فعلُ الفاعل، فإن قدَّمتَ المفعولَ، وأخَّرت الفَاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: "ضَرَبَ زيدًا عبدُ الله"، لأنّك إنّما أردت به مُؤخّرًا ما أردت به مُقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغَلَ الفعلَ بأَوَّل منه، وإنْ كان مؤخرًا في اللفظ، فمن ثمّ كان حدّ اللفظ فيه أنْ يكون الفاعلُ مقدَّمًا وهو عربيٌّ جيِّد كثير، كأنّهم إنّما يقدمّون الذي بيانه أهمُّ لهم وهُمْ ببيانه أعْنَى، وإنْ كانا جميعًا يُهِمَّانِهم ويَعْنِيانهم »[1]. وهذه الالتفاتة من سيبويه لم ترُقْ بعضَ العلماء؛ إذ أنكر أنْ يكون ثمّة تقديم في بعض الأمثلة التي ذُكرت[2].

ب. بناء التّقديم والتّأخير عند البلاغيين العرب

اتّخذ البلاغيون المعنى محورا في دراسة مسائل التّقديم والتأخير، من دون إهمال التركيب، مما أدى إلى تميّزهم في هذا المجال.

وقد حظي هذا البناء الأسلوبي عند شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) بدراسة مميّزة في كتابه "دلائل الإعجاز"، أين ركّز على أهمية المعنى في الحكم على صحّة تركيبٍ ما، فاستفاد ممّا توصّل إليه سيبويه، وتجاوزه بالتّعليل لهذه الظاهرة والكشف عن بلاغتها، حيث يقول معقّبا على من سبقه ومن عاصره: « وقد وقع في ظنون النّاس أنّه يكفي أنْ يُقال إنّه قُدِّم للعناية ولأنّه ذكره أهمّ، من غير أنْ يذكر من

(1) – سيبويه، الكتاب: مج1، ص68.

(2) – ابن جني (أبو الفتح عثمان)، كتاب الخصائص: تحقيق عبد الحكيم بن محمد. المكتبة التوفيقية. (د.م)، (د.ت). ج1، ص253-258.

أين كانت تلك العنايةُ ولمَ كان أهمَّ. ولتخيّلهم ذلك قد صغُر أمر التّقديم والتّأخير في نفوسهم وهوَّنوا الخطب فيه حتّى إنّك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربًا من التّكلّف، ولم ترَ ظنّا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه»[1]. فنبّه إلى مكانة هذا البناء في البلاغة، وعزا فضله لجمال الكلام ورونق نظمه وحسن تأثيره في المتلقي؛ إذ يقول: «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسْمَعَه، ويلطف لديك موقعه، ثُمّ تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أنْ قدّم فيه شيء وحوِّل اللّفظ عن مكان إلى مكان »[2].

قد أدرك "عبد القاهر الجرجاني" بذوقه البلاغي الفذّ العلاقة القويّة بين كلّ بنية تركيبية حادت عن النّسق التركيبي المعياري، وما تنتجه من دلالة وكشف عن القيم الفنية والطاقات الأسلوبية التي تستمدّ من إدراك كيفية صياغة الكلام. فقد يكون الكلام واحدا في مادته وحروفه، ولكن تختلف صيغته وترتيب كلماته من متكلّم إلى آخر بل عند المتكلّم الواحد، إذا اختلف المعنى في نفسه.

فالتّقديم والتّأخير في الكلام تبع لمعناه في العقل، وإحداث تغيير في بناء التّركيب يأتي لتحقيق غرض جديد يتعلّق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلّم؛ فأيّ تحوّل في مباني التراكيب يحدث تغييرا في المعنى[3]، حسب مقتضيات الظّروف والمواقف والدّوافع النّفسية والشّعورية لطرفي عملية الاتّصال: المبدع والمتلقي.

وقد علّق "ابن الأثير (ت637هـ)" على هذا الباب من التبادل بالتّقديم والتّأخير قائلا بأنّه « بابٌ طويل عريض، يشمل على أسرار دقيقةٍ، منها ما استخرجته أنا، ومنْها

(1) – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص87.

(2) – المرجع نفسه، ص85.

(3) – خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية. ط1، 1984م. ص89-187.

ما وجدته في أقوال علماء البَيَان...»[1]. وهذه عادة القدامى كلّ منهم يزعم السّبق في مسألة أو أكثر، وإنْ لم يكنْ له السّبق، يدّعي فضل الزّيادة دون إغفال فضل السّابقين.

ج. الاهتمام ببناء التّقديم والتّأخير عند الأسلوبيين

درس النّقّاد الأوائل التّقديم والتّأخير وتردّدوا بين إثبات أغراضٍ نحويّة، وأخرى بلاغيّة، حتّى إنّنا نجدهم قد وقفوا من المسألة موقفين مختلفين: موقف نحويّ وآخر بلاغيّ[2]، ودرس علماء البلاغة المعاصرون بناء التّقديم والتّأخير وفق صياغة جديدة، لكنّها لا تختلف عن الرؤية السابقة عند القدامى، فالتّقديم والتّأخير يرتبطان بالموضع، وينحصران في حدود الدّال صياغة؛ بحيث ينتقل الدال من موضعه الأصلي إلى موضع طارئ في حركة الفكر الأفقية من ناحية، وطبيعة المقام من ناحية أخرى[3].

وهذا التبادل في المواقع ينبئ « عن ظاهرةٍ لها أهمّيّتُها البالغةُ، وهي أنّ تفكيرنا في الصِّياغة الأدبيَّة يقومُ على أنَّها مجموعةٌ من الخصائص الطارئةِ، يمكنُ متابعتُها بالكشف عن عناصرها أوّلاً، ووظائفها الدّلالية ثانيا، وهو ما يقدِّم لنا منظومة متكاملة من السّمات، لأنّ كلّ عنصر في الصياغة يمكن التّعامل معه تحليليا للكشف عن أدبيّتِه»[4].

أمّا التّقديم كما عرّفه "خليل أحمد عمايرة" فهو: نقل مونيم من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيرا بذلك نمط الجملة، وناقلا معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة هي عنصر من عناصر التّحويل، بل هي من أبرز عناصر التّحويل وأكثرها وضوحا، لأنّ المتكلّم يعمد إلى مونيم حقّه التّأخير فيقدمه، أو إلى ما حقّه التّقديم

(1) – ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تعليق/ أحمد الحوفي وبدوي طبانة. دار نهضة مصر، الفجالة، مصر. ط2، (د.ت). مج2، ص210.

(2) – تامر سلّوم، علم المعاني قراءة ثانية للتشكيل النحوي: منشورات جامعة تشرين، اللاذقيّة، سوريا. 1996م. ص48.

(3) – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى: الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) ومكتبة لبنان ناشرون. ط1، 1997م. ص235.

(4) – المرجع نفسه، ص240–241.

فيؤخّره طلبا لإظهار المعاني وترتيبها في النّفس[1].

وهذه نظرة توليدية تحويلية حسب مبادئ "تشومسكي"، وأفردها "خليل أحمد عمايرة" كتابا تطبيقيًّا.

2. قيمة التّقديم والتأخير

يكتسب هذا البناء قيمته من أنّه يكشف عن ترتيب العناصر التّركيبية وصور التّغيير فيها، ويتعرّف على حركيتها في إطار جملتها والجمل المحيطة بها، ويَبِين عن النّسق البنائي الغالب في تلك العناصر، وهو نسق في التّرتيب يخضع لخواطر النّفس وترتيب الأفكار في الذّهن.

ويمكن أنْ نستشف ما يكتسيه هذا البناء من أهمية عند القدامى من خلال مجموعة من الأقوال لأشهر الأعلام الذين تطرّقوا إلى جوانب مختلفة منه:

قول عبد القاهر الجرجاني: «...ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسْمَعهُ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان»[2]. فالأغراض الَّتي تتفتَّق عنها ظاهرة التّقديم تبيِّن ثراءها وكثرة فوائدها، وكونها مصدرًا سخيًّا لرقيِّ الأساليب وارتفاعها في البيان.

وعدّه ابن جني (ت392هـ) مظهرًا من مظاهر شجاعة اللغة العربيَّة[3]، شأنه في ذلك شأن الظواهر التركيبية الأخرى كالحذف والزيادة...؛ يلجأ فيه الكاتب إلى مخالفة قرينة من قرائن المعنى (الرتبة) من غير خشية لبس، اعتمادًا على قرائن أخرى، ووصولاً بالتركيب إلى دلالاتٍ وفوائد تجعل الأسلوب راقيا وذا رونق وجمال.

وابن القيم الجوزية (ت751هـ) يشيد بملَكَة العرب قائلا: «... فإنّهم أتوا به دلالة

(1) – خليل عمايرة، في نحو اللغة العربية وتراكيبها: ص88.

(2) – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص85.

(3) – ابن جني، الخصائص: مج2، ص243 (باب شجاعة العربية).

على تمكّنهم في الفصاحة وملكتهم للكلام، وتلعبهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه، وفي معانيه ثقة بصفاء أذهانهم وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزا بليغا وله في النّفوس حسن موقع وعذوبة مذاق»[1].

وفي السّياق نفسه، يصف الزركشي (ت794هـ) هذا الباب بقوله: « هو أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم من الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق»[2].

وتبادل المواقع بالتّقديم والتّأخير في العربية مشروط بأمن اللّبس، لذلك قال ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) عند حديثه عن شروط الفصاحة: « فمِنْ وَضْع الألفاظ مَوْضِعها ألاّ يكون في الكلام تقديم وتأخير، حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعرابه في بعض المواضع، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب، كالصلة والموصول، وما أشبههما »[3]. ومثّل لذلك ببيت الفرزدق المشهور الذي يمدح فيه إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبد الملك(البسيط):

ومَا مثلُهُ في النّاسِ إلاّ مملّكًا أبُو أمِّهِ حيٌّ أبُوهُ يُقاربُـــهُ

ويعلّق قائلا: « ففي هذا البيت من التّقديم والتّأخير ما قد أحال معناه وأفسد إعرابه لأنّ مقصوده وما مثله في النّاس حي يقاربه إلا مملّكا أبو أمه وأبوه»[4]. من خلال

(1) – ابن القيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد)، كتاب الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان): صححه محمد بن بدر الدين النعساني. مطبعة السعادة، مصر. ط1، 1327هـ. ص82.
يرى الدكتور/ زكريا سعيد علي أنّ قد وهم الكثيرون في نسبة هذا الكتاب إلى الإمام ابن قيّم الجوزية، والأصح نسبته إلى أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي الشهير بابن النقيب (ت698هـ)، إذ جعله مقدمة بين يدي تفسيره للقرآن الكريم. وقد استوفى د/ زكريا سعيد علي البحث في هذه المسألة في نشرته لكتاب الفوائد مكتبة الخانجي بالقاهرة في طبعته الأولى (1995م) في حوالي(687) صفحة.

(2) – الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن: تحقيق أبو الفضل الدّمياطي. دار الحديث، 2006م. ص770.

(3) – ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن سعيد)، سر الفصاحة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1982م. ص111.

(4) – المرجع نفسه: ص111.

إعادة صياغة التركيب على الأصل لإزالة الغموض.

فالقيمة البلاغية للتقديم والتّأخير مرتبطةٌ بالجائز منه على الخصوص، ومتوقّفة على حسن استعماله وفق مقتضى الحال، والوعي باستعماله في موضعه، حتى لا يؤدّي إلى إفساد المعنى.

أما عن أهمية تبادل المواقع عند المحدثين، فنورد مجموعة من أقوال من خاض في مضمار التّقديم والتّأخير بلاغيا أو أسلوبيا:

إنّ التّقديم والتّأخير بناء أسلوبي يلجأ إليه المبدع ليضفي على كلامه صبغة فنّية تتّسم باللطافة والبداعة والإيقاع إظهارا للمعاني بحسب ترتيبها في نفسه، وشدًّا لانتباه المتلقي وتحريكا لحسّه الفني وعواطفه [1].

ويقول محمد عبد المطلب في سياق التّعليق على قول عبد القاهر الجرجاني: «ومدلول (الفكر والرويّة) في عبارة عبد القاهر السّابقة يجب التّنبه إليه؛ إذ يبدو أنّه يؤكد بطريقة واضحة امتداد جذور الصّياغة إلى ذات المبدع الخالق، كما يشكّل بعدًا إدراكيا لوعي هذا المبدع بالمكوّنات المتشابكة لجزئيات صياغته، وهو ليس إدراكا آليا وذهنيا، وإنّما هو إدراك خلاّق يكثّف المستوى الجمالي للتعبير عن طريق خَلْق بنية تتداخل فيها العلاقات، وتتبادل فيها التفاعلات بفنية تستمد قيمتها من النّحو الإبداعي »[2]

والتّقديم والتّأخير ليس مجرّد مخالفة، فكلّ مخالفة لها غرض ما، كما يقول "عبد الحكيم راضي": « ومن الصّحيح فعلا أنّ مجردَ المخالفة يُنبئُ عن غرض ما، وأنّ هذا الغرض قد يكون توجيهَ التفاتِ السّامع إلى كلمةٍ من الكلمات عن طريق إبراز هذه الكلمة إبرازًا يتحقّق عنه تأثير ما، وهي فكرة قرّرها "باسكال" (Pascal) حينما صرّح

(1) – جبار اهليل زغير محمد الزيدي المياحي، أسلوبية اللغة عند نازك الملائكة: رسالة دكتوراه، كلية التربية (صفي الدين الحلي)، جامعة بابل. 2011م. ص217.

(2) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: مكتبة لبنان ناشرون، والشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان). ط1، 1994م. ص329.

بأنّ الكلماتِ المختلفة الترتيب يكون لها معنًى مختلفٌ، وأنّ المعاني المختلفة الترتيب يكون لها تأثيرات مختلفة»[1].

لذا عُدّ التّقديم والتّأخير من صور الانحراف الأسلوبي، وهو ما يُلمح من كلام صلاح فضل حين يقول: « ولا يمكن إنكار حقيقة واضحة في هذا المجال؛ وهي أنّ محاولة تصوّر الأسلوب كانحراف عن قاعدة خارجة عن النّص، وابتعاد متعمّد من قبل المؤلف لتحقيق أغراض جمالية أمر مقبول للوهلة الأولى، كما لا يمكن إنكار حقيقة أخرى، وهي أنّ هذا التّصور يساعد على شرح كثير من الظواهر اللافتة في النصوص الأدبية..»[2].

ومن الذين اعتنوا بهذه الظاهرة في القرآن الكريم "حمد السّيد سليمان العبد"، إذْ يقول: « ولعلّ من أهمّ مظاهر رعاية الفاصلة التي أشار إليها القدماء والتي يمكننا حقّا أنْ نجد لها صدى كبيرا وتأثيرا ملحوظا في بنية اللغة القرآنية: التّقديم والتأخير. لقد نتج عن رعاية الفاصلة القرآنية التّقديم والتّأخير في وحدات الجملة متى كان ذلك جائزا ولا لبس فيه»[3]. ويخلص إلى نتائج عن التّقديم والتّأخير مفادها أنّه لا يخلّ بالمعنى المؤدى، فضلا عن إضفاء على الأسلوب قيمة عالية، ويُسهم في انسجام الفواصل وتوازن موسيقاها[4].

أمّا رمضان صادق فيقول في كتابه "شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية": « إنّ عملية التّقديم والتّأخير ليست مجرّد نقل للدال من مكانه المفترض له سلفا إلى مكان آخر قبله أو بعده على مستوى النّطق والكتابة فقط، وإنما هي في جوهرها تمثّل تزاوج

(1) – عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي (دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقاد العرب): المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر. ط1، 2003م. ص218.

(2) – صلاح فضل، علم الأسلوب –مبادئه وإجراءاته: ص212.

(3) – العنبكي (علي عبد الله حسين)، البناء اللغوي في الفواصل القرآنية: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ط1، 2001م. ص76.

(4) – المرجع نفسه، ص105.

الفكر واللغة، ذلك أنّ تغيرا في حركة الصياغة يتبعه بالضرورة تغيير في الفكر الذي يجسده، فممّا لا شك فيه أنّ الفكر واللغة وجهان لعملة واحدة، وحركة الفكر لابد أنْ تتوافق معها حركة الصّياغة لإتمام الهدف الإيصالي والتأثيري معا...»[1]، بل يحلو له أنْ يصفه – في موضع سابق– بالأيقونة: « ... على هذا فأيقونة التّقديم والتّأخير من الأيقونات الأسلوبية الهامة التي تتّصل في دراستها بعناصر ومستويات الكيان الشعري المختلفة..»[2].

فلا خلاف بين اللسانيين والنّقاد الأسلوبيين في النّظر إلى التّحويل بالتّقديم والتأخير، وكلّهم مجمعون على الوظيفة البنائية والدلالية كالانسجام والتّوازن والتّبليغ والتّأثير.

(1) – رمضان صادق، شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1998م. ص115.
(2) – المرجع نفسه، ص115.

– أسلوب التّقديم والتّأخير في تفسير آيات القصص:

أولا: ما يختص بالجملة الاسمية

1– تقديم الخبر على المبتدأ

الأصل في ركني الجملة الاسمية أنْ يُذكر المبتدأ ويُذكر بعده الخبر، قال سيبويه: «وتأخيرُ الخبر على الابتداء أقوى، لأنّه عاملٌ فيه »[1]، ولأنّ الخبر وصف في المعنى، واستحق أنْ يُؤخر كالوصف[2].

وقد يتبادل المبتدأ والخبر الرّتب، فيتقدّم الخبر ويتأخر المبتدأ، و« ذلك قولك: "فيها عبدُ الله". ومثله: "ثَمَّ زيدٌ"، و"ههنا عمرٌو"، و"أَيْنَ زيدٌ"، و"كَيْفَ عبدُ الله"، وما أشبه ذلك »[3]، ويشترط "ابن عقيل" في جواز ذلك برمّته ألاّ يحصل لَبْسٌ أو نحوه..[4].

وبالرّجوع إلى بناء تبادل الرّتب بين المبتدإ والخبر، نجده –من النّاحية النّحوية– ينتابه حكمان: الوجوب والجواز، أمّا من ناحية الدّرس الأسلوبي، فيتناول التّقديم والتّأخير من جهة المبتغى الدّلالي المنشود.

ومن خلال القراءة المتأنّية لتفسير آيات القصص، نجد أنّ هذا البناء الأسلوبي شكّل ظاهرة مميّزة، تتكرّر بشكل لافت للانتباه.

ويمكن عرض الصّور المختلفة لبناء التّقديم والتّأخير في الجملة الاسمية، كما يأتي:

- ✓ تقديم الخبر على المبتدأ النّكرة.
- ✓ تقديم الخبر على المبتدأ المضاف إلى معرفة.
- ✓ تقديم الخبر على المبتدأ المقرون بـ"أل".

---

(1) – سيبويه، الكتاب: ج2، ص122.

(2) – ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله العقيلي)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: دار التراث، القاهرة، مصر. ط20، 1980م. ج1، ص227.

(3) – سيبويه، الكتاب: ج2، ص127.

(4) – ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ج1، ص227.

- ✓ تقديم خبر كان على اسمها.
- ✓ تقديم خبر إنّ على اسمها.

إنّ هذه الصّور تتكامل فيما بينها لتُشكّل بناء التّقديم والتّأخير في الجملة الاسمية، ومن ثمّ فإنّ خروج التّقديم أو التّأخير عن المقولات النّحوية لا يعدو أنْ يكون –في جوهر الأمر– مجرّد بناء من أبنية التّبادل في الجملة الاسمية.

ويمكن أنْ نلاحظ المواضع التي يتقدّم فيها الخبر على المبتدأ في أنساق مختلفة تستحق التّأخير، كما تقدّم في مواضع أخرى لا تستحق التّأخير. فقد تأخّر (المبتدأ) في عدد من المواضع، ولم يكن حقّه التّأخير لكونه ملابسا لما يستوجب التّقديم، ولا يمكن أنْ تدرج هذه التبادلات إلا في سياق اختيارات "سيد قطب" المصاحبة لتدفّق أفكاره وتموجاتها.

وتوزّع تبادل الرّتب في هذه المواضع كما يلي:

أ– تقديم الخبر على المبتدإ (نكرة):

ومن أمثلته قوله:

1– « في أحْداثِ المعركَةِ التي تُصوّرُها القِصَّةُ بينَ الإنسَان والشّيطان مَذكَرٌ دَائِمٌ بطَبِيعَة المعركَة »[1].

جاء المبتدأ (مذكرٌ) نكرة موصوفة بـ(دائم)، والوصف أحد المسّوغات المجيزة للابتداء بالنّكرة[2]، ممّا يسمح أنْ يكون التركّيب وفق ما تقتضيه القاعدة النّحوية: [مبتدأ + خبر]، لكنّ الكاتب لم يعمل بهذا المسّوغ النّحوي، وأراد أنْ يُعدّ ذهن المتلقي للفكرة بأن مهّد بذكر مؤشرات في شبه الجملة (الخبر)، قبل أنْ يذكرَ المبتدأ النّكرة.

(1) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص61.

(2) – يجوز الابتداء بالنكرة إذا وُصفت لفظاً مثل: (حادثٌ هامّ وقع) أو تقديراً مثل: (أمرٌ أتى بك – شويعر ينشد)، فالتقدير: أمر عظيم أتى بك، شاعر صغير ينشد. ينظر: شرح ابن عقيل: ج1، ص218.

وقوله:

2- « وفيهِ مُفَاجَآتٌ مُشوِّقةٌ كمَا أنّ فِيه سُخْرِيةً بالكَيْد البَشَرِي العَاجِزِ أمَام تَدْبِيرِ اللهِ وكَيدِه. وفيهِ حَيَوِيّةٌ في العَرْض حَتّى لَكَأنَّ السَّامِعَ - أوْ القَارِئَ - يَشْهَد القِصّةَ حَيّةً تقَعُ أحْداثُها أمَامَه وتَتَوالى »[1].

ورد المبتدأ (مفاجآت) نكرة موصوفة بـ(مشوقة)، والخبر شبه جملة (فيه)[2]، فقدّم الخبر على المبتدأ. وفي الجملة الثانية ورد المبتدأ (حيوية) نكرة، فتبادل الموقع مع الخبر (الجار والمجرور) سيرًا على النّواميس التي تنظم اللغة العربية[3].

من هذا النّوع الأخير قوله:

3- « وَفِي التّصوُّرِ الإسْلامِيّ إعْلاءٌ منْ شَأنِ الإرَادَة في الإنسَان »[4].

قدّم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ النّكرة، وقد استعمل (سيد) هذا التّجوّز في القاعدة النّحوية كثيرًا، حتىّ إنّه يعمد إلى بدءِ فقراته وفق هذا البناء اللغوي في كثير من الأحايين.

ومن أمثلة أشباه الجمل (جار ومجرور) التي جاءت على رأس الفقرات، نذكر النّماذج الآتية:

4- « ولِلحُريةِ ثمَنٌ، ولِلْعِزّةِ تَكَالِيفُ، ولِلأمَانة الكُبْرَى التي نَاطَهُم اللهُ بهَا فِدْيَةٌ»[5].

(1) - في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3664.

(2) - يرى كثير من العلماء أنّ الخبر هو متعلق الجار والمجرور والظرف ويقدرونه بـ(موجود أو كائن). وفي كل منهما ضمير يربطه بالمبتدأ. هذا وظرف المكان صالح لأن تخبر به عن كل اسم، أما ظرف الزمان فلا يخبر به عن الذوات إذ لا معنى لقولك: (أنت في كانون، الأمير يوم الخميس) وإنما يخبر به عن أسماء المعاني فقط فيقال: (عطلتك في كانون، سفر الأمير يوم الخميس). ينظر: شرح ابن عقيل: ج1، ص213.

(3) - الأَصل في المبتدأ أَن يكون معرفةً، ولا يقع نكرة إِذ لا معنى لأَن تتحدث عن مجهول مثل: (رجلٌ عالمٌ)، لكن النكرة إِذا أَفادت جاز الابتداءُ بها، كأَن تقول عن رجل معروف عند السامع: (رجلٌ عندك عالم)، والمعوّل في إفادة النكرة على الملكة والسليقة. ينظر: شرح ابن عقيل: ج1، ص215.

(4) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص61.

(5) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص74.

5- « وفِيهَا شُمُولٌ لما سبق من تلاوة الآيات وهي الكتاب »[1].

6- « وفِي هَذا مَظْهَرٌ منْ مَظاهِر التّكريم لا شكّ فيه »[2].

7- « ولهم في كُلِّ جِيلٍ أسْلُوبٌ من أسَاليب الكَيد جَديدٌ »[3].

8- « وفِيهَا عِظَاتٌ لمن يتَفَرّس ويتَأمَّل »[4].

9- « وفِيهَا خَدَمٌ وحَشَمٌ»[5].

10- « فِي نفْسِهِ سَكِينَةٌ وفِي قَلْبِهِ طُمَأْنِينَةٌ »[6].

11- « وفِيهِم مَدَارِكُ ولهُم عُقُولُ »[7].

إنّ هذا التّبادل في المواقع بين المبتدأ والخبر بالتّقديم والتأخير، حتى وإنْ كان جائزا، له أثرٌ على المعنى ولا يأتي عبثا، ولذلك خصّص له الجرجاني حيّزًا في كتابه "دلائل الإعجاز"[8]، وزبدة قوله أنّ تقديم المبتدأ يفيد نوعا من تأكيد الإسناد إليه أو يؤدي معنى الحصر فيه، أمّا تقديم الخبر: فبالإضافة إلى خلوّه من هذا التأكيد، فإنّه يشير إلى أهمية المسند.

يقول أحد المحدَثين: « حين نقدّم ما لا حقّ له في التّقديم، نكون قد أحدثنا تغييرًا في المواقع، وفي الصّلاحيات، وفي الأضواء، وفي الأثر النّفسي، لأنّ المقدَّم يحتلّ مركزًا ممتازًا، فهو أوّل ما تقع عليه العين، وأوّل ما تتأثّر به، وأوّل ما تعجب به، وأوّل ما تقع النّفس تحت أضوائه، فتنشغل به »[9].

(1) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص139.

(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص61.

(3) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص405.

(4) – في ظلال القرآن: مج4، ج14، ص2150.

(5) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1983.

(6) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2004.

(7) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2735.

(8) – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص94 وما بعدها.

(9) – منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل: منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر. ط1، 1988م. ص138.

وكما تقدّم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ النّكرة، يتقدّم على الخبر (الظرف)، وإنْ كانت صوره قليلة –في الظلال- إذا ما قُورنت بالجار والمجرور. ومن أمثلته، قوله:

12- « وحَوْلَكُمَا مِنْ سُلْطَانِ اللهِ سِيَّاجٌ ، ولكما منْه حِصْنٌ ومَلاَذ »[1].

قدّم الظرف "حولكما" على المبتدأ النّكرة "سياجٌ" ، وكذا على متعلقاته، والغاية التّعبيرية من ذلك: التّخصيص وإبراز الأهمية[2]، فهو سّياج من لدن ربّ العالمين، ضُرب ضُرب حول موسى (عليه السّلام) وأخيه هارون من دون غيرهما، وخُصّا به لمنزلتهما عند الله إذ كلّفهما بتبليغ رسالته.

ب- تقديم الخبر على المبتدأ المضاف إلى معرفة (معرف بالإضافة):

قد يضاف المبتدأ إلى ضمير يعود على متقدّم، فيحقّ له التّأخر على الخبر الجار والمجرور[3]، وفق النّسق النّحوي الآتي:

[خبر (جار ومجرور) + مبتدأ (معرف بالإضافة)]

ومن أمثلته:

13- « فَلِكُلِّ فَرِيقٍ وِجْهَتُه »[4].

اتّصل المبتدأ "وجهةٌ" بضمير يعود على جزء من الخبر "لكلّ فريق"، فجاز أنْ يتأخّر عملا بما تقرّره القاعدة؛ لأنّ القصد منصب على الجار والمجرور " كلّ فريق"، ويدلّنا على ذلك ما ذكره في الفقرة السّابقة لهذه العبارة: « إنّ هذا القرآن قرآننا. قرآن الأمة المسلمة. وهو كتابها الخالد الذي يخاطبها فيه ربُّها بما تعمله وما تحذره. وأهل الكتاب هم أهل الكتاب، والكفار هم الكفار. والدّين هو الدّين».

(1) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2693.

(2) – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص86.

(3) – إذا كان في المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر، يُقدم الخبر حتى لا يعود الضمير على متأَخر لفظاً ورتبة.
– ينظر: علي أبو المكارم، الجملة الاسمية: مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، مصر. ط1، 2007م. ص56.

(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص136.

وكما أُضيف المبتدأ إلى ضمير في المثال السّابق، يُضاف أيضا إلى اسم معرفة، في مثل قوله:

14- « فِيهِ جَاذِبِيةُ الصِّدْقِ والبَسَاطَةِ »[1].

ورد المبتدأ "جاذبية" معرّفا بالإضافة إلى المعرفة، وهو ما يمكّنه من أخذ موقعه الأصلي، لكن الكاتب أخذ بالتجوّز[2]، وأحدث تبديلا في الرّتب بينهما.

وهذا الضّرب من التراكيب وافر الورود عند (سيد)، نذكر منه العينات الآتية:

15- « فِيهِ ضُعْفُ البَشَرِ »[3].

16- « ومِنْ أَلْوَانِه البَارِزَةِ تَذْبِيحُ الذُّكُورِ مِن الأوِلاَد »[4].

17- « وفِيهَا بَرَكَةُ الخَصْبِ والرِّزْقِ »[5].

18- « وفِيهَا ذِكْرُ عِبَادَتِهِم للعِجْلِ »[6].

فالمبتدأ المؤخر في هذه المواضع كان حقّه التّقديم، وكان حقّ الخبر الذي احتوى على ضمير أنْ يتأخّر، كما تقتضي القاعدة النّحوية، لكن ذلك لم يحدث، وهذا النّسق يتحقّق كسياق للتقديم في كلّ كلام فيه ضمير قصة؛ لأنّ الكلام « إذا أضمر ثمّ فسر كان ذلك أفخم له من أن يُذكر من غير تقدّم إضمار»[7].

(1) – في ظلال القرآن: مج6، ج27، ص3431.

(2) – لا يبتدأ بنكرة إلا إنْ حصلت فائدة: كأن يُخبر عنها بمختص مقدم ظرف أو مجرور، نحو: (ولدينا مزيد) و(على أبصارهم غشاوة). ينظر:

– ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين، الأنصاري)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، لبنان. (د.ت) ج1، ص203.

(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1956.

(4) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2088.

(5) – في ظلال القرآن: مج4، ج17، ص2388.

(6) – في ظلال القرآن: مج3، ج9، ص1332.

(7) – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص99.

ج- تقديم الخبر على المبتدأ المقرون بـ"أل".

جاز للكاتب أنْ يسير على المنوال الأصلي للتركيب، فالمبتدأ محلى بـ"ال"[1]، لكنّه جنح إلى هذا الضّرب من التّركيب الذي كثيرا ما يُتيح له الإصرار على الفكرة بقصر الخبر على المبتدأ، ويمكن ملاحظة ذلك فيما قدّم المسند لتخصيصه بالمسند إليه[2]، مثل:

19- « وفِيهَا الأَرْضُ المقدّسَةُ »[3].

المبتدأ معرّف بـ(ال)، فحقّه التّقدم على الخبر، ولكنّ الكاتب قدّم الخبر بداعي الجار والمجرور، لأجل التنبيه إلى أهمية المسند، فالضمير –هنا- يعود على "الأرض" الوارد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء/71)، والتي قدّرها (سيد) بأرض الشّام، وقيمتها تكمن في ما حوته "فيها": أرض الأنبياء، وثاني الحرمين، وبركة الخصب والرّزق، وبركة النبوة.

ومن هذا القبيل نجد المثال الآتي:

20- « وفِيهَا البُشْرَى للمُؤمِنِينَ المسْتَضْعَفِينَ المضْطَهَدِينَ...وفِيهَا الدَّمَارُ لِلظَالِمِينَ المتَجَبِّرِينَ »[4].

انصبّ اهتمامه على الخبر (فيها) الذي يتكرّر في التّركيب الوارد بعده، ليجمع بين المتناقضات في مبتدأ التركيب الأول ومبتدأ التركيب الثاني.

إضافة إلى المعاني التي تؤديها الوحدات المعجمية، يؤدي بناء التّقديم والتّأخير المعاني التي قصدها الكاتب، والمعاني المقصودة « هي في الحقيقة طاقات تعبيرية جديدة

(1) – يجوز التّقديم والتأخير فيما فقد فيه موجبهما(يجب تقديم المبتدأ وتأخير الخبر في أربع: أن يوقع تأخيره في لبس ظاهر، أن يقترن المبتدأ بإلا لفظا، أن يكون لازم الصدرية، أن يعود ضمير متصل بالمبتدأ على بعض الخبر).
– ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ج1، ص212-216.

(2) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص336.

(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج17، ص2388.

(4) – في ظلال القرآن: مج5، ج19، ص2600.

تلحق المعاني الظاهرة فتزيدها تدقيقًا وتأكيدًا»[1]. وقد نوّه الزمخشري – من قبل– أنّ تقديم الخبر وهو جار ومجرور –في مثل هذه المواضع– يدلّ على الاختصاص[2]، بينما وهناك من يجعل التّقديم لمجرّد الاهتمام دون أن يفيد الاختصاص[3].

2– تقديم خبر "كان" وأخواتها

يقدّم (سيد) خبر النّاسخ بصورة جليّة، على منوال تقديم الخبر على المبتدأ، فيشكّل ظاهرة واضحة، يتنوّع بين الوجوب والجواز، سواء أتعلق الأمر بخبر كان أم بخبر إحدى أخواتها، ويتّخذ صوّرًا وفق ما يأتي:

أ– [كان + خبر (جار ومجرور) + اسم نكرة]

إنّ هذا الضرب من التّركيب في سياق تقديم (خبر كان) على (اسمها) قد ورد في مواضع مختلفة. وهذه السّياقات هي في جوهر أمرها سياقات لتبادل المراتب بين الخبر والمبتدأ، لابسها دخول النّواسخ عليها، وهي معظمها تجري على القياس النّحوي؛ ففي قوله:

21– « لقَدْ كانَ فِي قِصّةِ يُوسُفَ وإِخْوَتِه آيَاتٌ وأَمَارَاتٌ عَلى حَقَائِقِ كَثِيرَةٍ »[4].

في هذا التّركيب، تبادل خبرُ كان (الجار والمجرور) الموقعَ مع اسمها النّكرة، وأصل الكلام "لقد كان آيات وأمارات على حقائق كثيرة في قصة يوسف وإخوته"، فلمّا توالت أشباهُ جملٍ مكوّنة من جارٍ ومجرور، وهذا من شأنه أنْ يؤدي إلى ارتباك المتلقي في تحديد الخبر، اهتدى إلى التّقديم والتّأخير لأجل رفع اللّبس، وهو ما يتوافق مع القاعدة

(1) – محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات: منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.1981م. ص286.

(2) – ينظر: محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: دار الفكر العربي. (د.م)، (د.ت). ص271.

– مسعود بودوخة، دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري: عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. 2011م. ص17.

(3) – توفيق الفيل، بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر. 1991م. ص134.

(4) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1973.

النّحوية، ونظرية أمن اللّبس التّفسيرية[1].

ومن الأمثلة المشابهة نورد ما يأتي:

22- « وكانَ لهُم في كُلِّ ميْدَانٍ مِنْ هَذِه الميَادِين أفَاعِيلُ ليْسَتْ مِثْلُها أَفَاعِيل!»[2].

23- « وكانَ في هَذا التَّوجِيه كِفَايَةٌ لِيَثُوبُوا إلى أَنْفُسِهم »[3].

24- « ويَقْتَرِحُونَ أنْ يَكُونَ للرّسُولِ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ »[4].

25- « واسْتَدْعَاهُ المِلِكُ لِيَكُونَ لَهُ شَأْنٌ مَعَه »[5].

26- « إنّمَا كانَ لَه أصْلٌ في وَاقِعِ حَيَاتِه في ذلِك اليَوْم »[6].

27- « حتّى مَا يَكُون للشَّيْطان سُلطَانٌ عَلى المؤْمِنِ الذَّاكِر »[7].

28- « فَكَانَتْ بهَا أقْوَى مِنْ جَمِيعِ القُوَّى التّي وَقَفتْ في طَرِيقِها »[8].

نلاحظ في كلّ مثال –وهي أمثلة متفرقة من مواضع مختلفة من تفسيره- أكثر من جار ومجرور، والجار والمجرور قيد أو فضلة وحقّه أنْ يكون بعد المسند والمسند إليه، وهذا يؤدي إلى اللّبس بالضّرورة، فيتردّد المتلقي في تعيين ما يتعلّق بالخبر المحذوف[*]، وما يلحق بالمبتدأ المذكور[9].

(1) – ينظر: تمام حسان، الأصول (دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو –فقه اللغة – البلاغة): عالم الكتب، القاهرة، مصر. 2000م. ص130.

– وينظر أيضا: توفيق الفيل، بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: ص135.

(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص75.

(3) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص78.

(4) – في ظلال القرآن:مج4، ج15، ص2209.

(5) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2004.

(6) – في ظلال القرآن: مج5، ج23، ص2993.

(7) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1268.

(8) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2736.

(*) – يطلق عليه في الكتب التعليمية خبرا تسهيلاً على المبتدئين.

(9) – ينظر: تمام حسان، الأصول: ص130.

ب-[كان+ خبر كان(جار ومجرور) +جملة اعتراضية+ اسم كان(مصدر مؤول)]:

29- « لقَدْ كانَ في وسْعِهم - وهُمْ في سَعَةٍ مِن الأمْرِ- أنْ يمُدُّوا أيْدِيَهُم إلى أيَّةِ بَقَرةٍ فَيَذْبحُوهَا »[1].

ورد اسم كان مصدرا مؤولا (أن يمدوا) والخبر شبه جملة قدّم للاهتمام بأمر المتقدِّم الذي يزيد من وطئة اللّوم على بني إسرائيل الذين شدّدوا على أنفسهم، وأكثروا السؤال عن صفة البقرة المطلوب ذبحها تلكُّؤًا والْتِواءً، فاستحقوا أنْ يُشدّد الله عليهم؛ كما يقول ابن كثير[2].

ج- [كان + خبر كان (اسم إشارة) + اسم كان (معرّف بـ"ال")]:

30- « بلْ كانَ هنَالِك الميثَاقُ تحْتَ الصَّخْرَة، وكَانَ هُنَاكَ التَّمَرّدُ والمعْصِيةُ »[3].

قُدّم خبر كان (اسم الإشارة) على اسمها المعرفة في تركيبين متتاليين، إصرارا من الكاتب على الفكرة.

وتتنوّع أنماط أبنية الجمل التي يقع فيها تبادل بين اسم كان وخبرها، وفق ما يأتي:

- [نفي + كان + خبر كان (اسم إشارة) + اسم كان (معرف بالإضافة)]

31- « ولمْ تَكُنْ هنَاك حَلْقَةُ مَوْلِدِ مَرْيم »[4].

جاء اسم كان معرفا بالإضافة، فقُدّم خبرها (اسم الإشارة) في سياق منفي.

- [كان + خبر كان (اسم إشارة) + اسم كان (اسم معرفة -اسم موصول)]

32- « ولمْ يَكُنْ هنَالِك مَا يَدْعُو إلى تَفْصِيلٍ أكْثَر »[5].

(1) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص78.

(2) - ابن كثير (الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير)، تفسير القرآن العظيم: تحقيق سامي بن محمد السّلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. ط2، 1999م. ج1، ص295.

(3) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص91.

(4) - في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص391.

(5) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص97.

○ [كان + خبر كان (اسم إشارة) + اسم كان (نكرة موصوفة)]

33- « ويَبْدُو أنَّهُ كانَتْ هنَاكَ قِصّةٌ مَعْرُوفَةٌ عَنْهُمَا »[1].

34- « كانَتْ هنَاك حَالَةٌ واقِعَةٌ مِنْ بعْضِ المسْلِمِينَ »[2].

35- « وهو الذِّي يَشِي بأنَّهُ كانَتْ هنَاك حَالَةٌ واقِعَةٌ وراءَه في قُلُوبِ بعْضِ المسْلِمِينَ تقْتَضِي هذا التّوكِيد وهذا التّحذِير الشّدِيد»[3].

36- « نَلْمحُ وراءَ التّكْرَارِ أنّه كانَتْ هنَاك حَالَةٌ واقِعَةٌ في الصّفِ الإسْلاَمِيّ تَسْتَدْعِي هذا التّكْرَار ، وهذا التّوكِيد ، وهذا البَيَان ، وهذا التّعْلِيل »[4].

○ [كان + خبر كان (اسم إشارة) + اسم كان (نكرة)]

37- « فقَدْ كانَتْ هنَاكَ مُحرّمَاتُ عَلَى اليَهُودِ خاصَةً »[5]. الفعل النّاقص في صيغة الماضي.

38- « فلَمْ تَكُنْ هنَاك اسْتِجَابَةٌ في أوّلِ الموْقِفِ »[6]. الفعل الناقص في صيغة المضارع. المضارع.

يقول الجرجاني في مثل هذه السّياقات: « وجملة الأمر أنّه ليس إعلامك الشّيء بغتة مثل إعلامك له بعد التّنبيه عليه والتّقدمة له، لأنّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التّأكيد والإحكام»[7]، فهذه الإشارات "هناك" المذكورة بعد الفعل النّاقص -في الأمثلة السّابقة الذكر- قدّمها عن موضعها ليتّخذها تمهيدا لما يلحقها.

(1) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص95.
(2) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص135.
(3) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص136.
(4) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص138.
(5) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص157.
(6) - في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1981.
(7) - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ص99.

- [ليس + خبرها (جار ومجرور) + اسمها]

39- « لَيْسَ لَهُ مِنْ هَذا النَّصْرِ والتَّمْكِينِ شَيْءٍ »[1].

40- « وليْسَ لنَا مَصْدَرٌ آخَر مَوْثُوقٌ به نعْتَمِدُ عَلَيْهِ في تحْدِيدِه »[2].

41- « فليْسَ لنَا مَا نسْتَنِدُ عَلَيْهِ لِنُقَرِّرَ مَسْأَلَةَ البسَاطِ »[3].

42- « وليْسَتْ لكُم برَاءَةٌ في الصَّحَائِفِ المنَزّلَةِ »[4].

43- « لَيْسَتْ فِيهَا التّفْصِيلاَتُ التّي تَرِدُ في مَواضِع أُخْرَى مِنَ القُرْآن»[5].

يرى الزمخشري أنّ التّقديم في مثل هذه المواضع يدلّ غالبا على الاختصاص[6].

- [ليس + خبرها (اسم إشارة) + اسمها]

44- « ولَيْسَ هنَالك تكْفِيرٌ لاَهُوتِيٌّ »[7].

45- « فلَيْسَ هنَالك حُكْمٌ فِقْهِيٌّ واحِدٌ مُسْتَقِلٌّ بِذَاتِه »[8].

تقدّم خبر ليس على اسمها النّكرة الموصوفة.

فهذه الرّخص التركيبية التي عمل بها (سيد) تشي بميله إلى التلوين التركيبي والتنوع الأدائي من جهة، وتشي بأنّ اللغة العربية اتّسمت بالمرونة، كما عرفت التحديدات ورسمت الحدود من جهة ثانية.

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2007.
(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج15، ص2291.
(3) – في ظلال القرآن: مج4،ج17، ص2391.
(4) – في ظلال القرآن: مج6، ج27، ص3435.
(5) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1308.
(6) – محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: ص273.
(7) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص61.
(8) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2006.

3- تقديم خبر "إنّ" وأخواتها

مما لوحظ أنّ أغلب السّياقات النّحوية الّتي تقدّم فيها "خبر إنّ" على اسمها في "الظلال" كان شبه جملة (جارًا ومجرورًا أو ظرفًا) أو اسم إشارة، وهو ما سوّغه النّحاة لتقديم "خبر إنّ"[1].

أمّا اسم "إنّ" فكان على ثلاثة أحوال:

- ✓ نكرة مجردة.
- ✓ نكرة موصوفة.
- ✓ معرفة.

وعلى كلّ فإنّ بناء التبادل وتشكيل سياقات "التّقديم والتأخير" في الجملة الاسمية كان خاضعا في المقام الأول لمقررات الحكم النّحوي في تفصيلات تقديم الخبر وما يتبعه، وأغراض هذا التّقديم، والدلالات المستفادة منه تتضافر مع خصائص الجملة وتوظيفها في سياق هذه التفصيلات.

✓ اسم نكرة مجردة:

ومن المواضع التي استحق فيها اسم إنّ وأخواتها التّأخير، وجاء نكرة مجرّدة؛ لا موصوفة ولا مضافة، قوله:

46- « وفِيهِ مُفَاجَآتٌ مُشَوِّقَةٌ كمَا أنّ فيه سُخْرِيّةً بالكَيْدِ البَشَرِيِّ العَاجِزِ أَمَامَ تَدْبِيرِ اللهِ وكَيْدِهِ. وفِيهِ حَيَوِيَّةٌ في العَرْضِ»[2].

(1) – هذه الأَدوات لا تتقدم أَخبارها على أَسمائها أَبداً، وبذلك تخالف أَحكام (المبتدأ والخبر)، فإذا كان الخبر كوناً عاماً جاز لمعموله الظرف أو الجار والمجرور في غير ((لا)) التقدم على الاسم مثل: (إن في الدار أَخاك، لكنَّ عندي أَباك)، والخبر (موجود أَو كائن) يقدر مؤخراً عن الاسم. وإنما يجب تقديم المعمول الظرف أَو الجار والمجرور إذا لزم من تأْخيره عود الضمير على متأَخر لفظاً ورتبة (كما سبق لك في وجوب تقديم الخبر مثل: إن في المدرسة مديرَها)، وإذا اقترن الاسم بلام التوكيد مثل: (إن عندي لخالداً). ومعمول الخبر يجوز دائماً أن يتوسط بين الاسم والخبر مثل: (إن خالداً عندي مقيم، لعل زهيراً دَينَه يستوفي).

(2) – في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3664.

ورد اسم "أنّ" (سخرية) نكرة مجردة، وخبرها جارا ومجرورا (فيه)، وهو مما يجيز تأخير اسم "إنّ" حسب المقولات النّحوية. وينطبق هذا على المثال التالي الذي ورد فيه خبر "إنّ" اسم إشارة:

47- « حَسَّ الطّاغِيّةُ أنّ هنَاك خَطرًا على عَرْشِهِ ومُلْكِهِ مِنْ وُجودِ هذِه الطائِفَة في مِصْر»[1].

وأيضا قوله:

48- « وأعْلَنَ المؤَذِنُ أنّ هنَاك مُكافَأةً لمنْ يحْضُرُهُ مُتَطَوِّعًا»[2].

✓ **اسم نكرة موصوفة.**

قد تبادل اسم "إنّ" النّكرة الموصوفة الموقع مع خبرها (شبه الجملة) في مواضع كثيرة، وقد أجازت له القاعدة أن يحافظ على رتبته[3]، وما تقدّمه إلا لأغراض دلالية مستقاة من وراء هذا التوظيف لهيكل جملة (إن واسمها وخبرها) أو بالهيكل الفرعي (إن + خبرها [جار ومجرور أو ظرف] + اسمها).

ومن الأمثلة التي تقدّم خبر "إن" الجار والمجرور على اسمها النّكرة الموصوفة قوله:

49- « كمَا أنّ فِيهِ تَذْكِيرًا دَائِمًا بمفْرِقِ الطّرِيقِ بيْنَ السّعَادَةِ والشّقَاوَةِ»[4].

50- « وأنّ لهُمْ أخًا صَغِيرًا مِنْ أبِيهِمْ لمْ يحْضُرْ مَعَهُمْ»[5].

51- « هُمُ الذِّينَ عَلِمُوا أنّ لهُمْ إلهاً واحداً »[6].

52- « إنّ لهُ طبِيعةً لاَهُوتيةً »[7].

(1) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2677.
(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2019.
(3) – ابن عقيل، شرح ابن عقيل: ج1، ص348.
(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص61.
(5) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2015.
(6) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1304.
(7) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص405.

53- « لأنّ لهُ دَوْرًا آخَر في هَذا الكوْن »[1].

54- « وأنّ لهُ رِيحًا يَشُمُّهَا هذا الشّيْخُ الكَلِيل »[2].

55- « لأنّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ »[3].

56- « وإنّ لحَيَاةِ القُصُورِ جَوًّا خَاصًّا »[4].

ومن تقدُّم خبر "إنّ" الظرف على اسمها النكرة الموصوفة قوله:

57- « وأنّ ورَاءَها خَيْرًا كبِيرًا لِشَعْبِ مصْر وللشُعُوبِ المجَاوِرَة»[5].

تقدّم الخبر (الجار والمجرور والظرف) -في الأمثلة السّابقة- على المبتدإ لأنّه نكرة مخصّصة (موصوفة)، فسمحت السّليقة العربية للمتكلّم بالتّصرف في المكوّنات المتشابكة، لإنشاء صياغة جديدة « تتداخل فيها العلاقات، وتتبادل فيها التفاعلات بفنية تستمدّ قيمتها من النّحو الإبداعي»[6]، فتؤدي دلالة جديدة لا يمكن الوصول إليها مع تأخير الخبر.

✓ **اسم معرفة**

من صوّر تقدّم خبر "إنّ" الجار والمجرور على اسم "إنّ" المعرفة، ما يلي:

- [إنّ + خبرها (حرف جر + ضمير) + اسمها (مقرون بال)]

58- « أنّ لهُ الحقَّ في إعَادَةِ النّظَرِ في أوَامِرِ اللهِ »[7].

- [إنّ + خبرها (حرف جر + اسم) + اسمها (مضاف إلى ضمير)]

(1) - في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1267.
(2) - في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2028.
(3) - في ظلال القرآن: مج4، ج15، ص2277.
(4) - في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2690.
(5) - في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2005.
(6) - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص329.
(7) - في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1267.

59- « أعْلَنَ أنّ لِلمُعْتَدِينَ الظالمِينَ عَذابَه الدُّنْيَوِيّ وعِقَابَه »[1].

- [إنّ + خبرها (جار ومجرور) + اسمها(مؤول)]

60- « فإنَّ لِلقِيَادةِ المسْلِمَةِ أنْ تنْبُذَ هَذِه العُهُود »[2].

61- « فَإنّ لِلقِيَادَةِ المسْلِمَةِ أنْ تُوادعَهم »[3].

تقدّم خبر "إنّ" (الجار والمجرور) جوازًا[4]، فحُرّك لفظ الخبر من مكانه الأصلي الذي اكتسبه من نظام اللغة إلى مكان جديد يسبق فيه اسم "إنّ"، بغية إحداث تغيير في معنى الجملة، وإكسابه دلالة جديدة[5]، إذ إنّ هذا الإجراء الأسلوبي يجعل اللغة مرنة، تصوّر انفعال الفرد وتمكّنه من التّحكم في الدلالة، على قدر تحوّله عن البنية العميقة، شعر بذلك أو لم يشعر.

*** لكن:**

وكما تصرّف "سيد" في عناصر التّركيب بعد "إنّ"، نجده يتصرّف في عناصر التّركيب بعد "لكن"، فقدّم خبر "لكنّ" الجار والمجرور على اسمها النّكرة، في مثل قوله:

62- « ولكِنّ للقُصُورِ جُدْرانًا »[6].

كما قدّم خبر "لكنّ" الظرف على اسمها، في مثل قوله:

63- « ولكِنَّ وراءَه أمَلاً لمْ يَنْقَطِعْ »[7].

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج15، ص2291.
(2) – في ظلال القرآن: مج3، ج10، ص1539.
(3) – في ظلال القرآن: مج3، ج10، ص1539.
(4) – ابن هشام، شرح ابن هشام: ج1، 348-349.
(5) – عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد الأدبي: ص218.
(6) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1983.
(7) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2025.

وهذا التغيير في المواقع مسّ الخبر (شبه جملة)، ولم نقف على أمثلة للخبر المفرد في المدونة.

ونلاحظ أنّ هذا النّوع من أنواع التقديم والتأخير هو أكثر ورودا في المدونة، وأنّ التّقديم في بنية التركيب تتناسب في كلّ مرّة مع المعاني الدّقيقة التي قصد (سيّد) التّعبير عنها، والسّياق الذي ورد فيه. يقول تمام حسان: « وهذه الدلالت في عمومها لا تخضع للتقعيد، ولا تنتظم بالتعليل المنطقي، شأنها في ذلك شأن النغمة الموسيقية، أو اللوحة الزيتية، تحبّها أو تكرهها ثمّ لا تستطيع أن تُرجع هذا الحبّ وذلك الكره لسبب غير الذوق»[1].

(1) – تمام حسان، الأصول: ص317.

ثانيا: ما يختص بالجملة الفعلية

قد يقع التّقديم والتّأخير في متعلقات الفعل؛ كالزمان والمكان اللذين يقع فيهما الفعل، والجار والمجرور، والحال والمفعول، فيتمّ إعادة ترتيب عناصر الجملة الفعلية حتّى تتناسق مع المعنى المراد، عدا الفعل والفاعل فإنّ رتبتهما محفوظة[1]، والمألوف أنْ يتصدّر الفعل الجملة الفعلية، لكن قد يسعى الكاتب إلى تحقيق سرّ بلاغيّ ودلالة ثانية من خلال العدول عن المعيار النّحوي الأصلي[2]، أو للعناية أو لأمر يعلمه هو.

ويُعدّ التّقديم والتّأخير في الجملة الفعلية من الأبنية الأسلوبية القليلة عند "سيد قطب"، إذا ما قُورنت بالتّحولات التي تصيب بناء نظيرتها الجملة الاسمية، لكن القلّة في الجملة الفعلية البسيطة من الملامح الدالة على النزعة المحافظة على النظام اللغوي العربي. وسنتوقف عند نماذج واردة في تفسيره لقصص القرآن الكريم:

– تقديم المفعول به

المفعول به من متعلقات الفعل، ويُنظر إليه من ثلاثة أوجه عندما يتعلّق الأمر بالتّقديم والتّأخير: « مفعول يجب تقديمهُ، ولا يجوز تأخيره، وهو الاستفهام، والشرط، وضمير النصب بالفعل إذا ظهر الفاعل، وكذلك المفعول المنفصل إذا لم يكن مفعولاً ثانياً، أو ثالثا، في باب ظننت وأعلمت، ولم يُستثنى [يُستثن] الكلام بإلاّ ... ومفعول يجب تأخيره ولا يجوز تقديمه وهو كل مفعول يكون فاعله استفهاماً أو شرطاً أو مقصوراً وهو مقصور مثله... ومفعول يجوز تقديمه وتأخيره، وهو ما عدا ما ذكرناه »[3]. ويقرّر أحمد درويش حقيقة مفادها « أنّ هذا اللون من الأسلوب، الذي يتقدم فيه المفعول على الفعل في الجملة المثبتة غير شائع في لغة النثر، فنحن لا نقول في كلامنا العادي

(1) – ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. 1994م. ص207.

(2) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص329.

(3) – ابن الحيدرة اليمني (أبو الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي)، كشف المشكل في النحو: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1912م. ص64-65.

محمدا أُحِبُّ، ولم يؤلف كذلك هذا القول في النثر الأدبي، لكنه يأتي في الشعر...»[1].

ويمكن أنْ نحدّد الأنماط التي تتكرّر في الظلال فيما يأتي:

- تقديم المفعول به على الفاعل:

قد ينتقل المفعول به من رتبته الأصلية ويتقدّم على الفاعل للعناية به والاهتمام[2]، وهذا البناء معروف في لغة العرب؛ إذ يقول ابن جني (ت392هـ): « الأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالَم غير مستنكر، فلمَّا كَثُر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له..»[3]. فالسنن اللغوية تجيز تقدّم المفعول به على الفاعل إذا كان الاهتمام منصبا على من وقع عليه فعل الفاعل لا الفاعل نفسه، كقولهم: قتل الخارجيَّ فلانٌ، فإنّ الاهتمام بالمقتول لما عاث بالبلاد وكثر منه الأذى، فأردت أن تخبر بقتله لا بقاتله، فلا يهمك من قتلهُ بل المهم هو أنّ الخارجي قُتِل وانتهى شرّه[4].

وقد استعمل "سيد" هذا النوع من البناء بصوّره المختلفة، ففي قوله:

64- « فَلاَ يَفُوتُ القَارِىءَ شَيْءٌ مِنَ الأَحْدَاثِ والمَنَاظِرِ المْتْرُوكةِ بيْنَ المشْهَدِ والمشْهَدِ»[5].

المفعول به جاء اسما ظاهرا "القارئَ " قُدم على الفاعل "شيءٌ" وهو اسم ظاهر كذلك، واحتاج الكاتب إلى هذا الاختيار لأنّ القارئ هو غرضه واهتمامه، الذي يسعى إلى أنْ ينقله إلى ظلال القرآن الوارفة، أو كما يقول القزويني: « وإما لأنّ ذكره أهمُّ،

(1) - أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: دار غريب الطباعة والنشر، القاهرة، مصر. 1998م. ص170.

(2) - الخطيب القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القُضاة)، الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دط، دت. ص117.

(3) - ابن جني، الخصائص: ج1، ص256.

(4) - القزويني، الايضاح في علوم البلاغة : ص117 .

(5) - في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2677.

والعناية به أتم، فيُقدّم المفعولُ على الفاعل إذا كان الغرضُ معرفةَ وقوعِ الفعلِ على منْ وَقَعَ عليه، لا وقوعه ممّن وَقَعَ منه...»[1].

وهكذا نرى أنّهُ متى ما كان المفعول به هو محط الاهتمام ومحور الكلام قُدّم على الفاعل وأخذ موقعاً غير موقعه للتركيز عليه وإبرازه؛ فإذا ما وُضع الشيء في غير موضعه يجلب الانتباه، ويكون محط الأنظار، والعكس إذا ما كان في مكانه، فقد لا يكون الاهتمام منصباً عليه والأنظار منصرفة عنهُ؛ لأنّه في مكانه الطبيعي ولا شيء يجعل منه مختلفاً أو متميزاً. كما أنّ الفاعل ذُيِّل بسلسلة طويلة من المكملات التي من شأنها أنْ تحول دون وصوله إلى ما ينشده، ولا يأمن اللّبس مع تأخيره.

وقد يأتي المفعول به ضميرا متّصلا بالفعل، ومقدّماً على الفاعل، وهو من الحالات التي تستوجبها قواعد اللغة العربية[2]، في مثل قوله:

65- « سَواءٌ ما جَاءَهُم بِهِ عِيسَى علَيْهِ السّلامُ، وما جَاءَهُم بِهِ مُحَمَّدُ خَاتِمُ النّبِيِّين»[3].

اتّصل المفعول به (هم) بالفعل (جاء) في التركيب الأول والثاني؛ لأنّه يعود على ما ذكر سابقا (بني إسرائيل) فتقدّم على الفاعل الظاهر (عيسى) في التركيب الأول، و(محمد) في التركيب الثاني. وعلى الرّغم من كونه واجبا حسب المقولات النّحوية إلاّ أنّه أدّى وظيفة أسلوبية تمثّلت في الإيجاز، والبعد عن التّكرار الذي لا يضيف شيئا للتركيب سوى وصمة الإملال.

وقد يأتي المفعول به "ضميرًا متّصلاً " مقدّما على الفاعل الظاهر الذي اتّصل بدوره بضمير يعود على ما سبق ذكره، مثل قوله:

66- « يُخَاطِبُها فِيهِ رَبُّها بما تَعْمَلُه ومَا تحْذَرُه»[4].

(1) – القزويني، الإيضاح : ص117.

(2) – يتقدم المفعول به على الفاعل وجوباً إذا كان المفعول به ضميرا متصلا، والفاعل اسما ظاهرا.

(3) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص91.

(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص136.

فالفاعل (رَبُّ) اتّصل بالضمير "ها"، يعود على المفعول به (الضّمير المتّصل بالفعل). ومثله قوله:

67- « وإِنّهُمْ لَيَعِيشُونَ بَيْنَ هَذا المتَاع الذِّي يُصَوّرُهُ لهُم أَخُوهُمْ صَالِحُ »[1].

المفعول به ضمير متّصل بالفعل، والفاعل (أخوهم) اسم ظاهر اتّصل به ضمير يعود على ما ذكر من قبل، فاستوجب تأخير الفاعل[2].

(1) – في ظلال القرآن: مج5، ج19، ص2611.

(2) – ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ج2، ص125.

ثالثا: ما يختص بأشباه الجمل

تعد المتعلقات فضلة أو تابع في بناء الجملة، ولكن قد تتساوى تلك الفضلة مع العمدة في أداء المهمة الدلالية، إذ تتسلّط عملية التحريك التقديمي على الجار والمجرور ليسبق متعلقه، وبهذا يحدث توافق بين السّياق الخارجي في هذه التّحولات والسّياق الداخلي وما فيه من دلالات[1]. ولتقديم شبه الجملة أغراض معينة أدت إلى ذلك التّقديم، ويبرز هذا الأسلوب خاصة في أشباه الجمل المركبة من الجار والمجرور.

إذ كثيرا ما يتيح الكاتب لنفسه مساحة واسعة في بناء التّراكيب اللّغوية المختلفة من خلال تقديم الجار والمجرور على عناصر الجملة الأخرى، وهي تقنية يوظفها ليخفف من وطأة توالي العناصر، الأمر الذي من شأنه أن يؤدّي إلى الغموض واللّبس لصعوبة فهم العلاقات بينها، خاصة وأنّ كتابة اللغة العربية الحديثة كثيرا ما تستغني عن الحركات الإعرابية التي تؤمّن إدراك هذه العلاقات التي تحفظ في العادة بالرتبة[2].

فمن العناصر التي غيّرت عن مرتبتها في أغلب حالات التبادل التي لم يوجبها عامل نحوي —عند سيد قطب– الجار والمجرور، دون النّظر إلى الوظائف التي قام بها، فقد تميّز هذا العنصر بمرونة الاستخدام، ويتضح كما يأتي:

1. تقديم الجار والمجرور على الفاعل

تتقدّم متعلقات الفعل فتحدث تغييرا في النظم، والمعنى، والموسيقى، فقد يتقدّم الجار والمجرور على الفاعل، وهو من الأمور التي يجيزها نظام اللغة العربية، فيفصل الفاعل عن فعله سواء أكان الجار والمجرور على صورة [حرف جر + ضمير] أو كان على صورة [حرف جر+ اسم مجرور+ لواحق].

فمن الصورة الأولى [حرف جر + ضمير]، قوله:

(1) – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى: ص250.

(2) – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص205.

68- « وإقَامَةُ حيَاةٍ إنْسَانِيةٍ يتَمَثّلُ فِيهَا مَنْهَجُ اللهِ لِلحيَاةِ. وتَرْتَفِعُ فِيهَا تَصُوُّرَاتُ البَشَرِ وأخْلاقُهُم، كمَا يَرْتَفِعُ فِيهَا وَاقِعُ حيَاتِهِم إلى ذلِك المسْتَوَى الرَّفِيع»[1].

جاء الجار والمجرور في صورة مركب قصير (حرف جر وضمير يعود على حياة إنسانية)، للفت الأذهان إلى الحياة الإنسانية المنشودة، حيث يعلو منهج الله على نظريات البشر، ويعاد النّظر في التصورات، ويعدّل الواقع وفق ما يسمح للإنسان بآداء الرسالة المنوطة به. فارتباط حرف الجرّ بالضمير يسهّل على الكاتب الانتقال السّريع إلى ما بعده، ويُبقي الذّهن متعلّقا بالاسم الذي يرتبط به، ويحدث استجابة مختلفة[2].

والتراكيب المماثلة لهذه الصّورة كثيرة عنده، نذكر منها للتمثيل ما يأتي:

69- « ويَقُولُ لهُ رَبّهُ »[3].

70- « فإذَا كَفَرَ بهَا اليَهُودُ »[4].

71- « التّي مَرَّتْ بهَا البَشَرِيَّةُ وهيَ تَحْبُو »[5].

72- « حِينَ تَصْدُقُ مِنهُمُ النّيَةُ »[6].

73- « لا يَشْغُلُهُمْ عَنْهُ شَاغِلٌ »[7].

74- « حِينَ جَاءَتْ بهَا أُمُّهَا وَلِيدَةً إلى الهيْكَلِ »[8].

75- « عَجِبَتْ لهُ الملائِكَةُ لمَّا خَفِيَ عَلَيْهِم سِرَّهُ »[9].

(1) – في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3709.

(2) – عباس علي المصري، التشكيل اللغوي في شعر السجن عند أبي فراس الحمداني: مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، مجلد13، ع1، يناير 2009. ص3.

(3) – في ظلال القرآن: مج1، ج03، ص302.

(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج01، ص94.

(5) – في ظلال القرآن: مج1، ج01، ص97.

(6) – في ظلال القرآن: مج1، ج02، ص133.

(7) – في ظلال القرآن: مج1، ج02، ص136.

(8) – في ظلال القرآن: مج1، ج03، ص396.

(9) – في ظلال القرآن: مج4، ج14، ص2137.

76- « لمَّا كانَ عَسِيرًا أنْ يَصْمُدَ لهَا يُوسُفُ »[1].

77- « ثمَّ تجَلَّى لَهُ بُرْهَانُ رَبِّهِ فَتَرَكَ » [2].

إنّ هذا النّسق التّعبيري (تقديم الجار والمجرور على الفاعل) ينتشر بكثرة في "الظلال"، وهو دال على اهتمام "سيد" بهذا الإجراء الأسلوبي الذي يمنحه طاقات تعبيرية إضافية، لإنتاج الدلالة، عن طريق الاهتمام والتخصيص، وغيرها..[3].

ومن الصورة الثانية [حرف جر+ اسم مجرور+ لواحق]، قوله:

78- « كذَلِكَ يَنْشَأُ عنْ نَظْرَةِ الإسْلاَمِ الرّفِيعَةِ إلى حَقِيقَةِ الإنْسَانِ ووَظِيفَتِه إعْلاءُ القِيَّمِ الأدَبِيةِ في وزْنِهِ وتَقْدِيرِه»[4].

فالجار والمجرور –هنا– فصَلا بين الفعل والفاعل؛ لأنّ الكاتب يريد أن يقدّم الفكرة التي تبلورت في ذهنه، وهي أنّ الإسلام هو الذي كرّم الإنسان وعرّفه بحقيقته، قبل أنْ يتلفّظ بالفاعل (إعلاء) الذي هو حاصل هذه الحقيقة التي تضمنها مركّب الجار والمجرور.

ونجده يحرص على أن يذكر اسما ظاهرا يعود عليه ضمير في ملحقات الفاعل، حيث ذكر "الإنسان" في مركب الجار والمجرور ثم أضمره في ملحقات الفاعل، الهاء في "وزنه" و "تقديره".

وقوله:

79- « ويَبْدُو في طَرِيقَةِ تَنَاوُلِ يُوسُف لِلْحَدِيث لُطْفُ مَدْخَلِه إلى النُّفُوس»[5].

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1980.

(2) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1981.

(3) – ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص770.

(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص60.

(5) – في ظلال القرآن: مج4، ج12، ص1988.

فالمركب الذي يكوّن الجار والمجرور يفصل الفعل عن فاعله، كما ضمّت ملحقات الفاعل ضميرًا يعود على ما سبق في الجار والمجرور (الهاء في "مدخله").

وهناك صورة ثالثة، يرد فيها المجرور اسما ظاهرا خاليا من الضمير، ومثاله:

80- « فلاَ تَبْقَى فِي القَلْبِ دَيْنُونَةٌ إلاَّ للهِ سُبْحَانهُ، ولاَ تَبْقَى فِي الحيَاةِ عُبُودِيّةٌ إلاّ للمَوْلَى الوَاحِدِ الذّي لا رَادَّ لما يُرِيدُ »[1].

أفاد التّقديم هنا الحصر، فحصر الدينونة الباقية في القلب لله دون سواه، كما حصر العبودية الباقية في الحياة للمولى دون غيره، وفي ذلك يقول السيوطي: « ووجهُ إفادة الحصر أنّ الاستثناء المفرّغ لا بد أن يتوجه النفي فيه إلى مقدّر وهو مستثنى منه، لأنّ الاستثناء إخراج فيحتاج إلى مُخْرَج منه »[2].

2. تقديم الجار والمجرور على المفعول

تُعدّ شبه الجملة من المتعلّقات، مثل المفعول، وتُقدّم على المفعول به لأغراض بلاغية عديدة[3]؛ إذ تُسلّط عدسة الذّهن على الجار والمجرور المقدّم لتجعله نقطة الارتكاز التي تتفجّر منها المعنى، وليفرض هذا المتعلّق سيطرته على بنية النّص، وينقل الدّلالة من مستوى إلى مستوى أخر[4]، كالذي نلاحظه في أمثلة كثيرة أدى فيها التّقديم لهذا العنصر مهمة إنتاجية طارئة، وتداخل دلالي مقصود، منها:

81- « وإِذَنْ فَهِي المشِيئَةُ العُلْيَا تُرِيدُ أنْ تُسلِّم لهذا الكائِن الجَدِيد في الوُجُود زِمَامَ هَذه الأَرِض، وتُطْلِقَ فِيهَا يَدَهُ »[5].

(1) – في ظلال القرآن: مج4، ج13، ص2032.

(2) – السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر)، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1988م. مج1، ص137.

(3) – حصرها السيوطي في عشرة. ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: مج1، ص131 وما بعدها.

(4) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص331.

(5) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص56.

ذكر شبه الجملة (لهذا الكائن الجديد في الوجود) لأنّها مركز الاهتمام قبل أنْ يذكر المفعول (زمام). وفي الشقّ الثاني قدّم الجار والمجرور (فيها) على (يده)، لأنّ نرى «الخاطر ملتفتا إليه والهمّة معقودة به»[1]، ليبيّن حجم الحرية التي منحها جلّ جلاله لهذا الكائن، إنها حريّة بحجم هذه الأرض، بل قد تفوق ذلك كما تنص الآية: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا...﴾[الرحمن/33].

ومثله قوله:

82- « وَتَكِلُ إِلَيهِ إِبْرَازَ مَشِيئَةِ الخَالِقِ في الإبْدَاعِ والتَّكْوِينِ »[2].

وقوله:

83- « وَمِنْ ثمّ يحتَكِرُونَ لأَنْفُسِهِمْ الهُدَى والقَوَامَةَ عَلى الدِّينِ، كمَا يحْتَكِرُونَ لأنْفُسِهِم الجَنَّةَ أيًّا كانَ ما يَعْمَلُونَ!»[3].

فعناية ذهن الكاتب انصبّت على ما يحمله الجار والمجرور لا على ما يحمله المفعول به، فحدث تبادل في المراتب بينهما.

وأمثلة هذا البناء الأسلوبي كثيرة، منها:

84- « كانُوا يجِدُونَ في هَذا التّوجِيهِ وَسِيلَةً »[4].

85- « ومِنْ ثمّ يجِدُ فيه الهُدَى، كمَا يَسْتَرْوِحُ فِيه البُشْرَى »[5].

86- « وما يُضَلِّلُونَ بِه النّاسَ مِنْ دعَاوَى مَكذُوبَةٍ عَنْ سُلَيْمَان »[6].

(1) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص772.
(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص56.
(3) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص110.
(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص137.
(5) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص93.
(6) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص95.

87- « فمَا أسْوَأ مَا بَاعُوا بِه أنْفُسَهُم لوْ كانُوا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الصّفْقَةِ »[1].

88- « لأنّهُ لمْ يجْمَعْ منْهَا مُشَاهَدَاتٍ كافِيَةٍ للاعْتِرَافِ بِهَا »[2].

89- « وخُرُوجٌ بِه عَنِ الدّائِرَةِ التِّي يمْلِكُ فِيهَا أسْبَابَ التّصُوّرِ والإدْرَاكِ والحُكْمِ»[3].

90- « إنّما هذِه مَألُوفَاتِ البَشَرِ التِّي يُقَرِّرُونَ قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَ مِنْهَا قَانُونًا!»[4].

قُدّم الجار والمجرور في هذه الأمثلة للدلالة على اختصاص الضمير (الاسم المجرور) بالمفعول.

ويمكن أن يتقدم الجار والمجرور على المفعول به والمفعول المطلق معا، في مثل قوله:

91- « وَيُقَدِّمُ لهُ مَا يمْلِكُ تَقْدِيمًا مُبَاشِرًا لَطِيفًا»[5].

كما يتقدّم على المفعول المطلق بمفرده، كقوله:

92- « وفِي آخِرِ هَذا الدّرْس يَتَفضّلُ اللهُ عَلى المسْلِمِينَ تَفضُّلاً آخَر، وهُو يَدْعُوهُم إلى شُكْرِهِ ويُحَذِّرُهُم مِنْ كُفْرِهِ »[6].

إنّ تبادل الرّتب بين شبه الجملة (الجار والمجرور) والمفعول به يتّخذ صورا مختلفة: فقد يكون في صورة فصل الفعل والفاعل عن المفعول، كما في قوله:

93- « والتِّي يَتّخِذُ النّاسُ فِيهَا أرْبَاباً مِنْ دُونِ اللّهِ »[7].

قد حال الجار والمجرور بين المفعول به والفعل والفاعل. وفي المثال التالي:

(1) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص96.
(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص97.
(3) – في ظلال القرآن: مج4، ج14، ص2140.
(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص395.
(5) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص392.
(6) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص139.
(7) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1319.

94- « صَاغُوا حَوْلَهُ الخُرَافَاتِ والأَسَاطِير! »[1]. حال بينهما الظرف.

وقد يكون في صورة الفصل بين المفعولين في الفعل المتعدي إلى مفعولين، كما في قوله:

95- « إِنّ النّظرَةَ القُرآنِيةَ تَجْعَلُ هَذا الإِنْسَان بِخِلافَتِه في الأَرْضِ عَامِلاً مُهِمًّا في نِظَامِ الكَوْنِ »[2].

جاء تقديم الجار والمجرور (بخلافته في الأرض) على المفعول به الثاني (عاملا مهما في نظام الكون)؛ لأنّه رأى من الأهمية أن يذكر وظيفة الإنسان الحقيقية في هذا الكون، وهو ما يرتبط بالمفعول الأول، قبل أن يذكر لفظ المفعول الثاني الذي تترتب عليه هذه المكانة، إذ ترتيب الدوال يتبع ترتيب المعاني في النفس[3].

وقوله:

96- « يَجْعَلُ ذِكْرَهُ لهَؤُلاءِ العَبِيد مُكَافِئًا لِذِكْرِهِمْ لهُ في عَالمِهِم الصّغِيرِ »[4].

أما في هذا التركيب فقد آثر الكاتب أن يفصل بين المفعولين بالجار والمجرور المتعلقين بالمفعول الأول قصد إبعاد اللبس عن عوائد الضمائر، وكذا حتى يكون لفظ المفعول الأول مكافئا للفظ المفعول الثاني، كما جعل ذكر الله للعباد مكافئا لذكر العباد لله.

وقد يجمع بين الصورتين السابقتين، كما في قوله:

97- « واتّخَذُوا لهُم أَصْنَامًا آلهَةً. اتّخَذُوهَا في أَوّلِ الأَمْرِ أَنْصَابًا تَرْمُزُ إلى قُوًى قَدَّسُوهَا

(1) – في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص394.

(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص60.

(3) – ينظر: خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): ص88. وتوفيق الفيل، بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: ص136.

(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص139.

... فأرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِم نُوحًا يَرُدّهُمْ إلى التّوْحِيدِ، ويُصَحّح لهُم تَصوُّرَهُم عَنِ اللهِ وعَنِ الحيَاةِ والوُجُودِ»[1].

فصل الجار والمجرور (لهم) الفعل والفاعل (اتخذوا) عن المفعولين (أصناما آلهة)، ثمّ فصل -في التركيب الذي يليه- بين المفعول الأول (ها) في اتخذوها، والمفعول الثاني (أنصابا).

3. تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل معا

قد يقدّم "سيد" الجار والمجرور على الفعل والفاعل معا، ليضع المتلقي في السّياق بأن يحدّد الموضوع قبل أن يعرض ما يريده، وتقديم الجار والمجرور يأتي —هنا- بمثابة تمهيد يهيئ الذّهن لما هو آت، وهذا الأمر لا يقتصر على التراكيب الفعلية بل يلاحظ كذلك في التراكيب الاسمية[2].

ومن أمثلته، قوله:

98- « وفي سِيَاقِ الحَدِيثِ عنْ سِرِّ المَوْتِ والحيَاةِ تجِيءُ القِصّةُ الأخْرَى»[3].

نلاحظ أنّ تقديم الجار والمجرور يحدّد الموضوع الذي سيعقب، فالكلام الآتي هو استمرار وتفصيل لما جاء آنفا، فـ" تجيئ القصة الأخرى" هو تفصيل يتقبلّه الذّهن المتهيئ بما سبقه " في سياق الحديث عن سرّ الموت والحياة".

وقوله:

99- « وفي قِصّةِ هَذا التّحَدِّي نَطّلِعُ عَلى سِمَةٍ أُخْرَى مِنْ سِمَاتِ يَهُود»[4].

كذلك -هنا- الحدث الذي يعرضه لا يفاجئ القارئ، ولا يذكر للوهلة الأولى،

(1) - في ظلال القرآن: مج6، ج29، ص3710.
(2) - ينظر: السمرائي، معاني النحو: ج1، ص141.
(3) - في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص299.
(4) - في ظلال القرآن: مج1، ج1، ص93.

بل مهّد له بالجار والمجرور، وهيّأ الذّهن مسبقا.

وهذا الضرب من التراكيب كثير، ويحتلّ حيّزا لا يستهان به في مطالع فقرات الظلال، ومن أمثلة بدايات الفقرات نذكر:

100- « وفي هَذا الخِضّم المتَشَابكِ مِنَ العَلاقَاتِ والرّوَابِطِ ، يَجْرِي تَارِيخُهُ »[1].

102- « ومَعَ التَّهْوِينِ مِنْ شَأْنِ الذِّينَ ظَلَمُوا ، والتّحْذِيرِ مِنْ بَأْسِ اللهِ ، يجِيءُ التّذْكِيرُ بِنعْمَةِ اللهِ، والإطْمَاعِ في إِتْمَامِهَا عَلى الأمَّةِ المسْلِمَةِ حِينَ تَسْتَجِيبُ وتَسْتَقِيمُ»[2].

103- « وفي هَذا الشّوْط مِنَ السُّورَةِ يرُدُّهُم إِلى هَذِه الحقِيقَة التَّارِيخِية »[3].

104- « ومِنْ هَذا النّص تتَّضِحُ خُطّةُ التّرْبِيَةِ الرّبَانِيَةِ التِّي يَأخُذُ اللهُ بهَا هَذِه الجَماعَة النّاشِئَة »[4].

105- « وفي الخُطْوَةِ الثَالِثَةِ بيَّنَ لهُمْ فسَادَ ما هُمْ عَليْه مِنَ العَقِيدَةِ »[5].

106- « تِلْكَ الأفَاقُ والعَوالمُ التِّي أسْلَفْنَا في قِصّةِ آدَمَ الحَدِيثَ عنْهَا »[6].

107- « ومِنْ أجْلِهَا هَجرَ أبَاهُ وقَومَهُ بعْدَ مَا تَعرَّضَ لِلْقَتْلِ والتّحْرِيقِ ؛ وعَليْهَا قَامَتْ شَرِيعَتُهُ؛ وبهَا أوْصَى ذُرِّيتَهُ »[7].

108- « بَعْدَ ذَلِكَ يُعْلِنُ اسْتِجَابَةَ اللهِ لرَسُولِهِ [ص] في أَمْرِ القِبْلَةِ »[8].

(1) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1303.
(2) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص137.
(3) – في ظلال القرآن: مج5، ج25، ص3185.
(4) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص132.
(5) – في ظلال القرآن: مج5، ج20، ص2728.
(6) – في ظلال القرآن: مج3، ج8، ص1303.
(7) – في ظلال القرآن: مج5، ج25، ص3184.
(8) – في ظلال القرآن: مج1، ج2، ص133.

فشبه الجملة (الجار والمجرور) من متعلّقات الفعل، وظيفتها تكملة الكلام، فحينما تُذكر تحصل فائدة كبيرة من الجملة، وإذا قُدّم الجار والمجرور عن الرتبة الأصلية –كما هي الحال في الأمثلة المعروضة– يؤدى إلى تكثيف دلالة الجملة، بل وإنتاج دلالات جديدة، وذلك راجع في الأساس إلى الاهتمام بالعنصر المتقدّم، والتّركيز عليه، أو كما يقول "السيوطي": «كاد أهلُ البيان يطْبِقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفًا أو مجرورًا... »، وهذا الضرب من التعبير، يمثّل سياقا للتقديم كلّما كان في الكلام ضمير غيبة أو كان في الخبر كلام غير مألوف، أو وعدا..[1]، فيبادر الكاتب إلى ذكر ما ينتظره المتلقي، وبعد ذلك يلتفت إلى بقية عناصر التركيب؛ يذكرها متتالية.

لقد أفاد "سيد قطب" من بناء أسلوب التّقديم والتأخير، ووظّفه في إنتاج الدّلالة بقصديّة تامة منه؛ إنّه لا يلتجئ إليه لجوء مسرف ولا مضطر، ولكن حسب الحاجة، وفي الموضع الذي يحسن فيه فعل ذلك، الأمر الذي يمكن التّحقق منه بنظرة بسيطة على واقع الجمل المجردة في قوائمها السّابقة؛ فتصرّف في الرّتب غير المحفوظة إذ يوجد من الدلالات المستعصية التي لا تتأتى لصاحبها إلاّ من خلال ركوب تلك الأغراض البلاغية التي نصّ عليها البلاغيون.

(1) – ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص332–334.

- خلاصة:

وظّف سيد قطب أسلوب التبادل في الرّتب بالتقديم والتأخير، ممّا يدلّ على تمكّنه من ناصية اللغة العربية، وحسن تصرفه في تراكيبها، وتطويعها لأفكاره.

- لقد وقف البحث على أشكال أبنية نحوية مختلفة، وقد بيّن العلائق الدلالية بين حال الكاتب وما طرأ على التراكيب النّحوية من تقديم وتأخير وذلك استئناسا بأن ينجم عمّا يمور في وجدانه.

- تتدفّق أفكاره بسلاسة، وهو ما يوحي بأنه لم يكن رهينة الأنموذج النّحوي المعياري؛ فيعدّل في ترتيب مكونات التركيب - من دون خرق للقواعد - بما يناسب الفكرة التي يسوقها إلى القارئ.

- تنوع التقديم والتأخير في بناء أسلوب الكاتب؛ فتصرّف في ترتيب عناصر الجملة الاسمية، كما تصرّف في ترتيب عناصر الجملة الفعلية، وكذا أشباه الجمل، مع تفاوت ملحوظ في الكثافة.

-نجد أسلوب التقديم والتأخير مبثوثا في جلّ نصوص المدونة؛ فيأتي على رأس الفقرات، وفي درجها على اختلاف سياقاتها.

- التركيب الذي تتبادل فيه عناصر الجمل مواقعها ليس انعكاسا للنص الأصلي؛ لأن التبادل في المواقع بين عناصر الجملة ينتج تباينا دلاليا في البناء المستحدث، وهناك من الأسرار المعنوية التي ارتبطت أبعادها النّفسية والاجتماعية بالرّتب النّحوية للعناصر.

- من بين النتائج المتوصل إليها أنّ سيد قطب يخاطب العقل والوجدان معًا من خلال التّصرف في الرّتب، وجعل القارئ يتمثّل تلك المعاني والآداب الرّفيعة التّي يبثّها في أبنيته فتنشّط الخيال وتحرّك الأذهان.

فصل ثالث

أسلوب "الاعتراض"

تأسيس

- بناء (الاعتراض) في تفسير آيات القصص
- مواضع الاعتراض

– تأسيس:

نتناول في هذا المجال ظاهرة من ظواهر البناء الأسلوبي: "الاعتراض"، وفي ذلك كشف للقدرات التّعبيرية لهذا البناء، وفي الوقت نفسه كشف للمقدرة اللغوية لـ "سيد قطب" في بناء أسلوبه من خلال تفسير القصص القرآني في"الظلال"، فهذا البناء الأسلوبي يُشكّل ظاهرة بارزة، كثيرة ومتنوعة.

والاعتراض في مظان اللغة مصدر للفعل (اعترض)، الذي يفيد معنى السدّ والمنع، قال ابن منظور: « عَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واعترَضَ: انتَصَبَ ومَنَعَ وصار عرِضًا كالخشَبةِ المنتصبةِ في النّهر والطريق ونحوها تَمْنَعُ السالكين سُلوكَها. ويقال: اعتَرَضَ الشيءُ دون الشيءِ أي حال دونه»[1]، ويقول في موضع آخر: « وأَما الذي في الحديث: لا جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا اعتراضَ فهو أَن يَعْتَرِضَ رجل بفَرسِه في السِّباق فَيَدْخُلَ مع الخيل؛ ومنه حديث سُراقة: أَنّه عَرَضَ لرسول اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، وأَبي بكر الفَرسَ؛ أَي اعْتَرَضَ به الطريقَ يَمْنَعُهما من المسِير»[2].

وهو ما ذهب إليه صاحب القاموس المحيط أيضا حين قال: « [ولا تَجْعَلُوا اللّهَ عُرْضَةً لإيمَانِكُم]: مانِعًا مُعْتَرِضًا، أي: بَيْنَكُم وبين ما يُقَرِّبُكُم إلى اللهِ تعالى أنْ تَبَرُّوا وتَتَّقُوا. أو العُرْضَةُ: الاعتِراضُ في الخيرِ، والشَّرِّ، أي: لا تَعْتَرِضوا باليمينِ في كُلِّ ساعةٍ ألاّ تبرّوا ولا تَتَّقُوا. والاعْتِراضُ: المَنْعُ، والأصلُ فيه أن الطريقَ إذا اعْتَرَضَ فيه بِناءٌ أو غيرُه مَنَعَ السابِلَةَ من سُلوكِهِ.. »[3].

والاعتراض في الاصطلاح أسلوب من أساليب العرب وفنونهم في الكلام، يُمكّن المبدع من التّصرف بحرية في توزيع عناصر التركيب؛ فيأتي بعناصر أخرى بين طرفي

(1) – ابن منظور، لسان العرب: مادة [عَرَض]، مج 10، ص100.

(2) – ابن منظور، لسان العرب: مج 10، ص100.

(3) – الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط: تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة, بيروت، لبنان. ط8، 2005م. مادة [عرض]، ص646.

التركيب المتلازمين، ولكنّه لا يعدّ من الأبنية الدّخيلة أو الأساليب المستحدثة في اللغة العربية؛ لاسيما وقد سار على ألسنة العرب الأقحاح في سليقتهم منذ القدم، وهذا ما يقرّره ابن فارس (ت395هـ) حين يقول: « ومن سُنن العرب أنْ يعترِضَ بين الكلام وتمامِه كلام، ولا يكون هذا المعترضُ إلا مفيدًا...»[1]، وقول ابن جني: « والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن، ودالّ على فصاحة المتكلّم وقوّة نفْسه وامتداد نفَسِه..»[2]، لذلك لا يُنظر إليه على أنّه من عيّ القول؛ حيث إنّه ارتبط بالفصيح من الكلام وبليغه، فلا يقتصر على الشّعر فحسب، بل جاء في القرآن الكريم والنثر الفني كذلك، وهو جار في الكلام مجرى التأكيد والمبالغة في المعنى[3].

وما يمكن ملاحظته – هنا– أنّ المدلول الاصطلاحي للفظ لم يبتعد كثيراً عن الأصل الحسي له، فمن الدلالة اللغوية أُخذ المدلول الاصطلاحي الذي ذكره النّحاة في مصنّفاتهم عندما تطرّقوا إلى ما يمكن أنْ يفصل بين عنصري الجملة المتلازمين[4]، إذ يدور معناه في هذا الاتّجاه؛ بأن يمنع الكلام المعترِض أركان التّركيب من أنْ يتصلّ بعضها ببعض وفق ما تقتضيه العلاقات التركيبية للوحدات في النّظام اللغوي.

أما التّفصيل في هذا المصطلح، فجاء في مباحث الجملة الاعتراضية التي أخذت تحتلّ –شيئا فشيئا– حيزا واسعا من كتب النّحاة الّذين درسوا الكلام المعترَض، كما درسوا الجملة المعترضة ذاتها، في طيات مباحث العناصر المتلازمة، فيما يجوز الفصل بينه وما لا يجوز، إلى أنْ استقلّت الجملة الاعتراضية بمباحث خاصة في كتب النّحو.

وقد اشترط جمهور النّحاة في الجملة المعترضة شروطا، منها:

- أنْ يكون بين الجملة المعترِضة والجملة المعترضَة مناسبة، كأنْ تكون تأكيدًا أو تنبيها على حالٍ من أحوالها، وقد ذكر ابن هشام (ت761هـ) أنَّ الجملة المعترضة بين شيئين

(1) – أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: المكتبة السلفية، القاهرة. 1910م. ص209.

(2) – ابن جني، الخصائص: ج1، ص289.

(3) – ينظر: ابن الأثير، المثل السائر: ج3، ص42. وابن جني، كتاب الخصائص: ج1، ص285.

(4) – من النّحاة الذين تطرقوا للاعتراض: ابن فارس في الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن جني في الخصائص، السيوطي في همع الهوامع ...

تأتي لإفادة الكلام تقوِيةً وتسديدًا أو تحسينًا[1]، وهي إشارة واضحة إلى ضرورة أن تتّصل بها في المعنى.

○ أنْ لا تعمل الجملة المعترضة في جزء من أجزاء الجملة الَّتي دخلها الاعتراض، وأنْ لا تكون معمولة لشيء منه؛ لأنَّ الاعتراض لا محلّ له من الإعراب، ولا يعمل فيه شيءٌ من الكلام المعترَض[2]، ولذلك نبّهوا إلى استقلالية الجملة الاعتراضيَّة، وأنّ حذفها لا يؤدِّي إلى اختلال في التركيب ولا في أصل المعنى. فإذا اشترط النّحاة أن تكون متعلّقة بما اعترضته معنى، فإنّ هذا لا ينطبق على النّاحية التركيبية؛ إذ ليست تتمّة لأحد الجزأين، ولا ترتبط بعلاقة تركيبية بها « وذلك أنّ الاعتراض لا موضع له من الإعراب، ولا يعمل فيه شيئ من الكلام المعترَض به بين بعضه وبعض على ما تقدم..»[3] كما يقول ابن جني.

○ أن يكون الاعتراض بين العناصر المنفصلة بذاتها، ولا يكون بين العناصر التي تتَّصل بما تدخل عليه[4] ؛ فتصير كالكلمة الواحدة، مثل ما هي عليه الحال في بعض حروف الجرِّ كالباء واللام، وسين التسويف، وال التعريف...

ولئن اتّفقت آراء جمهور النّحاة في جواز الاعتراض، فقد اختّلفت عن آراء البلاغيين في بعض المسائل؛ كتعدده وأغراضه وشروطه ونوعه.

وعلماء البلاغة نظروا إلى الاعتراض من زاوية أنّه يعترضُ الكلامَ قبل تمامه من جهة، والفائدة المعنوية التي تكسبها الجملة من جهة ثانية، فهو عند أبي هلال العسكري (ت395هـ) « اعتراض كلام في كلام لم يتم .. ثمّ يرجع إليه فيتمّه..»[5]، وعند

(1) – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج2، ص446.

(2) – السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، همع الهوامع في شرح الجوامع: تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1998م. ج2، ص253.

(3) – ابن جني، الخصائص: ج1، ص286.

(4) – السيوطي، همع الهوامع: ج2، ص254.

(5) – العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل)، الصناعتين (الكتابة والشعر): مطبعة محمود بك، الاستانة. ط1، 1319هـ. ص312.

الزّركشي(ت745هـ) « هو أنْ يُؤتى في أثناء كلام أو كلامين متّصلين معنى بشيء يتمّ الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته فيكون فاصلاً بين الكلام أو الكلامين لنكتة»[1].

وما اعترى التعريفين السّالفين من عموم يسمح بالاعتراض بغير الجملة؛ أي بالمفرد، وهو ما ذهب إليه ابن الأثير(ت637هـ) في قوله: « الاعتراض ... وحَدُّه كلّ كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الأول على حاله»[2]. وهذا ما يرفضه النّحاة لأنّ المفرد يترتّب عليه الارتباط بالعوامل، ومن ثمّ يكون له محل من الإعراب، في حين الجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب، ولا تؤول بفرد. فالاعتراض -عند النّحاة- تمثّله الجملة، ولا شأن عندهم لما دونها من الزوائد الحرفية واللفظية[*]، كونها لا تدخل ضمن أسلوب الاعتراض إلا من حيث مدلوله اللغوي فقط[3].

كما تجدر الإشارة إلى أنّ مفهوم هذا المصطلح عند البلاغيين أعمّ من مفهومه عند النّحاة؛ حيث إنّ البلاغيين يعدّون الواقع بين الكلامين المتّصلين معنى لا لفظاً جملة اعتراضية، أما النّحاة فلا يسمونها اعتراضية، حتى يكون بين ما قبلها وما بعدها اتصال لفظي، ومن هنا تفرّقت كلمتهم؛ فاتّجه النّحاة إلى الاهتمام بمواضع الجملة الاعتراضية، واتّجه البلاغيون إلى الاهتمام بدلالتها وأغراضها.

وقد أجمل الخطيب القزويني مواقف البلاغيين من الاعتراض[4] في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" في موقفين اثنين:

الموقف الأول يمثّله فريق لا يرى ضرورة في أنْ يفصل الاعتراض بين متلازمين في جملة واحدة، أو بين جملتين متّصلتين معنى؛ إذ يقول: « فرقة لا تشترط فيه أنْ يقع في آخر

(1) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص 656.

(2) – ابن الأثير، المثل السائر: ج3، ص40.

(*) – الزوائد الحرفية كـ: أن، أنّ، ما، لا، من، الباء، ولا. والزوائد اللفظية كـ: إذن، وكان..

(3) – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج2، ص447.

(4) – تطرق إلى الاعتراض على أنّه ضرب من ضروب الإطناب والتكرار والتتميم والتميل والتوشيع والإيغال..

كلام لا يليه كلامٌ، أو يليه غيرُ مُتّصلٍ به معنًى...»[1]، ففي قولهم بجواز ورود الاعتراض في آخر الكلام خلاف صريح لآراء النّحاة.

الموقف الثاني يمثله فريق يرى ضرورة في أنْ يفصل الاعتراض بين متلازمين في جملة واحدة، أو بين جملتين متّصلتين معنى، في قوله: « وفرقة تشترط فيه ذلك»[2]، فيوافقون النّحاة فيما سبق، وفي كونه لا محل له من الإعراب في جميع أحواله، ولكنّهم يخالفونهم في كونهم لا يشترطون أن يكون جملة أو أكثر، ومنهم ابن الأثير الذي يفهم من كلامه جواز الاعتراض بالمفرد في قوله السّابق.

إلى جانب ذلك قولهم بجواز تعدّد الاعتراض في الجملة الواحدة أو بين الكلامين المتّصلين، من ذلك قول الخطيب القزويني « ونحوُه في كونه أكثر من جملة، قولُه تعالى: ﴿ قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى، واللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، ولَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى، وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيم ﴾[آل عمران/36] فإنّ قوله: ﴿ واللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وضَعَتْ، وَلَيْسَ الذّكَرُ كالأُنْثَى﴾ ليس من قول أُمِّ مريم»[3].

وقول الزّركشي: « ومنها قصد التّوكيد، كقوله: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجوُمِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[الواقعة/75-76]. وفيها اعتراضان: فإنّه اعترض بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ ﴾ بين القسّم وجوابه، واعترض بقوله: ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ بين الصفة والموصوف...»[4].

لذلك يُعدّ مفهوم الاعتراض عند البلاغيين أعمُّ من مفهومِهِ عند النُّحاة؛ لأنَّ البلاغيين يعدّون الجملة الواقعة بين الكلامين المتّصلين معنى لا لفظاً، جملةً معترضةً، أمَّا النّحاةُ فلا يعدّونها اعتراضية حتّى يكون بين ما قبلها وما بعدها اتّصال لفظيّ، ولا يؤثر سقوط الجملة الاعتراضية الواقعة بين متلازمين في سياق الجملة نحوياً، وكذلك بقاؤها،

(1) – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص209.

(2) – المرجع نفسه: ص209.

(3) – المرجع نفسه: ص207-208.

(4) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص657.

فلا صلة لها بغيرها ولا محل لها من الإعراب.

ويبقى مفهوم الاعتراض من المفاهيم التي شهدت اضطرابا لدى البلاغيين، على عكس ما نجده عند النّحاة؛ فقد كان عندهم مستقرّا[1]، لكنه ورد بتسميات تختلف باختلاف مذاهب العلماء[2].

فقد أطلق عليه بعض العلماء مصطلح الالتفات[3]، وأُطلق عليه مصطلح الاستدراك[4]، أمّا آخرون فسمّوْه التّتميم[5]، كما سمّوْه أيضا التّمام[6]، والتّكميل[7]، والحشو[8]... فهذه الأبواب متداخلة، ودلالاتها متقاربة إلى درجة كبيرة حتّى إنّنا نجد من من علماء المعاني من استخدم التّتميم بمعنى التّكميل، والتّذييل بمعنى التّتميم، والتّكميل بمعنى الاحتراس، ووصل حدّ هذا التّداخل إلى توظيف الشّاهد الواحد في أبواب متعدّدة

(1) – ينظر: ابن المعتز، كتاب البديع: دار الميسرة، بيروت، لبنان. ط3، 1982م. ص59 و60.
وينظر ايضا: العسكري، كتاب الصناعتين، ص312.

(2) – ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج2، ص459.

(3) – الالتفات هو أولّ محاسن الكلام عند ابن المعتز، وعرفه بأنّه انصرافُ المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما أشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر. ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: دار المنارة، جدة، ودار الرفاعي، الرياض. ط3، 1988م. ص614.

(4) – رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء وهو معنى "لكن" ... وسماه ابن المعتز الرجوع. ينظر:
– ابن المعتز، كتاب البديع: ص60، وأحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983م. ج1، ص124.

(5) – ومن البلاغيين من يسمي التتميم (التمام) ... وهو من ضروب (الإطناب) عند البلاغيين. وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام.
– ينظر: طبانة، معجم البلاغة العربية، ص:111.

(6) – هو التتميم .. والتمام اسمه القديم، وقال عنه الحاتمي : " هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يغادر شيئا يتمّ به ويتكامل الاشتقاق معه فيه إلاّ أتى به". ينظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج2، ص147.

(7) – هو الاطناب التكميل .. وقد عرّفه المدني: "التكميل عبارة عن أن يأتي التكلم بمعنى تام في فن من الفنون فيرى فيرى الاقتصار عليه ناقصا فيكمله يمعنى آخر في غير ذلك الفصل الذي أتى به أولا، كمن يمدح إنسانا بالحلم فيرى الاقتصار عليه بدون مدحه بالبأس ناقصا فيكمله بذكره".
– ينظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج2، ص340.

(8) – هو الاعتراض عند بعض البلاغيين... وهو كلّ كلام أدخل في غيره بحيث لو أسقط لم تختل فائدة الكلام.
– ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص:172.

ومختلفة.

ونستنتج من هذا أنَّ البلاغيين لا يخالفون النّحاة في الاعتراض في حدّ ذاته، وإنَّما يخالفونهم في بعض التّفاصيل التي يتجاوزون بها مفهوم الاعتراض إلى المفاهيم الأخرى التي تشترك معه في الفائدة المعنوية أو تقترب منه، يقول الخطيب القزويني: « ومن النَّاس من لا يُقَيِّد فائدةَ الاعتراض بما ذكرناه، بل يُجَوِّز أن تكون دفع توهُّم ما يخالف المقصودَ...»[1]. وأدى هذا إلى استعمال مصطلحات متعدّدة رديفة للاعتراض. ومن العلماء الأوائل من تفطّن إلى ذلك من خلال ذكر المصطلح ورديفة، مثل قول "ابن الأثير": « الاعتراض، وبعضهم يسميه الحشو...»[2]، وقول "الخطيب القزويني": «فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا في أحد الموقعين، ومن التكميل ما كان واقعا في أحدهما ولا محل له من الإعراب، جملة كان أو أقلّ من جملة أو أكثر»[3]. وقول "ابن رشيق": « إنّ (الالتفات) هو (الاعتراض) عند قوم، وسمّاه آخرون آخرون (الاستدراك)...»[4].

فالاعتراض تعبير طارئ خطر بذهن الكاتب، ورأى أهميةً في إيراده قبل تمام الكلام الذي شرع فيه، وكثيرًا ما يتمظهر في أبنية مجموعة من الأساليب: كالدّعاء أو القسم أو النّفي أو الوعد أو الأمر أو النّهي أو التّوكيد أو التّنبيه إلى ما يريد أنْ يُلفتَ إليه انتباه السّامع. ويقع بين طرفين متلازمين ويمكن الاستغناء عنه.

ولا عجب أنْ ينال هذا البناء الأسلوبي العناية الكبيرة من لدن النّحاة والبلاغيين، لما له من أثر في البناء اللغوي، وما يكتسبه من قيمة تعبيرية تمنح الكاتب فسحة في التّصرف في عناصر التركيب، وما يضفيه من دلالة تدعّم المعنى الأصلي؛ إمّا بالتّقوية أو التّسديد أو التّوضيح أو التّحسين... فكان جديرا بأن تتنازعه كتب النّحو، وأبواب

(1) – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص209.

(2) – ابن الأثير، المثل السائر: ج3، ص40.

(3) – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص209.

(4) – بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: ص617.

البلاغة من علم المعاني، والمحسنات المعنوية، وحتّى كتب علم النّص نبّهت إلى الوظيفة الميتانصية للاعتراض على اعتبار أنّه العلاقة بين نص وآخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به أو استحضاره، بل يمكن أنْ يصل الأمر إلى عدم ذكره[1]؛ حيث يُستدعى النّص السّابق في النّص اللاحق بطريقة غير صريحة، هي أشبه ما تكون بالنّقد، فيرِد في شكل تعليق أو شرح أو تكرار. ولهذا يُطلق عليه مصطلح "إعادة الصياغة" (La Reformulation) الذي يعرّفه "معجم تحليل الخطاب" بأنّه علاقة بين ملفوظين، يكون أحدهما إعادة صياغة للآخر.. تستلزم ربطا دلاليا بينهما[2]، فيُعاد التّعبير عن لفظ أو معنى ما، بلفظ أو استعمال آخر في اللغة ذاتها، أو ما يمكن أنْ يُسمى بالبدائل الدلالية التي تؤدي وظيفة الشّرح والتّعليق.

(1) - Gérard Genette, Palimpsestes, la littérature au second degré: édition du seuil, paris, 1982. P11.

(2) – « En linguistique et en analyse du discours, la reformulation est une relation de paraphrase. Elle consiste à reprendre une donnée en utilisant une expression linguistique différente de celle employée pour la référenciation antérieure. Elle couvre les phénomènes d'anaphore, de chaîne de référence et de coréférence »

- Patrick Charaudeau, Dominique Maingueneau, dictionnaire d'analyse du discours: édition du seuil, paris, V.1, 2002. P417.

– أسلوب الاعتراض في تفسير آيات القصص

المتأمل في بناء أسلوب "سيد قطب" في تفسيره لآيات القصص يجد الاعتراض مظهرًا من مظاهره، وهي ظاهرة أسلوبية في أبنية التّراكيب، كما تتجلى أيضا في الإجراءات البنوية المتمثلة في الشرطتين (– –) اللّتين توشّيان صفحاته.

وفي أثناء رصد هذه الظاهرة، اتّضح أنّه يكثر –عنده– في مواضع، ويقلّ في أخرى؛ فأحصيت أكبر عدد من أبنية الاعتراض بين الجمل في تفسير سورة الأعراف الذي بلغ عددها مائتين وسبعة عشر (217) بناءً، فتفسير قصص سورة يوسف الذي بلغ عدد أبنيتها مائة وثلاثة وثلاثين (133) بناءً، ثمّ يتفاوت عددها في باقي السّور، حتّى إنّنا لم نرصد في تفسيره لقصص بعض السّور إلاّ الاعتراض والاعتراضين، عدا الجمل الدّعائية، وقد يخلو بعضها تماما؛ كما هي الحال في تفسير قصص سورة النّحل.

وقد ألفيته يعترض بالجملة والجملتين، بل قد تتوالى الجمل الاعتراضية في الفقرة الواحدة، وقد يقصر الاعتراض إلى حدّ المفردة الواحدة، كما يطول إلى السّطر والسّطرين وأكثر، لكن السّمة الغالبة هي الاعتراض بالجملة المتوسطة الطول التي تفي بالغرض غالبا.

ثمّ إنّه لم يختلف من سورة إلى سورة، وفي الطول والقصر فحسب، بل اختلف كذلك في نوع الكلام المعترض وفي موضعه؛ وإذا كان جمهور النّحاة حدّدوا للكلام المعترض شروطا، وفرّقوا بين الجملة المعترضة والحالية والاستئنافية والدعائية، فإنّ العناية – هاهنا– ستكون بما يعترض بين العناصر في سلسلة التركيب اللغوي، والتّي تحدّد في المدونة المعتمدة بالشرطتين.

قد يغيب توظيف الاعتراض تماما في مواضع، فيلتزم سيد قطب بتفسير الكلمة برديفتها، أو يرتّب عناصر التّركيب ترتيبا عاديا، ذلك أنّ من الأفكار ما لم يقتض المجادلة والمحاجّة في عصر النّبوة، وفي عصره، فيقدّم الخبر ابتداءً، كأنّ المتلقي خالي الذّهن، أو أنّ الفكرة ثابتة في الذّهن لا تقتضي منه تذكيرا ولا تحديدا ولا نكتة أخرى.

ونورد فيما يأتي نماذج متنوعة ومختلفة من الاعتراض مرتبة بحسب مواضعه.

أوّلا– الاعتراض بين عنصري الجملة الاسمية

من ملامح بناء الأسلوب –عند سيد قطب– أنّه يعترض بين عناصر التركيب المتلازمة التي لا يستغني بعضها عن بعض، ليكون التركيب صحيحا والمعنى سديدا، كالاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر.

I– الاعتراض بين المبتدإ والخبر[1]: وهو على أنواع:

أ– الاعتراض بالقوالب الجاهزة

جاء الاعتراض في مواضع كثيرة من تفسيره لآيات القصص في عبارات قصيرة، هي ضرب من العادات اللغوية، أو القوالب الجاهزة التي تأتي في طيات الكلام، وتترفّع عليها اللغة البيانية عادة، وتكثر في غالب الأحيان في اللّغة المتداولة والمنطوقة، لأجل الإحالة إلى مواضع سابقة أو التأكيد، أو لتحديد المكان والزمان، ونورد منها هذه النّماذج للتمثيل:

1– **غالبا**: « وأَصْحَابُ الأيْكَةِ هُمْ –غَالبًا– أَهْلُ مَدْيَن »[2].

اعترض بكلمة واحدة بين المسند والمسند إليه، قد اشترط النّحاة في الاعتراض بالكلمة الإفادة، ولما كانت كلمة "غالبا" منصوبة، اقتضى الأمر تقدير العامل، لذلك يعرب اسما منصوبا على نزع الخافض، ويقدّر "في الغالب"، ويطلق "أندري مارتني" على هذا النّوع من الوحدات مصطلح "الوحدة المستقلة"، لأنّها تتضمّن في بنيتها دليل وظيفتها، والعلاقة التي تربطها بالألفاظ الأخرى تقوم على أساس دلالتها الذاتية، ولا تقوم على أساس موقعها في التركيب[3]، فهي لا تتقيّد بالرتبة. والاعتراض يدلّ على أنّ

(1) – ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ج1، ص446 وما بعدها.

(2) – في ظلال القرآن: مجلد5، جزء 19، ص2615.

(3) – ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: منشورات جامعة باجي مختار، عنابة. 2006م. ص119.

هناك اختلاف في تحديد هوية أصحاب الأيكة، والآراء الغالبة هي التي ترجّح أنْ يكونوا أهل مدين.

2- **مع هذا**: « بلْ لمْ يَعُدْ بُدٌّ أنْ تكُونَ –معَ هَذا– بَقَرَةٌ غيْرَ مُذَلَّلةٍ ولاَ مُدّرَبةٍ عَلى حرْثِ الأرْضِ أوْ سَقْيِ الزّرْعِ »[1].

يشير الاعتراض إلى كثرة الأسئلة عن البقرة والمماراة السّابقة، ولفظة "مع" حرف جرّ لا محل له من الإعراب، ولا وظيفة له في حدّ ذاته، لكنّه يساعد الاسم الذي يأتي بعده على اكتساب وظيفة (اسم مجرور)، ويكتسبان معًا صفة الاستقلالية، ومن ثمّة يُعاملان معاملة اللفظة المستقلة[2]، ويمكن أنْ تظهر في مواقع مختلفة من دون أنْ يؤثر ذلك على معناها.

والأمر نفسه نجده مع الأنساق الآتية:

3- **في هذا الموضع**: « هَذا طَرْف مِنْ إيحَاءَاتِ قِصّةِ آدَم – في هَذا المَوْضِع– نكتَفِي بهِ في ظِلاَلِ القُرْآنِ »[3].

إنّ قصّة آدم –عليه السّلام– تكرّرت في القرآن الكريم في سياقات مختلفة، لتحقيق عِبر تتماشى مع تلك السّياقات، لذلك يحدد الاعتراض أنّ إيحاء قصّة آدم خاصٌ بورودها في هذا الموضع، وربّما اختلفت إيحاءاتها في المواضع الأخرى.

وكذا في قوله:

4- « وهَذِهِ المِنّة التّي يمْتَنُّهَا اللهُ عَلى بَنِي إسْرَائِيل – في هَذا المَوْضِع– كانَتْ حَاضِرَة في أذْهَانِهِمْ وأعْصَابِهِمْ »[4].

(1) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص79.

(2) – بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص119.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص61.

(4) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1367.

فمِنَنُ الله على بني إسرائيل كثيرة، لكن هذه المنن المذكورة في سورة الإعراف على الخصوص لا يحقّ لهم نسيانها؛ لأنّها ترتبط بجوهر وجودهم، فكان فرعون يسعى إلى اجتثاثهم من فوق الأرض بقتل خلفهم، وتلويث أنسابهم.

5- بطبيعة الحال: « وليْسَ معْنَى هَذا -بطبِيعَةِ الحَالِ- هوَ التّشدُّدُ والتّعَنُّتُ والتّعْقِيدُ والتّقبُّضُ! فهذا ليس من طبيعة دين الله»[1].

الاعتراض جاء ليُبعِد لُبْسًا يمكن أنْ يتسرّب إلى النّفس بأنّ الدّين يدْعو إلى الصّفات المنبوذة من تشدّد وتعنّت وتعقيد وتقبّض، عند قراءة قوله تعالى﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾، الواردة في الآية: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ...﴾(الأعراف/145)، على أنّ الآية تدعو موسى (عليه السلام) إلى الجدّ والهمّة والحسم والصّراحة، وهي طبيعة الديّن.

6- **في فترة الرسالة**: « فالتّعدِيلُ الجُزئِيُ وِفْقَ مُقْتَضَيَاتِ الأحْوَالِ -في فَتْرَةِ الرّسَالةِ- هُوَ لصَالحِ البَشَرِيّةِ، ولِتَحْقِيقِ خَيْرٍ أكبَر تَقْتَضِيه أطوَارُ حَيَاتِهَا »[2].

الاعتراض هنا لتحديد زمن السّياق.

7- **كما أسلفنا**: « والظُّلْمُ - كمَا أسْلفْنَا- يُطْلَقُ في التّعْبِيرِ القُرْآنيّ ويُرَادُ بِهِ الشِّرْكُ أو الكُفْر »[3].

أدى الاعتراض وظيفة إحالية؛ ففيه إشارة إلى السياقات السابقة التي فصّل فيها دلالة الظلم في نص القرآن.

8- **كما قلنا من قبل**: « هيَ -كمَا قُلْنَا مِنْ قبْل- التّوَافُقُ بيْنَ طَبِيعَةِ الكوْنِ ونَشْأَةِ الكائِنِ الإنْسَانيّ »[1].

---

(1) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1370.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص102.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1261.

للإحالة على ما سبق من القول في غير هذا الموضع، وتبرّر للكتاب إجماله القول، وعدم التفصيل.

9- **مع ذلك**: « والمنْهَجُ القُرْآنيُّ -معَ ذلك- إنّمَا يُعَالجُ أطوَارَ النّفُوسِ والقُلُوبِ المتَقَلّبَةِ»[2].

للإشارة إلى أنّ ما ذكره آنفا من تخويف الله للعباد، لم يكن لأجل أن يعيش الإنسان قلقا، وتتعطّل حياته، بل لأجل اليقظة؛ وليحترس من الطغيان والاستهتار.

وفي قوله:

10- « حَقِيقَتَانِ كَوْنِيَتَانِ هَائِلتَانِ؛ وهُمَا -معَ ذلك- مَكْرُورَتَانِ مَعْرُوضَتَانِ لِلْبَصَائِرِ والأبْصَارِ آنَاءَ اللّيْلِ وأطْرَافَ النّهَارِ »[3].

اعترضت العبارة "مع ذلك" بين المبتدأ والخبر لتُنبّه القارئ إلى هاتين الحقيقتين اللتين تمران بحياة النّاس يوميا ولا يتوقّفون عندها، ولا تساهمان في هدايتهم إلى خالق الكون، هما حقيقة الموت والحياة، وحقيقة شروق الشمس وغروبها.

11- **بزعمهم**: « وإذَن فَهُو- بِزَعمِهم - الإفسَادُ في الأرْضِ »[4].

أفاد بهذا التعبير "بزعمهم" أنّ هذا التعريف هو تعريف مستشاري فرعون الذين يرون دعوة موسى إفسادًا في الأرض، لأنّها تؤدي حسب تقديرهم إلى زوال حكم فرعون الذي يحكم بغير ما يدعو إليه موسى، وهذا حتى لا يدخل المتلقي شكّ أنّه من كلام الكاتب.

والأمر عينه نجده في قوله:

12- **في زعمهم**: « ومَا هَكَذا -في زَعْمِهِم- يَكونُ الرَّسُول »[1].

---

(1) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1270.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1341.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص299.

(4) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1354.

13- **كما هو ظاهر**: « وهَذِهِ -كمَا هوَ ظَاهِرٌ- مُواجَهَةٌ عَمَلِيةٌ وَاقِعيّةٌ لحَالاتٍ عَمَلِيةٍ وَاقعيةٍ فِي العَلاقَات بَيْنَ المعَسْكرَاتِ المتَجاورَة »[2].

هنا إشارة إلى الآية (61) من سورة الأنفال : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، التي تنصّ صراحة على إمكان إقامة المسلمين عهود تعايش مع المعسكرات المناوئة.

14- **على وجه الإجمال**: « هَذِهِ -عَلى وَجْهِ الإجْمَالِ- هِيَ المبَادِئُ والقوَاعِدُ التي يتَضمَّنُهَا هَذا الدَّرْسُ»[3].

ينبّه الاعتراض إلى أنّ القول ورد مجملاً.

15- **من هذا الجانب**: « والمسْألَةُ - مِنْ هَذا الجَانِبِ – مَسْألَةُ وَاقِعٍ مَنْظُورٍ - إلى جَانِبِ لُطْفِ اللهِ المسْتُورِ- وَاقِعٍ لهُ عِلَلُهُ وأسْبَابُهُ الظّاهِرَةُ، إلى جَانِبِ قَدَرِ اللهِ الغَيْبِيِّ الموْعُودِ»[4].

أشارت العبارة "من هذا الجانب" أنّ للمأساة زوايا كثيرة، وما هذه إلا زاوية منها.

16- **بَعْدَ ذلك كلّه**: « فالّذِي يُهَدِّدُ أَمْنَهُ -بَعْدَ ذَلِكَ كُلّهِ- هُوَ عُنْصُرٌ خَبِيثٌ يجِبُ اسْتِئْصَالُه، مَا لمْ يَثُبْ إلىَ الرُّشْدِ والصّوَابِ »[5].

تذكّر العبارة "بعد ذلك كله" أنّ الحكم بالقتل لم يأت سدى، بل جاء بعد أنْ أرسل الله الرّسل، ولم يرتدع بوسائل الوقاية، فيكون إزهاق روحه وقاية للنّاس من شروره.

ونخلص إلى أنّ هذه الأنساق مكتسبة للاستقلالية على حدّ قول أندري مارتنيه[1]؛ لأنّها تحمل معناها في ذاتها، وغير مرتبطة برتبتها في التركيب واعتمدت على

(1) – في ظلال القرآن: مجلد5، جزء19، ص2615.
(2) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء10، ص1540.
(3) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء10، ص1539.
(4) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1339.
(5) – في ظلال القرآن: مجلد2، جزء06، ص878.

ظروف أو حروف جرّ، ارتأى الكاتب أن يعترض الكلام بها قبل تمامه، ويمكنه أن يوردها في بدايته كما يمكن أن ترد في نهايته.

ب- الاعتراض بشبه الجملة (الجار والمجرور)

الاعتراض بشبه الجملة من ألوان الاعتراض بين المبتدأ والخبر، وهو مما أجازه النّحاة[2]، لاسيما أنّ هذا الضرب من التراكيب لا يتقيّد كثيرا بالرّتبة، ولا يؤثر في عمل طرفي الجملة ولا يتأثر به، وهو مما يكثر في الكلام المنطوق على الخصوص.

وقد اتّسمت شبه الجملة المعترضة - في الغالب - بأنّها متوسطة الطول.

ومن أمثلتها نذكر:

17- « والّذِينَ يُطْلِقُونَ أَلْسِنَتَهُم وأقْلامَهَم وأجْهِزَةَ التّوجِيهِ والإِعْلامِ كُلَّهَا لِتَأصِيلِ هَذِهِ المحَاوَلَةِ -في شَتَّى الصُّوَرِ والأسَالِيبِ الشّيْطَانِيَةِ الخبِيثَةِ- هُمُ الّذِينَ يُرِيدُونَ سَلْبَ "الإنْسَان" خَصَائِص فِطْرَتِهِ »[3].

حدّد الكاتب موقفه من هذا السّلوك من خلال وسمه بـ"الأساليب الشّيطانية الخبيثة" قبل أنْ يذكر الرّكن الثاني من الجملة. وهو بذلك يقصد الإصرار وعدم اليأس، بتكرار المحاولات.

18- « هَذِهِ الخَاصِيّةُ - كمَا يُلْهِمُ النّصُ القُرْآنِيُّ- لمْ تجِيءْ لِلإنْسَانِ بَعْدَ مرَاحِل أوْ أطْوَار مِنْ نَشْأتِهِ »[4].

يشير الاعتراض إلى أنّ هَذِهِ الفكرة مستلهمة من القرآن الكريم، وليست مجرّد تخمين واجتهاد من الكاتب، فيتقبّلها المتلقي، ويستسلم عقله لما مصدره القرآن الكريم،

(1) - بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: ص119.

(2) - السيوطي، همع الهوامع في شرح الجوامع: ج2، ص154.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1275.

(4) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء14، ص2143.

وخاصة المتلقي المسلم.

19- ومن القبيل نفسه نجد قوله: « والحَالةُ التّي كانَ قَوْمُ نُوح قدْ انْتَهُوا إليْهَا، مِنْ إعْرَاضٍ واسْتِكبَارٍ وعِنَادٍ وضَلاَلٍ - كمَا تَبْرُزُ مِن خِلالِ الحِسَابِ الّذِي قَدّمَهُ نُوحُ في النّهَايَةِ لرَبِّهِ - تجْعَلُ الإنْذارَ هُوَ أنْسَبُ مَا تُلَخّصُ بِهِ رِسَالَتُه »[1].

يشير الاعتراض إلى المصدر الّذِي استقى منه المعلومة، وهو ما جاء على لسان نوح -عليه السلام- في سورة نوح ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾(نوح/07).

لقد اتخذ الاعتراض بالجار والمجرور بين المبتدأ والخبر شكل ومضات تنبيهية يكون لها وقع في المتلقي، فهو يحدّد مصدر هذه المعلومة التي ساقها الكاتب، ومن ثمّ يشحن مشاعر المتلقي ويؤثر على عقله: إنّ كان مصدرها القرآن يسلّم بها ويتقبلها، وإن كان مصدرها الشيطان يمجّها ويعرض عنها.

ج- الاعتراض بشبه الجملة الظرفية

جاء الاعتراض بين المبتدأ والخبر بشبه الجملة الظرفية في مواضع مختلفة، نذكرمنها:

20- « فالإيمَانُ بالآخِرَةِ -فَوْقَ أنّهُ إيمَانٌ بِعَدْلِ اللهِ المطْلَقِ، وجزَائِهِ الأوْفَى- هُوَ ذَاتُه دَلالَةٌ علَى فَيْضِ النّفْسِ بالحيَوِيّةِ، وعَلى امْتِلاءٍ بالحيَاةِ لا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الأرْضِ»[2].

أراد بهذا الاعتراض أنْ يذكّر بمنزلة الإيمان بالآخرة عقديا؛ فهو يرتبط بالإقرار بأنّ الله عدل، والآخرة هي دار الجزاء التي يكافأ كلّ حسب ما عمل، قبل أنْ يحيل إلى ما تتمظهر به حياة المؤمن الذي يجتهد لينال الجزاء الحسن يوم الآخرة.

21- « والّذِي يُرَاجِعُ التّارِيخَ بَعْدَ ذَلِكَ - مُنْذُ اليَوْمِ الّذِي اسْتَعْلَنَ فِيهِ الإسْلامُ

(1) - في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3710.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص92.

بالمدِينَةِ، وقَامَتْ لهُ دَوْلَةٌ – إلَى اللّحْظَةِ الحَاضِرَةِ »[1].

فالتاريخ كلمة عامة، يدخل في حيزها حقب زمنية مترامية الأطراف، وأدى الاعتراض دور المحدّد للمعنى المقصود، وهو التاريخ الإسلامي، فالاعتراض بالظرف يُوردفي العادة لغرض التركيز على التّحديد المكاني أو الزماني للحدث[2].

د– الاعتراض بالجملة الحالية

جاء الاعتراض بين المبتدأ والخبر بالجملة الحالية، في جمل اسمية خبرية قصيرة في غالب الأحيان، ونذكر من أمثلته ما يأتي:

22– « لِيَتَّجِهَ إلَى رَبِّهِ في تَسْبِيحِ الشّاكِرِ الذّاكِرِ! كُلُّ دَعْوَتِهِ – وهُوَ في أُبّهَةِ السُّلْطَانِ، وفِي فَرْحَةِ تَحْقِيقِ الأحْلاَمِ– أنْ يَتَوَفَاهَ رَبُّهُ مُسْلِمًا وأنْ يُلْحِقَهُ بالصَالحِينَ »[3].

ينبّه الاعتراض هنا إلى أنّ يوسف (عليه السلام) بعد أن اعتلى العرش لم تنقطع صلّته بالله ولم تتغير أمانيه إلى دوام الجاه والسلطان، ولم يغتر بالمنصب، بل كانت أمنيته أن يموت مسلما وأنْ يُلحق بالصالحين.

23– « فأمَّا المِلاَئكَةُ – وهُم الَّذِينَ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أمَرَهُمْ ويَفعَلونَ مَا يُؤمَرُونَ– فَقَدْ سَجَدُوا مُطِيعِينَ منَفِذِينَ لأمْرِ اللهِ »[4]. يذكر الاعتراض ما هم عليه من عصمة.

24– « والمِيكْرُوبَاتُ – وهِيَ أكْثَرُ الأحْيَاءِ عَدَدًا، وأسْرَعُهَا تَكاثُرًا، وأشَدُّهَا فَتْكًا – هِيَ كذَلِكَ أضْعَفُ الأحْيَاءِ مُقَاوَمَةً وأقْصَرُهَا عُمْرًا»[5]. يظهر الاعتراض ما هي عليه الميكروبات من تناقض، فعلى الرغم من كثرة عددها وفتكها إلاّ أنها أضعف مقاومة وتعميرا، وما كان يظهر هذا المعنى لولا الجملة الاعتراضية.

(1) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09،ص1378.

(2) – فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر .2004م.ص172.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2029.

(4) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1265.

(5) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء27، ص3438.

25- « والخُنْفُسَاءُ -وهي قَلِيلَةُ الحِيلَةِ- مُزَوّدَةٌ بمَادَةٍ كَاوِيَةٍ ذَاتِ رَائحَةٍ كَرِيهَةٍ»[1].

بيّنت الجملة المعترِضة حالة المبتدأ (الخنفساء) قبل أنْ يُخبر عنها، حتى يثبت فكرته، وهي أن كلّ مخلوق مزوّد بحيلة ما، حتى وإنْ كنّا نراه ضعيفا بلا حيلة.

26- « فامْرَأتُهُ -وهيَ ألصَقُ النَّاسِ بهِ- لمْ تَنْجُ مِنَ الهَلاكِ »[2].

ليثبت الكاتب فكرته أنّ المفاصلة كانت بين الإيمان والكفر دون غيرهما، أشار إلى أن امرأة لوط أصابها الهلاك على الرغم من صلتها بنبي الله لوط (عليه السلام)، وأن الرّجل في العادة يسعى لحماية أهله، ولكن الأمر -هنا- يتعلّق بالإيمان، فصار المؤمن أقرب من نبي الله، وتدحرج كلّ الصلات الأخرى.

27- « وهذَا الخَبَرُ اليَقِينُ مِنْ رَبِّ العَالمِينَ لموسَى عليه السّلام - وهُوَ والسّبْعُونَ المخْتَارُونَ مِنْ قَوْمِهِ في مِيقَاتِ رَبِّهِ- يَكْشِفُ كذَلِكَ عَنْ مَدَى جَرِيمَةِ بَنِي إِسْرائِيل في اسْتِقبَالهم لهَذا النّبِيِّ الأمُيِّ ولِلدِّينِ الّذِي جَاءَ بِهِ »[3].

وظف الكاتب الاعتراض لضرورة يراها؛ وهي تسليط الأضواء على المبتدأ ووصف هيئته[4]، قبل أن ينتهي الخبر إلى مسمع المتلقي، لتكون المعنى أكثر جلاء عند تمام الجملة.

هـ- الاعتراض بالجملة التفسيرية

اعترض الكاتب بين المبتدأ والخبر بالجملة التفسيرية، لضرورة يراها؛ كأن يزيل غموضا يكتنف الكلام أو ييسّر ما يستغلق على المتلقي فهمه، ومن أمثلة ذلك، قوله:

28- « وحِكْمَةُ إرْسَالِ الرّسُولِ في أمِّ القُرَى - أيْ كبْرَاهَا أوْ عاصِمَتُها - أنْ تكُونَ

(1) - في ظلال القرآن: مجلد6، جزء27، ص3438.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1316.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1378.

(4) - فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ص170.

مَرْكَزًا تبّلَغُ منْهُ الرّسَالةُ إلى الأطرَافِ فَلا تَبْقَى حُجّةٌ ولا عُذْرٌ فِيهَا لِأحَدٍ »[1].

قبل أن يبرز الحكمة من جعل مكة مركزا للدعوة، يرى أنّ الضرورة تستدعي توضيح هذه الكنية "أمّ القرى" التي تُكنّى بها مكة؛ وبهذا الشرح اللغوي يذهب العجب، ويلوح جانب من هذه الحكمة للعقول الرشيدة قبل أن يذكرها رأسا وبصريح العبارة.

29- « والّذِينَ يَظُنُّونَ أنّهُمْ مُسْلِمُونَ بَيْنَما هُم خَاضِعُونَ لِشَرِيعَةٍ مِنْ صُنْعِ البَشَرِ - أيْ لرُبُوبِيَّةٍ غيْرِ رُبُوبِيّةِ اللهِ- وَاهِمُونَ إذَا ظَنُّوا لحْظَةً وَاحِدَةً أنّهُمْ مُسْلِمُونَ!»[2].

وضّح بالجملة الاعتراضية معنى الخضوع لتشريع البشر؛ بأنّه خضوع لربوبية البشر، ومن ثمّ يكون الخبر "واهمون..." تحصيل حاصل[3].

30- « والّذِي يَنْهَضُ بالدّعْوَةِ إلَى اللهِ في المجتَمَعَاتِ الجَاهِلِيّةِ - والمجتَمَعَاتُ الجَاهِلِيّةُ هيَ التّي تَدِينُ لِغَيْرِ اللهِ بالطّاعَةِ والاتّبَاعِ في أيِّ زَمَانٍ أوْ مَكانٍ- يجِبُ أنْ يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلى أنّهُ لا يَقُومُ بِرِحْلةٍ مُرِيحَةٍ »[4].

الجملة المعترضة تفسّر مقصوده بـ"المجتمعات الجاهلية"؛ حتى لا يُفهم منها المجتمعات التي عاشت فترة ما قبل الإسلام، بل إنّه مصطلح جديد يطلقه "سيد قطب" على المجتمعات التي تتخذ التشريعات الوضعية حكما في حياتها، وهي بذلك تعبد من حكّمت ولا تعبد الله[5].

31- « والسّؤَالُ عَن الماهِيَةِ في هَذا المقَامِ - وإنْ كَانَ المقْصُودُ الصّفَةَ - إنْكارٌ

(1) - في ظلال القرآن: مجلد5، جزء 20، ص2704.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1347.

(3) - نسبت جماعة المسلمين (جماعة التكفير والهجرة) لسيد قطب، هذه الجماعة التي نشأت في السجون المصرية بعد إعدامه، واستمدت أفكارها من مؤلفاته الأخيرة التي تقوم على انتقاد المجتمعات الإسلامية، فهذه الجماعة تكفّر الحكام بإطلاق لعدم حكمهم بشرع الله وتكفّر الشعوب لرضاهم بهم وتكفّر العلماء لعدم تكفيرهم أولئك الحكام، ثمّ يأتي العنصر الثاني في تفكيرهم، وهو الهجرة؛ أي اعتزال (المجتمع الجاهلي) عزلة مكانية وعزلة شعورية.

ينظر: موقع الموسوعة الحرة ويكبيديا /ar.wikipedia.org/wiki

(4) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2036.

(5) - سيد قطب، معالم في الطريق: دار الشروق، بيروت، لبنان. الطبعة الشرعية السادسة، 1979م. ص47.

واسْتِهْزَاءٌ»[1].

يوضّح الاعتراض القصد بالماهية؛ أنها أطلقت وأُريد بها الصّفة لأنّ البقرة سبق وأنْ ذكرها لهم. ولكنهم سألوا عن صفة البقرة المطلوب ذبحها مماطلة منهم لأنهم مازالوا يظنون أنّ موسى (عليه السلام) يهزأ بهم.

و- الاعتراض بالبدل

ومن الاعتراض بين المبتدأ والخبر ما جاء على سبيل البدل؛ لتجلية المعنى المذكور آنفا أو على سبيل الاستدراك لإزالة اللبس عنه، أو الاستثناء لتقييد المعنى.

ومن أمثلته:

32- « هَذِهِ السّورَةُ -سُورَةُ الإسْرَاءِ- مَكيّةٌ »[2].

اعترض بين المبتدأ والخبر بـ "سورة الإسراء" لإزالة أيّ لبس يمكن أن يتسرّب إلى الأذهان على الرّغم من أنّ العنوان محدّد أنفا، فوجود علامة الاعتراض يدخله في الاعتراض غير المفيد الّذِي أشار إليه علماء البيان[3]، ذلك أنّه لا يكسب الكلام حسْناً ولا قبحاً، كما يشتكل الأمر في العامل في اللفظ "سورة الإسراء": أيكون بدلا وعطف بيان أم خبرًا لمبتدإ محذوف.

33- « وهَذِهِ الحَقِيقَةُ -حَقِيقَةُ الارْتِبَاطِ في قَلْبِ المؤمِنِ بيْنَ شُعُورِهِ بِهِدَايَةِ اللهِ وبَيْنَ بَدِيهِيّةِ التّوكّلِ عَلَيْهِ- لا تسْتَشْعِرُها إلاّ القُلُوبُ التّي تُزاوِلُ الحَرَكةَ فِعْلاً في مُواجَهةِ طَاغُوتِ الجَاهِلِيّةِ »[4].

رأى "سيد" أنّ الأمر يحتاج إلى توضيح الحقيقة المقصودة، قبل أنْ يقصرها على قلوب المؤمنين العاملين، من دون العاملين؛ ذلك أنّ الأفكار ينسي بعضها بعضا وتكون

(1) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص78.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء15، ص2208.

(3) - ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص209، وبدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص409-410.

(4) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2092.

الحاجة ماسة للتذكير والأخذ بيد المتلقي لبلوغ المرتجى من الخطاب.

34- « وهَذِهِ قِصّةُ شُعَيْب -ومَكانُها التّارِيخِيُّ قبْلَ قِصّةِ مُوسَى- تجِيءُ هُنَا في مَسَاقِ العِبْرَةِ كَبَقِيّةِ القِصَصِ في هَذِهِ السّورَةِ »[1].

فالاعتراض "ومكانها التاريخي قبل قصة موسى" بين المبتدأ والخبر ذو وظيفة زمنية، يهدف إلى تحديد البعد الزمني لقصّة شعيب بين مثيلاتها من قصص الأنبياء.

35- « ونحْنُ -المؤْمِنينَ باللهِ- نَتَلَقَّى هَذَا الوَعْدَ بقَلْبِ المؤْمِنِ، فَنُصَدِّقُهُ ابْتِدَاءً»[2].

أفاد التخصيص بعد التعميم؛ لأنّ الضمير "نحن" هنا يكتنفه الغموض في تحديد من المقصود بالحكم، أهو: كلّ البشر، أم المسلمون، أم العرب، أم المصريون، أم جماعة الإخوان المسلمين؟

36- « وكلّ قُوَّةٍ -غَيْرَ قُوَّةِ اللهِ- هَزِيلَةٌ وكُلّ سُلْطَانٍ -غَيْرَ سُلْطَانِ اللهِ- لايُخَافُ؟!»[3].

على الرغم من أن ما تضمنه الاعتراض يفهم ضمنا إلاّ أنّ الكاتب أراد أن يستثني "قوّة الله وسلطانه" من أحكامه لينأى بنفسه عن كلّ شبهة.

37- « فالقَصَصُ القُرْآنيُّ -غيْرَ قِصّةِ يُوسُف- يَرِدُّ حَلَقَاتٍ »[4].

فالحكم يصدق على باقي القصص القرآني غير قصّة يوسف –عليه السلام- التي استقلّت بسورة، ووردت أحداثها كاملة فيها.

(1) - في ظلال القرآن: مجلد5، جزء19، ص2615.
(2) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1338.
(3) - في ظلال القرآن: مجلد2، جزء7، ص1142.
(4) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء12، ص1951.

2- الاعتراض بين ما أصله مبتدأ وخبر

أ- الاعتراض بين اسم "إنّ" وخبرها[1]:

كما اعترض بين المبتدأ والخبر، ألفيناه يعترض بين ما أصله مبتدأ وخبر، كاسم "إنّ" وخبرها واسم "كان" وخبرها؛ وهما ركنان متلازمان لا تتمّ الفائدة بأحدهما.

فمن الاعتراض بين اسم "إنّ" وخبرها بالجملة الاسمية الصّغرى التي تفيد التوكيد، كقوله:

38- « وإنّه -هُوَ نفسُه- لَيَجْفُلُ منْ ضَغْطِ المَنْطِقِ الفِطْرِيِّ، الّذِي يُلْجِئُ الإدراكَ البَشَرِيَّ إلجَاءً إلى الاعْتِرَافِ بما وراءَ الخَلِيَّةِ الأولى، فيُرْجِع كلَّ شيْءٍ إلى "السّبَبِ الأوّلِ"!»[2].

كما يعترض بالجملة الموصولة التي تؤدي وظيفة النّعت، ومثالها:

39- « فإنّ الأدَاءَ القُرْآنيَّ -الّذِي يَنْبَغِي أنْ يكونَ هُوَ النّمُوذَجُ الأعْلَى للأدَاءِ الفَنِيِّ الإسْلامِيِّ- لم يتَخَلَ عنْ طَابِعِهِ النّظِيفِ مَرّةً واحِدَةً »[3].

وقد يعترض بجملة طويلة بمعطوفاتها ومتمّماتها المتتالية تعدل الجملة المعترضَة، كقوله:

40- « إنّ هَذِهِ الأرباب - سَواء كَانَتْ مِنَ البَشَرِ أمْ مِنْ غَيْرِ البَشَرِ مِنَ الأرْوَاحِ والشّيَاطِينِ والملائِكَةِ والقُوّى الكَوْنِيّةِ المسَخّرَةِ بأمْرِ اللهِ- ليْسَتْ مِنَ الرّبُوبِيّةِ في شَيْءٍ، وليْسَ لها مِنْ حقِيقَةِ الرّبُوبِيّةِ شَيْءٌ »[4].

فالمقام يقتضي ذكر أمثلة لما يعبد النّاس من دون الله، ليتّضح حكم نفي الربوبية

(1) - ينظر: ابن جني، الخصائص: ج1، ص285-286. وابن هشام، مغني اللبيب: ج1، ص447 وما بعدها.
(2) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص301.
(3) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء12، ص1954.
(4) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء12، ص1990.

بَعْدَ ذلك.

وتعترض الجملة المعطوفة الاتصال بين اسم "إنّ" وخبرها عند الاحساس بأنّ التّعبير فيه عموم، وهو في حاجة إلى شيء من التّحديد، كقوله:

41- « كمَا أنّ اسْتِقْرارَ حَقِيقَةِ الإيمَانِ في حَيَاةِ البَشَرِ -أوْ جمَاعَةٍ منْهُمْ- مَعْنَاهُ اتّصَالُ هَذِهِ الحيَاة الأرْضِيّة بالحيَاةِ الأبَدِيّةِ »[1].

استدرك أنّ الحكم لا يصدُق على كلّ البشر، إذ إن هناك من يصرح بملء فيه بإلحاده، ويرى الخير كلّ الخير في الإلحاد، والبعد عن الإيمان والدّين، لأنّ في ذلك بعد عن الحروب. لكن ما يلاحظ – هنا- أنّ عبارة الاعتراض لها تعلّق بما قبلها في الإعراب، وهذا يخالف شروط النحاة والبلاغيين.

وتعترض الجملة التّفسيرية سبيل اسم "إنّ" وخبرها لتنصّ على المعنى الدّقيق للفظ، كما هي الحال في قوله:

42- « أنَّ الإسْلاَمَ -بمَعْنَى إسْلامُ الوَجْهِ للهِ وحْدِه- كَانَ هُوَ الرّسَالةُ الأُولَى»[2].

فلمّا كان الشيوع لتسمية الدّين بـ"الإسلام"، صارت الحاجة ملحة لإزالة أيّ لبس أو توهّم من اللفظ حتّى لا يحكم على الخبر بالبعد عن الصواب من لدن القارئ وهو المعتبر في أمن اللّبس.

وتعترض الجملة الاسمية لأجل تفصيل ما أُجمل في اسم "إنّ" قبل النطق بخبرها:

43- « وخَيْرٌ للنّاسِ لأنّ مُواجَهَتَهُم بحَقِيقَةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ -وأنّهُم في دِينِ المِلِكِ لا في دِينِ اللهِ- قدْ تهُزُّهُم هَزّةً تُخْرِجُهُم مِنَ الجَاهِلِيّةِ إلَى الإسْلامِ »[3].

يُسهم الاعتراض -هنا- في تدقيق المعنى العام؛ إذ إنّ لفظ "ما هم عليه" يتّسم

(1) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3708.

(2) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص111.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2021.

بالعموم ويتضمّن جوانب متعدّدة، والاعتراض يعيّن الجانب المقصود وهو الجانب العقدي، فيسهّل على العقول تقبّل الخبر من دون تحفظ.

44- « فَإِنّ قِصّةَ البَشَرِيَّةِ الكبْرَى -كَمَا تُعرَضُ في هَذَا السّياقِ القُرآنِيِّ- تَسْتَحِقُّ تَعْقِيبَاتٍ مُفَصّلَةٍ لا نمْلِكُ أنْ نَسْتَطْرِدَ فِيهَا -في ظِلالِ القُرآنِ- فنَكْتَفِي أنْ نُلِمَّ بهَا إلمامًا، عَلى قَدْرِ المنَاسَبَةِ »[1].

قد ساعد الاعتراض على ضبط السّياق لأنّ القصة وردت في سياقات أخرى؛ كثيرة ومختلفة.

وجاء الاعتراض أيضا بين اسم "لكن" وخبرها، من ذلك قوله:

45- « ولكنّهَا -حتىّ ذَلِك الحِينِ- لمْ تَكُنْ تَعْلَمْ ذَلِكَ الأمْر العَظِيم! »[2].

وظف الاعتراض لتحديد الإطار الزّمني للحدث.

ب- الاعتراض بين اسم "كان" وخبرها

ومن الاعتراض بين اسم "كان" وخبرها[3]، قوله:

46- « وكَانُوا -كعَادَتِهِمْ في تَفْرِيقِ الدِّينِ وتَفْرِيقِ الرّسُلِ- قدْ فَرّقُوا بَيْنَ مَلائِكَةِ اللهِ الّذِينَ يَسْمَعُونَ أسْماءَهُمْ وأعْمَالهُمْ »[4].

تفيد شبه الجملة المعترضة "كعادتهم في تفريق الدّين وتفريق الرّسل" أنّ ما سيأتي في الخبر ليس بالأمر العجيب؛ لأنّ هَذَا ديدنهم منذ الأزل، وبذلك تكون العقول قد تهيأت للتقبّل.

47- « وكَانَ هَذَا القُرْآنُ -مَعَ تَوْجِيهَاتِ الرّسُولِ المسْتَمَدّةِ كذَلِكَ مِنَ القُرْآنِ- هُوَ مَادَةُ

(1) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء14، ص2142.
(2) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص395.
(3) - ابن هشام، مغني اللبيب: ج1، ص447 وما بعدها.
(4) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص80.

التّوْجِيهِ والتّعْلِيمِ »[1].

أسهم الاعتراض على تكثيف المعنى، فالتعليم مستمد من القرآن، وتدّعمه السّنة التي هي تفسير للقرآن.

واعترضت الجملة الفعلية سبيل التّركيب لتعلّل سبب ورود الخبر على هذا النّحو، في قوله:

48- « هَكَذَا مَرَّةً أُخْرَى: (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ)! ولَمْ يَكُنْ بُدٌّ -وقَدْ شَقّقُوا المَوْضُوعَ وطَلَبُوا التّفْصِيلَ- أنْ يَأتِيَهُم الجوَابُ بالتّفْصِيلِ »[2].

فلمّا أكثروا السّؤال عن أوصاف ما طُلب منهم تلكّئا في الاستجابة، كانت هذه التّفاصيل مجاراة لهم ليقفوا على حقيقة الأمر، وأنّ مدى الإيمان يقاس بمدى الامتثال لأمر الله.

49- « وكَانَت الحَمْلَةُ -كَمَا أَسْلَفْنَا- تَتَعَلّقُ بِنَسْخِ بَعْضِ الأوَامِرِ والتّكالِيفِ. وبِخَاصّةٍ عِنْدَ تَحْوِيلِ القِبْلَةِ إلَى الكَعْبَةِ »[3].

إشارة إلى أنّ هناك من الأفكار التي كَانَ فيها جدل واقتضت منه الإطالة فيها بغية الإقناع وشرح المواقف.

50- « فَإنَّ ضَرْبَ الذّلَةِ والمسْكَنَةِ عَلَيْهِمْ، وعَوْدَتِهِمْ بِغَضَبِ اللهِ، لَمْ يَكُنْ -مِنَ النّاحِيّةِ التّارِيخِيّةِ- في هَذِهِ المرْحَلَةِ مِنْ تَارِيخِهِمْ؛ إنّما كَانَ فِيمَا بَعْد؛ بَعْدَ وُقُوعِ مَا ذَكَرَتْهُ الآيَةُ في خِتَامِهَا »[4].

تبدو —هنا- إشارة إلى ما قد يتوهّم من تناقض في أن يكون اليهود شعب الله المختار، ويكون منهم الأنبياء والصّالحون، وأن تضرب عليهم الذّلة والمسكنة، فالاعتراض

(1) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء2، ص139.
(2) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص78.
(3) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص80.
(4) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص75.

يشير إلى ضرورة التّرتيب التاريخي للأحداث، فقبل أنْ ينالهم غضب من الله كانوا عبادا صالحين.

ويمكن أنْ يكون الاعتراض بين اسم "كَانَ" وخبرها حتّى وإن كان فيها عدول عن الأصل، كالاعتراض بين خبر "كَانَ" شبه الجملة المقدم، واسمها المصدر المؤول المؤخر، في قوله:

51- « لَقَدْ كَانَ فِي وَسْعِهِمْ -وَهُمْ فِي سَعَةٍ مِنَ الأَمْرِ- أنْ يُمُدُّوا أيْدِيَهُمْ إلَى أيَّةِ بَقَرَةٍ فيَذْبَحُوهَا، فإذَا هُمْ مُطِيعُونَ لأمْرِ اللهِ، مُنَفِّذُونَ لإشَارَةِ رَسُولِهِ »[1].

وكما مسّ الاعتراض الجمل المنسوخة ب"كان"، مسّ كذلك الجمل المنسوخة بأخواتها، ومنها:

52- « وظَلَّ القُرْآنُ -مُعْجِزَةُ الإسْلاَمِ- كِتَابًا مَفْتُوحًا لجِيلِ مُحَمّدٍ [ص] وللأجْيَالِ بَعْدَهُ»[2].

أراد أن يشير إلى أنّ القرآن هو معجزة الإسلام الدائمة، لأنّ كلّ المعجزات الأخرى أفلت، أما القرآن فبقي يساير الحضارة، ويحسّ كلّ جيل أنّه أنزل إليه من دون غيره من الأجيال. ويبدو الاعتراض ضربًا من الاستدراك يشعر به المتكلم والكاتب.

وقوله:

53- « وإذَنْ فَسَتَظَلُّ الحَرَكَةُ -التّي هِيَ طَبِيعَةُ هَذا الدّينِ الأصِيلَةِ- تمَيِّزُ أصْحَابَ البَلاءِ وأصْحَابَ الكِفَايَاتِ والمَوَاهِبِ، ولا تَقِفُ أبَدًا ليَرْكُدَ هَذَا المجْتَمَعُ ويَأسَنَ -إلاَّ أنْ يَنْحَرِفَ عَنِ الإسْلاَمِ- وسَيَظَلُّ الحُكْمُ الفِقْهِيُّ - الخَاصُّ بتَحْرِيمِ تَزَكِيّةِ النّفْسِ وطَلَبِ العَمَلِ عَلى أسَاسِ هَذِهِ التّزكِيَةِ- قائِمًا وعَامِلاً في مُحِيطِهِ الملائِمِ..»[3].

(1) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص78.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء15، ص2235.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2008.

فالكاتب يجد في نفسه من التفاصيل الواجب ذكرها قبل تمام الكلام ضمانا لأنّ يصل تصوّره إلى المتلقي.

54- « ولَغَدَتْ حَيَاةُ كَثِيرٍ مِن الأجْنَاسِ -وأوَّلُها الإنْسَانُ- مُسْتَحِيلَةً عَلى وَجْهِ هَذِهِ الأرْضِ »[1].

جاء الاعتراض هنا للتخصيص لأنّ الإنسان هو المقصود من وراء هذا التعميم، ولأنه المكرّم على وجه هذه البسيطة.

(1) - في ظلال القرآن: مجلد6، جزء27، ص3438.

II –الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية

ما قيل عن الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية، يمكنه أن ينطلي على الجملة الفعلية، لاسيما أنّ "سيدًا" كثيرا ما يعترض بين العناصر المتلازمة للجملة الفعلية بتراكيب متنوعة ومختلفة، ويأتي على أنواع نفصّلها كما يأتي:

أ– الاعتراض بين الفعل والفاعل

من أمثلة الاعتراض بين الفعل والفاعل[1]، قوله:

55– « وهَذَا الشُّعُورُ وذَاكَ ضَرُورِيَانِ للوُقُوفِ في وَجْهِ حَمَلَةِ البَلْبَلَةِ والتّشْكِيكِ التّي قَادَهَا –ويَقُودُهَا– اليَهُودُ، لتَوْهِينِ العَقِيدَةِ في نُفُوسِ المؤْمِنِينَ »[2].

اعترضت الجملة الفعلية بناء جملة فعلية أخرى، والفعل في الجملة المعترِضة مضارع خلافا له في الجملة المعترَضة استدراكا من الكاتب أنّ هذا الحدث لا يزال مستمرّا ولم ينته، وهذا لا يفهم من بناء الجملة من دون اعتراض.

وكذلك في قوله:

56– « وأنّهُ مِنْ ثمَّ لا تَنْضَمُّ إليْهَا –في أوّلِ الأمْرِ– الجَمَاهِيرُ المسْتَضْعَفَةُ »[3].

فالجماهير المستضعفة لا تنضم في أول الأمر لكنها تنضم بعد ذلك، ومن دون الاعتراض يفهم أنها لا تنضم نهائيا. فالاعتراض بين الفعل وفاعله بشبه الجملة "في أول الأمر" أحدث فارقا في المعنى، وبغيره يكون النّقص واللبس.

ومن القبيل نفسه نجد هذا التركيب:

57– « هَؤُلاءِ الكاتِبُونَ البَاحِثُونَ عَنْ حَلٍّ لتَطْبِيقِ قَواعِدَ النِّظامِ وتَشْكِيلاتِهِ وأحْكامِهِ

(1) – ينظر: ابن جني، الخصائص: ج1، ص286. وابن هشام، مغني اللبيب: ج1، ص446

(2) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص101.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2036.

الفِقْهِيّةِ يُحَيِّرُهُمْ -أوّلُ ما يُحَيِّرُهُمْ - طَرِيقَةُ اخْتِيَارِ أهْلِ الحَلِّ والعَقْدِ »[1].

فطريقة اختيار أهل الحلّ والعقد ليست هي الوحيدة التي تحيّر الكتاب الباحثين، لكن الاعتراض يترتّبها الأولى بين الأمور المحيّرة.

ب-الاعتراض بين الفعل ومفعوله[2]

وكما اعترض بين الفعل وفاعله، يعترض بين الفعل ومفعوله، مثل:

58- « ثمَّ يَمْلِكُ -حَسْبَ نَظَرِيَّتِهِ هُوَ وهِيَ مَحَلُّ نَظَرٍ طَوِيلٍ- تَوْجِيهَ الخَلِيّةِ الأولَى في طَرِيقِهَا الّذِي افْتَرَضَ هُوَ أنَّهَا سَارَتْ فِيهِ صُعُدًا، دُونَ أيِّ طَرِيقٍ آخَر غَيْر الّذِي كَانَ! إنَّهُ الهُرُوبُ والمِرَاءُ والمِحَالُ!!!»[3].

نجد -هنا- اعتراضا مزدوجا، الأول قوله: "حسب نظريته هو"، ليتأكد من أنّ المتلقي لا ينسب هذا الكلام إلى الكاتب، والثاني قوله: "وهي محل نظر طويل" ينبّه به إلى موقفه ممّا نقله، من أنّه محلّ نظر، ولا يقبل كما جاء. وقد أجار النّحاة الاعتراض بأكثر من جملة[4]، كما سبق القول في التمهيد النظري للفصل.

وقوله:

59- « وهَذَا المجْتَمَعُ الجَاهِلِيُّ الحَاضِرُ يُعْتبَرُ -بالقِيّاسِ إلَى طَبِيعَةِ النِّظَامِ الإسْلامِيِّ وأحْكامِهِ الفِقْهِيّةِ- فَرَاغًا لا يُمْكِنُ أنْ يَقُومَ فِيهِ هَذَا النِّظامِ »[5].

ففي سياق انتقاده للمجتمعات الإسلامية يعتبر المجتمع الحالي فراغا[6]، لا يشكل أرضية داعمة لقيام النّظام الإسلامي الّذي يفترض توفر شروط لقيامه، وأنّ الأحكام

(1) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2009.
(2) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ج1، ص446. والسيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع: ص255.
(3) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص301.
(4) - ابن هشام، مغني اللبيب: ج2، ص453.
(5) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2009.
(6) - سيد قطب، معالم في الطريق: ص93.

الفقهية لتكونَ صحيحة لابد لها من ظروف مناسبة، وهذا ما يدلّنا عليه الاعتراض "بالقياس إلى طبيعة النّظام الإسلامي وأحكامه الفقهية".

وقوله:

60- « وأنْ يَقُولُوا لِلنّاسِ -ولِلّذِينَ يَسْتَفْتُونَهُمْ بِوَجْهٍ خَاصٍ- تَعَالُوا أنْتُمْ أوّلاً إلَى الإسْلامِ...»[1].

أفاد الاعتراض " وللذين يستفتونهم بوجه خاص" تخصيص المعنى الّذِي جاء عاما، فكان الاعتراض بمثابة بدل البعض من الكل.

وفي قوله:

61- « وهُوَ يَقُولُ لِرَبّهِ: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموْتَى)، فَيَسْألُهُ رَبُّهُ -ورَبُّهُ يَعْلَمُ: (أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ؟)، فيَقُولُ - ورَبُّهُ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَا يَشْعُرُ ومَا يَقُولُ:- (بَلَى! ولَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)...»[2].

هذا أسلوب بديع زاوج فيه الكاتب بين بناءين لأسلوبين متميزين: الاقتباس والاعتراض، فلمّا كانت الآيات بسيطة يفهمها عامة النّاس، لم تتطلب الحاجة لتبسيطها بأسلوبه فاقتبس تراكيب منها، أمّا الاعتراض فقد تعدّد ليدلّ على إيمان الكاتب –ككل المسلمين- بأنّ الله يعلم الغيب وما تخفيه الصّدور.

وهناك أمثلة كثيرة للجملة الفعلية التي يضمر فيها الفاعل ويدخل الاعتراض بين الفعل ومفعوله في شكل تعليقات سريعة من لدن الكاتب، وتفتقر للصبغة البيانية في كثير من الأحيان، منها:

62- « وهَذَا كُلُّهُ يَسْتَحِقُّ -بِدُونِ تَرَدُّدٍ- كُلَّ مَا يَبْذُلُهُ المؤْمِنُونَ مِنْ جُهُودٍ مُضْنِيَةٍ»[3].

(1) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2011.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2002.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3709.

63- « وذَكَرَ الآخرَةَ هنَا في قَولِ يُوسُف يُقَرّرُ -كَمَا قُلنَا مِنْ قَبْل- أنَّ الإيمَانَ بالآخِرَةِ كَانَ عُنْصُرًا مِنْ عنَاصِر العَقيدَةِ عَلَى لسَانِ الرُّسُلِ جَمِيعًا »[1].

64- « وهُوَ يَسْتَعْرِضُ -بهَذِهِ المنَاسَبَة- ذَلِكَ الجُهْد الموصُول مِن الرُّسُل -عليهم صلواتُ اللهِ وسلامُه- لهِدَايَةِ البَشَرِيّةِ الضّالَةِ المعَانِدَةِ »[2].

65- « وهَا هِيَ ذِي تَتَلَقَى -لأوّلِ مَرّةٍ- التّبْلِيغَ عَنْ طَرِيقِ الملائِكَةِ بِالأمْرِ الخَطِيرِ»[3].

ومن القبيل نفسه نجده يعترض بين الفعل ومفعوله المطلق:

66- « فَالكائِنُ الحَيُّ يَبْحَثُ عَنِ الطّعَامِ والشّرَابِ والهوَاءِ -كمَا يَبْحَثُ عَنِ التّنَاسُلِ والتّكاثُرِ- بَحْثًا فِطْرِيًّا، ولا يَتْرُكُ الأمْرَ في هَذِهِ الحَيَوَيَاتِ حَتَّى يَكْمُلَ التّفْكِيرُ ويَنْضُجَ، أوْ حَتَّى يَنْمُو العِلْمُ ويَغْزُرَ..»[4].

يستكمل الاعتراض ما أغفل الكاتب من الجوانب الغريزية في حياة الكائنات، فإذا كان الطعام والشراب والهواء يدعم حبّ البقاء، فإنّ التناسل والتكاثر يدعم غريزة حفظ النّسل وحبّ الانتشار.

ج-الاعتراض بين الفاعل والمفعول

لما أجاز النّظام اللغوي الاعتراض بين الفعل وفاعله، وهما أكثر تلازما في البناء اللغوي من غيرهما؛ لأنّ كلّ مسند هو بحاجة إلى مسند إليه ليتمّمه، فإنّه يجيز -أيضا- الاعتراض بين العناصر الأخرى، كالاعتراض بين الفاعل والمفعول به، والاعتراض بين المفعولين في الأفعال المتعدية إلى مفعولين، والاعتراض بين الفعل وشبه الجملة المتعلقة به[5].

(1) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء12، ص1988.
(2) - في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3707.
(3) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص397.
(4) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص299.
(5) - ابن جني، الخصائص: ج1، ص285.

ومن أمثلة الاعتراض بين الفاعل والمفعول، قوله:

67- « فاتّخَذَهَا القُرْآنُ -في مُوَاجَهَةِ كِبَارِ أهْلِ الكِتَابِ وَقْتَهَا- دَلِيلاً عَلَى وَحْيٍ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ الصّادِقِ »[1].

اعترضت شبه الجملة بين الفاعل والمفعول به الثاني، لتحديد السّياق قبل تمام الكلام، أما المفعول به الأول فقد تقدّم على الفاعل، ممّا أدى إلى تداخل بين عناصر التركيب دون الاخلال بالمعنى.

68- « وقَدْ شَاءَ اللهُ -بَعْدَ نَشْأةِ آدَمَ نَشْأةً ذَاتِيّةً مُبَاشِرَةً- أنْ يجْعَلَ لإعَادَةِ النّشْأةِ الإنْسَانِيّةِ طَرِيقًا مُعَيّنًا »[2].

اعترضت شبه الجملة الظرفية بين الفاعل والمفعول به (المصدر المؤول) لتحديد الزّمن.

69- « وَنَسِيَ آدَمُ وزَوْجُهُ -تحْتَ تَأثِيرِ الشّهْوَةِ الدَافِعَةِ والقِسْمِ المخَدَّرِ- أنّهُ عَدُوُّهُمَا الّذِي لا يُمْكِنُ أنْ يَدُلّهُمَا عَلَى خَيْرٍ! »[3].

إنّ شبه الجملة المعترضة هنا تحدّد حال آدم وحواء -عليهما السلام- وهما في غمرة النّسيان، ففي لحظة من السّهو بسبب ما يشتهيانه —وهي طبيعة البشر أولهم وآخرهم- أنساهما الشيطان أن ما يقبلان عليه قد نهاهما الله عنه، وأنّ النّاصح لهما عدوّ لا يُتوقّع منه الخير. ويشير الاعتراض إلى الظروف المخفّفة لما فعلاه، وأنّها تدخل في تركيبة الإنسان وما فيها من نقاط ضعف، وهي محل اختبار الله له.

(1) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص396.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص398.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1269.

د- الاعتراض بين المفعولين

ومن الاعتراض بين المفعولين[1] نذكر:

70- « أنّ اللهَ جَعَلَ هَذَا الكَوْنَ -لا الأرْض وَحْدَهَا- عَوْناً لَهُ فِي هَذِهِ الخِلاَفَةِ»[2].

اعترض بين مفعولي "جعل" المفردين، ليفيد التّنبيه لمن علق في ذهنه أنّ الأرض هي الكون، أو لمن يتصوّر أنّ الله سخّر له ما هو قريب منه فقط.

71- « سِرُّ القُدْرَةِ عَلَى تَسْمِيَّةِ الأشْخَاصِ والأشْيَاءِ بأسْمَاء يجْعَلُهَا -وهِيَ ألْفَاظٌ مَنْطُوقَةٌ- رُمُوزًا لِتِلْكَ الأشْخَاص والأشْيَاءِ المحْسُوسَةِ »[3].

اعترضت الجملة الحالية (وهِيَ ألْفَاظٌ مَنْطُوقَةٌ) بين المفعول الأول وهو الضمير المتصل في (جعلها) والمفعول الثاني الاسم الظاهر "رموزا" جاء لينبّه من لم ينتبه[4] إلى ما ذكره سابقا بأنّها أسماء، والأسماء تكون منطوقة، وبهذا يظهر موطن المعجزة؛ بجعل ما هو ملفوظ رمزا لما هو مجسم.

72- « إنّمَا وَجّهَ نُوحُ قَوْمَهُ إلى السّمَاءِ وأخْبَرَهُمْ - كمَا عَلَّمَهُ اللهُ- أنّهَا سَبْعٌ طِبَاقٌ»[5].

اعتراض بَيْنَ المفعول الأول الضمير المتصل "هم" والمفعول الثاني المكوّن من "أنّ" النّاسخة واسمها وخبرها " أنّها سبع طباق"، لتفيد أنّه ناقل لعلم الله، لا مدّعيا لعلم له، وهو شأن الأنبياء والرسل جميعا.

---

(1) – ابن جني، الخصائص: ج1، ص286.

(2) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1272.

(3) – في ظلال القرآن: مج1، جزء1، ص57.

(4) – فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ص176.

(5) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3714.

هـ–الاعتراض بين الفعل وشبه الجملة المتعلقة به

تعترض الجمل وأشباه الجمل بين الفعل اللازم ومتعلقاته، في مواضع كثيرة منها:

73– « ولكِنّهُ يَتَهَيّأُ –بِجُهْدِهِ هُوَ ومُحَاوَلِتِهِ وتَضْحِيتِهِ– لاسْتِقْبَالِ قَبَسٍ مِنْ نُورِ اللهِ. كمَا يَتَهَيّأُ لأنْ يَنْهَضَ –وهُوَ الضَّعِيفُ العَاجِزُ– بِتَحْقِيقِ قَدَرِ اللهِ في الأرْضِ »[1].

الاعتراض في الشّق الأول "بجهده هُوَ ومحاولته وتضحيته"، وفي الشّق الثاني " وهُوَ الضّعيف العاجز"، ليشير إلى هذه المفارقة العجيبة؛ أنّ الإنسان المدعّم بقدرة الله وتوفيقه لا يتوانى في إعداد العدّة وتوفير الأسباب لأمر حاصل لا محالة مادام الله أمر به، وأنّ الإنسان على ضعفه وعجزه هُوَ من يخلف الله في الأرض ليحقّق قدرة القويّ القادر. فكان الاعتراض على شكل ومضات تنبّه الذّهن حتّى لا ينساق وراء الأحداث، وبذلك يتحقق الهدف الذي يسعى الكاتب إليه.

وفي السّياق نفسه يأتي قوله في المواضع الآتية:

74– « لَقَدْ أخْرَجَهُم اللهُ –عَلَى يَدَي نَبِيّهِم مُوسَى –عليه السّلام– مِنَ الذّلِّ والهَوَانِ لِيُورِثَهُم الأرْضَ المقَدَّسَةَ، ولِيَرْفَعَهُمْ مِن المهَانَةِ والضّعَةِ »[2].

هناك اعتراض مزدوج الأول "على يدي نبيهم موسى" يفيد التّنويه إلى ما قدّمه نبي الله موسى، والثاني "عليه السلام" مرتبط بالأول، جملة دعائية تفيد التّأدّب مع الأنبياء والرّسل.

75– « ولا بُدَّ أنْ يكُونَ القَوْمُ قدْ عَجِبُوا –كَمَا عَجِبَ قَوْمُ نُوح مِنْ قَبْل– مِنْ هَذَا الاخْتِيَار »[3].

يشير الاعتراض إلى أنّ الإعجاب مما يأتي به الأنباء والرّسل ليس بالأمر الجديد،

(1) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3710.

(2) – في ظلال القرآن: مج1، جزء1، ص74.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1311.

فهو دأب كلّ قوم، وكان الحال قبلهم مع قوم نوح؛ لأنّ كلّ نبيّ يأتي ليغيّر الأوضاع السائدة والعقدية منها على الخصوص، فينجرّ عنها تغيير حياة النّاس كافة نحو الأفضل.

76- « حَتَى سَلَّمَ لهُم بِيلاطِسُ بِأنْ يَتَوَلُّوا عِقَابَهُ بِأيْدِيهِمْ، لأنّهُ لمْ يجْرُؤْ -وهُوَ وَثَنِيٌّ- عَلَى احْتِمَالِ تَبِعَةِ هَذَا الإثمِ مَعَ رَجُلٍ لمْ يَجِدْ عَلَيْهِ رِيبَةً »[1].

اعترضت الجملة "وهو وثنيّ" بين الفعل ومتعلقاته، لتشير إلى حالة الفاعل "هو وثني" الذي لم يتجرأ على احتمال الظلم لبريئ، فما بالك بالمؤمن.

77- « وانْتَهَى -بَعْدَ كُلِّ وَسِيلَةٍ- إلَى اقْتِنَاعٍ بِأنْ لا خَيْرَ فِي القُلُوبِ الظَالمةِ البَاغِيّةِ العَاتِيّةِ»[2].

تشير شبه الجملة المعترضة إلى أنّه جرّب كلّ الوسائل، وليس وسيلة واحدة، واستنفد طاقته قبل أن يخلص إلى النتيجة التي ستأتي بَعْدَ ذلك، ومن ثمّ فهو لا يتحمّل مسؤولية ما ستؤول إليه الأوضاع.

وفي سياق الاعتراض لأجل نفي المسؤولية عن هَذَا النبي يقول:

78- « هكَذَا سَلَكَ نُوحُ -أوْ حَاوَلَ أنْ يَسْلُكَ- إلى آذانِ قَوْمِهِ وقُلُوبِهِمْ وعُقُولِهِمْ بِشَتّى الأسَالِيب »[3].

فهو إن لم ينجح في مسعاه بإصال كلمة الحق إلى قومه، فعذره أنّه حاول ووفر الأسباب، وإنّ التوفيق من الله بعد ذلك.

و-الاعتراض بين الشرط وجوابه

ومن الاعتراض في أسلوب الشرط، الاعتراض بين جملة الشرط وجوابه[4]، نذكر:

(1) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء3، ص403.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3716.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3715.

(4) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ج1، ص448. وفتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ص197.

79- « فإذَا نَسَخَ آيَةً أَلْقَاهَا فِي عَالِمِ النِّسْيَانِ - سَوَاءٌ كَانَتْ آيَةً مَقْرُوءَةً تَشْتَمِلُ حُكْمًا مِنَ الأَحْكَامِ، أَوْ(*) آيَةً بِمَعْنَى عَلامَةٍ وخَارِقَةٍ تَجِيءُ لِمَنَاسَبَةٍ حَاضِرَةٍ وتُطْوَى كالمُعْجِزَاتِ المادِيّةِ التّي جَاءَ بِهَا الرّسُلُ- فإنّهُ يَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا! ولا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ»[1].

اعترض بجملة طويلة بين جملة فعل الشرط المصدرة بـ"إذا" وجوابه المقرون بالفاء، لتوضّح المقصود بالآية المنسوخة؛ أهي الآية القرآنية المقروءة أم الآية بمعنى العلامة والمعجزة الداعمة لنبيّ من الأنبياء ثمّ تنسى مع زوال الحاجة إليها.

وفي قوله:

80- « لَوْ كَانَ الأَمْرُ كذلِكَ - كمَا يَقُولُ بعْضُ المفَسّرِينَ إنّ عِظَامَهُ هِيَ التّي تَعَرَّتْ مِنَ اللّحْمِ- لَلَفَتَ هَذَا نَظَرَهُ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ، ووَخَزَ حِسَّهُ كذَلِكَ »[2].

جاء الاعتراض بين جملة الشرط المصدرة بـ" لو"، وجوابه المقرون باللام، لتوضيح جملة فعل الشرط التي اتّسمت بالعموم، وتحيل على ما قبلها، والكاتب بصدّد الحجاج والإقناع ويحتاج إلى استحضار الفكرة إلى ذهن المتلقي، لتكون أكثر إقناعًا، لأنّ الأفكار ينسي بعضها بعضًا.

وفي قوله:

81- « .. كادُوا يَتْرُكُونَ آلهَتَهُمْ وعِبَادَتَهُمْ - عَلَى شِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى اسْتِبْقَاءِ دِيَانَتِهُمْ ومَا وَرَاءَهَا مِنْ مَرَاكِزَ ومَغَانِمَ - لوْلا أنّهُمْ قاوَمُوا تأثّرَهُمْ بِهِ وصَبَرُوا عَلَى آلهَتِهِمْ!»[3].

فصّل الاعتراض في ما يربط المعنى الذي ذُكر في جملة جواب الشرط المتقدّمة بجملة فعل الشرط المتأخرة.

(*) - بعد سواء تأتي همزة التسوية، ويفصل بين الجملتين بـ"أم". ينظر:

- عزيزة فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1992م.ص231.

(1) - في ظلال القرآن: مج1، جزء1، ص102.

(2) - في ظلال القرآن: مج1، ج3، ص300.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد5، جزء19، ص2566.

وفي قوله:

82- « ولمّا كانُوا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَضِنُّ أبُوهُمْ بأخِيهِم الأصْغَرِ -وبخاصّةٍ بَعْدَ ذَهَابِ يُوسُف- فَقَدْ أظهَرُوا أنّ الأمْرَ ليْسَ مَيْسُورًا »[1].

يحدّد الاعتراض ملابسات السّياق في الرّبط بين جملة فعل الشرط المصدرة بـ"لمّا" الشرطية وجوابها، فقد كانت هناك سابقة لهم حين استأمنهم أبوهم (يعقوب عليه السلام) على أخيهم يوسف، ولم يلتزموا بما وعدوا به، فمن الصّعوبة أن يقنعوه - بعد ذلك- بأن يأمنهم على أخيهم الأصغر، مهما كانت الأسباب والتبريرات، حتى وإن كانت النتيجة زيادة كيل بعير.

وفي قوله:

83- «.. مَا إنْ يَرَوْا هَذَا التّدْبِيرَ -وهُمْ لا يَعْلَمُونَ مَا وَرَاءَهُ- حَتَّى يَنْفَجِر حِقْدُهُم القَدِيمُ عَلَى يُوسُف »[2].

اعترضت الجملة الحالية بين جملة فعل الشرط المصدرة بـ"إنْ" وجوابها.

ز-الاعتراض بين الحال وصاحبها

قد تفصل الجملة الاعتراضية بين الحال وصاحبها، نحو:

84- « تَصَوَّرَ الوُجُودَ الكوْنِيَّ -بَلْ الوُجُودَ الجَمَاعِيَّ لِلبَشَرِيَّةِ ذَاتِهَا- مُعَاكِسًا في طَبِيعَتِهِ للوُجُودِ الفَرْدِيِّ الإنْسَانيّ »[3].

جاء الاعتراض بين الحال وصاحبها في شكل بدل من صاحب الحال ليزيد معناه دقّة، ولتزداد الفكرة غرابة مع ذكر لفظ الحال، فالمدرسة الوجودية تصوّر للإنسان الكون كلّه شرّا، وهذا يتنافي وتصوُّر المسلم الذي يعتقد أنّ الكون وما فيه مسخّر لخدمة

(1) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2015.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء12، ص1953.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1263.

الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(الإسراء/70)، ناهيك عن حرصه الشّديد على حسن العلاقة بمن يحيط به من البشر: برّ الوالدين وحسن الجوار، واحترام الكبير...

وفي قوله:

85- « كَانَ اللهُ –سُبْحَانُهُ- يَقُصُّ عَلَى نَبِيّهِ الكرِيمِ قِصّةَ أخٍ لهُ كرِيمٍ –يُوسُف بنِ يَعْقُوب بنِ إسْحَاق بنِ إبْرَاهِيم- عَليْهِم صَلَوَاتُ اللهِ وسَلامُهُ أجْمَعِينَ – وهُوَ يُعَانِي صُنُوفًا مِنَ المحَنِ والابْتِلاءَاتِ »[1].

اعترض بين الحال وصاحبها بأكثر من جملة، فاعترض بالبدل " يوسف بنِ يَعْقُوب بنِ إسْحَاق بنِ إبْرَاهِيم" من المبدل منه "أخ له كريم"، وتبعته الجملة الدعائية لأنبياء الله، وتوظيف الاعتراض –هنا- أقلّ توفيقا في غيره من المواضع، إذ يؤدي إلى إطالة الجملة من دون زيادة تذكر في المعنى، بل ألبسها شيئا من الغموض، فيشكل علينا تحديد صاحب الحال في " وهو يعاني" دون زيادة تذكر في المعنى. أمحمد أم يوسف؟ لولا أنّ المعاناة مشتركة بينهما، وأن إثباتها ليوسف (عليه السلام) هو تثبيت لقلب محمد (صلى الله عليه وسلّم).

وفي قوله:

86- « وهَكَذَا يَبْدُو هَذَا القَوْلُ – بهَذَا التّأكِيدِ المنْبِئِ عَنِ الإصْرَارِ- نَابِيًا مُثِيرًا للاسْتِنْكارِ لأنّهُ يَنْبَعِثُ مِنْ غَيْرِ مَوجِبٍ»[2].

أراد أن يذكر شيئا من مواصفات هَذَا القول؛ ليهيّئ المتلقي لأنْ يتقبّل ما سيصدر من أحكام قاسية بَعْدَ ذلك.

(1) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء12، ص1950.

(2) – في ظلال القرآن: مجلد2، جزء06، ص876.

وفي قوله:

87- « ويَقِفُ الرّسُولُ -رَسُولُهُمْ عَلَيهِ السّلامُ- مُرْتَقِبًا مَا سَيَقَعُ، مُؤْتَمِرًا بِأمْرِ رَبِّهِ في الاصْطِبَارِ عَلَيْهِمْ حَتّى تَقَعُ الفِتْنَةُ ويَتِمُّ الامْتِحَانُ.. »[1].

في هذا المثال جاء الاعتراض مزدوجا بين الحال وصاحبها، حيث أعيد صاحب الحال المعرف بـ"ال" مضافا إلى الضمير المتّصل "هم"، حتى لا يُفهم منه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأتبعه بالجملة الدعائية "عليه السلام" قبل أن يذكر الحال المتعددة بدورها. والاعتراض الأول هنا أقرب إلى بدل الكل من الكل منه إلى الاعتراض.

ح – الاعتراض بين البدل والمبدل منه

يأتي الاعتراض بين البدل والمبدل منه[2] في عبارة قصيرة تتضمن تعليق الكاتب على المضمون الذي يسوقه، مثل قوله:

88- « ثُمَّ تَنْتَهِي إلَى المَبَاغَتَةِ في الخَاتِمَةِ -كَمَا بُوغِتَ بهَا بَنُو إسْرَائِيل- انْتِفَاضُ الميّتِ مَبْعُوثًا نَاطِقًا، عَلَى ضَرْبَةٍ مِنْ بَعْضِ جَسَدٍ لِبَقَرَةٍ بَكْمَاء مَذْبُوحَةٍ، ليْسَ فِيهَا مِنْ حَيَاةٍ ولا مَادَةِ حَيَاةٍ! »[3].

العبارة "انتفاض الميت مبعوثا ناطقا" أبدلت من "المباغتة في الخاتمة"، لتدل على أن هذه المباغتة إذا كانت مثيرة لمن يقرأ القصة، فهي أكثر إثارة لمن عايش أحداث القصة في زمانها.

89- « أفَأَمِنَ أهْلُ القُرَى -وتِلْكَ سُنّةُ اللهِ في الابْتِلاءِ بِالضّرّاءِ والسّرّاءِ، والبَأسَاءِ والنّعْمَاءِ، وتِلْكَ مَصَارِعُ المكَذّبِينَ السّادِرِينَ، الّذِينَ كانُوا قَبْلَهُمْ يَعْمُرُونَ هَذِهِ القُرَى ثمَّ تَرَكُوهَا فَخَلَفُوهُمْ فِيهَا- أفَأمِنُوا أنْ يَأتِيَهُمْ بَأسُ اللهِ في غَفْلَةٍ مِنْ غَفَلاَتِهِمْ »[1].

(1) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء27، ص3432.

(2) – ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص661.

(3) – في ظلال القرآن: مج1، جزء1، ص80.

أبدلت العبارة " أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله..." من العبارة "أفأمن أهل القرى" لما فصل بينهما باعتراض طويل يذكر بسنة الله في خلقه، ومن شأن ذلك أنْ يُنسِي الملتقي فيما سبق من الكلام، فأعاد الفعل مع همزة الاستفهام، وأضمر الفاعل تجنبا لثقل التكرار. ولكنّ الجملة المعترضة بيّنت مصير هؤلاء القوم وهو الهلاك.

طـ – الاعتراض بين المستثنى والمستثنى منه

إذا كان الاعتراض فصلاً بين المتلازمات، فإنّ "سيدًا" لم يستثن أسلوب الاستثناء على الرّغم من الارتباط بين المستثنى والمستثنى منه في أداء المعنى، ومن أمثلته:

90- « والقَلْبُ الّذِي ذَاقَ هَذَا المذَاق لا تَبْلُغُ الشّدَائِدُ مِنْهُ –مَهْمَا بَلَغَتْ– إلاّ أنْ يَتَعَمَّقَ اللّمْسُ والمشَاهَدَةُ والمذَاقُ! ولا نمْلِكُ أنْ نَزِيدَ »[2].

اعترض بالعبارة "مهما بلغت" في السّياق قبل أن يذكر "إلاّ" وما تأتي به من تحديد للمعنى. وعبارة الاعتراض تحمل نبرة التحدّي، إذ إنّ أعلى ذروة تبلغها هذه الشدائد هي الموت، وإنّ المؤمن إذا ذاق حلاوة الإيمان تمنّى الموت ليلتحق بمن يحبّ (الله)، فأسقط ما عاناه يوسف (عليه السلام) على حياته الخاصة؛ لاسيما أنّه خبر مرارة العذاب كما خبر حلاوة الإيمان.

وقوله:

91- « فلاَ تَتِمُّ العِبْرَةُ بهَا –كَمَا لا يَتِمُّ التّنْسِيقُ الفَنِيُّ فِيهَا– إلاّ بِأنْ يُتَابِعَ السِّيَاقُ خَطوَاتِ القِصّةِ ومَرَاحِلَهَا حَتَّى نِهَايَتِهَا »[3].

أراد أن يذكر بأنّ تمام العبرة في القصة مرتبط بمتابعة مراحلها كلّها، وكذلك التنسيق الفني فيها؛ لا يتم ولا يحكم عليه إلا من خلال عرض الأحداث مجتمعة من

(1) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1340.

(2) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2026.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء13، ص2037.

أولها إلى آخرها، فالاعتراض جاء ليدعّم الفكرة السّابقة ويؤكدها.

وفي قوله:

92- « ومَا يُمْكِنُ أنْ يَمْضِي المؤْمِنُونَ في طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إلَى رَبِّ العَالمِينَ - عَلَى مَا يَنْتَظِرُهُمْ فِيهَا مِنَ التّعْذِيبِ والتّنْكِيلِ - إلاّ بِمِثْلِ هَذَا اليَقِينِ بِشَقَيْهِ »[1].

إنّ طريق الدعوة إلى الله ليست ذلولا، وقبل أن يذكر السلاح الوحيد الذي يتسلح به الدّعاة، ذكر بعضا ممّا يتعرّضون له في سبيل ذلك.

93- « وأمَامَ ذَلِكَ التَّحَجُّر لمْ يَجِدْ إبْرَاهِيمُ -عَلَى حِلْمِهِ وأنَاتِهِ- إلاّ أنْ يَهُزَّهُمْ بِعُنْفٍ، ويُعْلِنُ عَدَاوَتَهُ لِلأصْنَامِ »[2].

تفيد عبارة الاعتراض "على حلمه وأناته" أنّ نبي الله إبراهيم -عليه السلام- لم يتسرع في الجهر بمعاداة أصنامهم، ولكن لم يكن بين يديه من حيلة أخرى لما كان عليه قومه من فكر متصلّب وعناد، وأنّ عامل الوقت -هنا- لا يغيّر في الأمر شيئا، فالعبارة تدلّ على تعاطف الكاتب مع نبي الله، ومع الدّعاة إلى الله من أمثالثه، ومهاجمته للمجتمع في إعراضه عن الدّعوة.

ي - الاعتراض بين المنعوت والنعت

اعترضت الجملة الفعلية بين المنعوت ونعته[3]، في قوله:

94- « ولقد ينظر بعض النّاس فيرى أمماً -يقولون: إنّهم مسلمون- مضيّقاً عليهم في الرّزق »[4].

فصلت الجملة الاعتراضية بين المنعوت (أممًا) والنّعت (مضيقا عليهم) لضرورة

(1) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1353.
(2) - في ظلال القرآن: مجلد5، جزء19، ص2602.
(3) - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ج1، ص450.
(4) - في ظلال القرآن: مجلد3، جزء09، ص1339.

التّذكير بأنّ المضيَّق عليهم في الرِّزق يقولون إنّهم مسلمون، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف/96).

كما اعترضت بينهما الجملة الاسمية، في قوله:

95- « وأنْ يُجَاهِرَ بِعَدَائِهِ لآلِهَتِهِمْ وعَقِيدَتِهِمْ، هُمْ وآبَاؤُهُمْ -وَهُمْ آبَاؤُهُ- الأَقْدَمُونَ!»[1].

فصل الاعتراض بين "آباؤهم" المنعوت و"الأقدمون" النعت؛ بغية التّذكير أنْ ليست لإبراهيم (عليه السلام) عداوة شخصية معهم؛ فآباؤهم هم آباؤه، ولكن مصدر العداوة هو البعد عن الحقّ.

ك – الاعتراض بين المتعاطفين:

وهناك اعتراض بين المتعاطفين المتشاركين في الحكم الواحد، سواء أكان المتعاطفان مفردين أم جملتين، ومن أمثلة النوع الأول نذكر:

96- « وفي هَذَا الافْتِتَاح يُقَرِّرُ اخْتِلافَ الطَّبيعَتَيْنِ بَيْنَ الصّلصَالِ -وهُوَ الطِّينُ اليَابِسُ الّذِي يُصَلْصِلُ عِنْدَ نَقْرِهِ، المتَّخَذُ مِنَ الطِّينِ الرَّطِبِ الآسِنِ- والنَّارِ المَوْسُومَةِ بِأَنّهَا شَعْوَاءُ سَامَّةٌ .. نَارِ السَّمُومِ.. »[2].

فصل بين الاسمين المتعاطفين لتحديد ماهية الاسم الأول حتى تتحدّد طبيعة كلّ طرف في ذهن المتلقي وهو المراد.

وقوله:

97- « إِنّهَا انْتِفَاضَةُ التَّبَرُؤِ مِنَ القَومِ -وقَدْ كَانَ مِنْهُمْ وكَانَ أخَاهُمْ- وانْتِفَاضَةُ الخَوفِ

(1) – في ظلال القرآن: مجلد5، جزء 19، ص 2602.

(2) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء 14، ص2137.

مِنَ البَقَاءِ فِيهِمْ وقَدْ اتَّخَذُوا غَيْرَ طَرِيقِ اللهِ طَرِيقًا »[1].

فُصل بين العبارتين المتعاطفتين للتذكير بصلته بهم "وقد كَانَ منهم وكَانَ أخاهم"، ليبيّن أنّ انتفاضته ليست على قومه، أو على انتمائه إليهم، ولكن لكونهم حادوا عن طريق الحقّ.

ومن أمثلة النّوع الثاني، نذكر:

98- « وسَوَاء كَانَتِ المنَاسَبَةُ هِيَ منَاسَبَةُ تَحوِيلِ القِبْلَةِ- كَمَا يَدُلُّ سِيَاقُ هَذِهِ الآيَات ومَا بَعْدَهَا- أمْ كَانَتْ منَاسَبَةٌ أخْرَى مِنْ تَعدِيلِ بَعْضِ الأوَامِرِ والتَشْرِيعَاتِ والتَكالِيف، التّي كَانَتْ تُتَابِعُ نمُوَّ الجَمَاعَةِ المسْلِمَةِ، وأحْوَالهَا المتَطوِّرَةِ »[2].

فصل بين الجملتين المتعاطفتين بجملة تربط سابقتها بسياق الكلام قبل أن يحيل إلى سياقات أخرى بالجملة اللاحقة.

إنّ القارئ لكتاب "في ظلال القرآن" لا يجد عناءً في ملاحظة ما يتمّيز به بناء أسلوب "سيد قطب" من زيادة بين العناصر المتلازمة، والتي تظهر بين الشرطتين (- -) في المدونة المعتمدة في هذا البحث.

وتوظيف أسلوب الاعتراض يتفاوت في تفسيره من سورة إلى أخرى، فيكثر في تفسير قصص بعض السّور، ويقلّ في أخرى، ويكاد ينعدم في بعضها.

الجملة الاعتراضية في تفسير آيات القصص، كشأنها في لغة العرب عموما تقوم بغرض بياني لافت للانتباه؛ وبالتالي فهي ليست وسيلة لتحسين الكلام فحسب، بل إنها من مقتضيات نظم الكلام، ولو أسقطت من سياقها، لسقط معها جزء مهم من المعنى، فهي إلى جانب كونها جزءاً من المعنى الأصلي، إلا أنها تحمل معاني فرعية أخرى، تلتحم جميعاً في تكوين معنى كلي.

(1) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء 12، ص1898.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص101.

– خلاصة:

إنّ بناء الزيادة بالاعتراض، كان بصمة تؤكد ما يتميّز به كتاب "في ظلال القرآن" من كم معرفي، لا ينحصر في التفسير – الموضوع المحوري للكتاب- بل يتعداه إلى معارف مختلفة ومتنوعة، لا يتردّد الكاتب في بثّها بين الحين والآخر، في ثنايا الكلام، بين الجمل، وحتّى بين المتلازمات، بغية تنوير القارئ بما يتهيأ له جهله به، أو بغية تخصيص الكلام وتحديده، بتراكيب قد تطول أو تقصر، لكنها تفيد وتمتع بما لا يُتوقّع.

– توظيف أسلوب الاعتراض يتفاوت في تفسيره من سورة إلى أخرى، فيكثر في تفسير قصص بعض السّور، ويقلّ في أخرى، وينعدم في بعضها.

– تنوّع بناء الاعتراض؛ إذ نجده اعترض بالكلمة الواحدة، خلافا لما يقرّه جمهور النّحاة، واعترض بشبه الجملة والجملة، واعترض أيضا بأكثر من جملة. فقد يكون الاعتراض سريعا يستغرق كلمة أو كلمتين، وقد يكون متوسطا يستغرق جملة صغرى أو شبه جملة، وقد يكون طويلا، فيستغرق سطرًا كاملاً أو أكثر من ذلك؛ فكلّما دعا المقام إلى وضع المتلقي في أجواء الفكرة، أو احتاج السّياق إلى توضيحات تسهّل إدراك الفكرة، لجأ إلى الاعتراض بما يتوافق مع هذه الحاجة.

– كما تنوّع موضع الاعتراض؛ فاعترض بين العناصر المتلازمة وغير المتلازمة؛ فوقع الاعتراض بين عناصر المركب الإسنادي من مبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، كما وقع بين المتعلقات؛ كالاعتراض بين الفعل ومتعلقه، وبين الفعل ومفعوله، وبين مفعولي الفعل المتعدي إلى مفعولين، وبين الصفة والموصوف، ووقع بين عناصر الجمل المستقلة أيضا.

– منحت الجملة الاعتراضية النص القطبي كثيرا من عناصر القوّة المعنوية، ففي اللحظة التي تتدخل فيها الجملة الاعتراضية يرتقي النص إلى درجات القوة، وبحذفها يخسر النّص الكثير من قوته. فالكاتب كان واعيا بقيمة الاعتراض التعبيرية وأثره المعنوي.

– الجملة الاعتراضية تغيير عدولي يطرأ على الجملة لنكتة، ومن دونها لا تظهر هذه الفائدة، لذلك نجد أسلوب الاعتراض يكشف لنا عن حزمة من الدلالات في نصّه؛ ونذكر منها: إبراز الأنا والآخر والوظيفة النفسية، والوظيفة التفسيرية، والوظيفة التعليلية، والوظيفة السببية، والوظيفة المكانية، والوظيفة الزمنية... فهو يحيل إلى مواضع أخرى في النّص أو خارجه حتى يضمن تتابع الأحداث، وإعطاء المعلومات الصحيحة للمخاطب باعتماده الإسناد والتكرار للإقناع والتأثير.

– يُسهم بناء الاعتراض في تكثيف المعنى، ويزيد في التّأكيد والتّفسير، والتّذكير بالتفاصيل التي يحرص على إيرادها ليضمن الإحاطة بالفكرة من كلّ جوانبها، وألاّ يترك جانبا يمكن أن يتسرّب منه الغموض أو الشّك إلى ذهن المتلقي.

– كما يُسهم في إمتاع المتلقي من خلال المفاجأة والمخالفة للمألوف، بالتأليف بين ما لا يأتلف، بالتّحولات في نسق التعبير التي لم يتوقعها، مع المحافظة على مقومات البنية الدلالية.

إضافة إلى ما يحمله هذا البناء من إيحاءات وإضافات تخصيصية أو توكيدية أو تفسيرية، ما كان المتلقي يستفيدها من البناء الأصلي من دون أن تذكر هذه الزيادة في آنها، فالاعتراض يشي –في نهاية المطاف– بالمقدرة اللغوية التّي يمتلكها سيد قطب.

فصل رابع

أسلوب "الحذف"

تأسيس

أسلوب الحذف في تفسير آيات القصص

– تأسيس:

اعتزّ الإنسان العربي بلغته، وافتخر على أقرانه بفصاحته، وازداد زهوًا وتيها لما اقترن القرآن الكريم بها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(يوسف/02)، فانطلقت دراسة اللغة العربية بناء على هذا التّشريف الذي حظيت به، لإثبات عبقريتها.

وتفطّن الدارسون منذ بدء التّأليف في العلوم اللغوية إلى ما في اللغة العربية من خصائص تجعلها تضاهي باقي لغات العالم، بل وتتميّز من كثير منها ببعض البُنى التي تسمح بتنوع أساليبها واتّساع قدراتها التّعبيرية، فيكون متكلّم اللغة العربية أمام كمّ كبير ومتنوّع من التّراكيب والجمل لا يمكن حصره، فيتصرّف في ثروته اللّغوية بقدر كبير من الحريّة، بفعل أبنية الأساليب التي خصّها "ابن جني" بباب في كتابه الخصائص وسمه بـ «باب في شجاعة العربية»، يقول في مستهله: « اعلمْ أنّ معظم ذلك إنما هو الحذف، والزّيادة، والتّقديم، والتّأخير، والحمل على المعنى، والتّحريف»[1].

هذه البُنى التّعبيرية تتيح للمتكلّم قدرا من الحرّية في التّعبير يبتعد فيها عن المعيارية الصّرفة التّي يفرضها علم النّحو، فيكتسب الكلام مسحة الإبداع والتّجديد، ومن ثمّ يتميّز متكلّم من آخر.

لقد رصد الدّارسون كثيرا من الأبنية التّي يخرج فيها الكلام عن معيارية اللغة بوصفها نظامًا، منها أسلوب الحذف.

فالحذف بناء أسلوبي تشترك فيه اللّغات الإنسانية الطبيعية، وتأخذ منه بقدر متفاوت بحسب طبيعة كلّ لغة، وسَجَّل علماء العربيّة أوّل عناية بهذه الظّاهرة مع أوّل كتاب يوضع في النّحو، حين نصّ عليه "سيبويه" في باب وسمه بـ « هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض»[2]، ليتّسع الاهتمام به بعد ذلك إلى النّحاة والبلاغيين والنّقاد

(1) – ينظر: ابن جني، الخصائص: ج2، ص243.

(2) – سيبويه: الكتاب: ج1، ص50.

الذين أفنوا أعمارهم في تقدير المحذوفات لتتماشى تأويلاتهم للكلم مع قواعد النّحو والإعراب.

ولتحديد مفهوم مصطلح " الحذف" نعرض الأساس اللّغوي والاصطلاحي له:

1. مفهوم الحذف ومسمياته

يُحدّد مفهومه اللّغوي –في معظم المعاجم– بالإسقاط والطّرح، قال "الجوهري (ت393هـ)" في معجم "الصّحاح": «حَذْفُ الشيءِ: إسقاطُه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَب الدابّة، أي أخذت. والحُذَافَةُ: ما حَذَفْتَهُ من الأديم وغيرِه ... قال يعقوب: يقال: أكلَ الطعامَ فما ترك منه حُذافَةً، واحتمل رَحْلَهُ فما ترك منه حُذافَةً. وحَذَفْتُهُ بالعصا، أي رميتُه بها. وحذفتُ رأسَه بالسّيف، إذا ضربته فقطعت منه قطعةً»[1]، وقال "ابن منظور" في "لسان العرب": « حذفَ الشيءَ يَحْذِفُهُ حَذْفًا: قَطَعَه من طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشَّعْر، من ذلك. والحُذافةُ : ما حُذِفَ من شيءٍ فَطُرِحَ...»[2]. وفي موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون: « الحذْف بالفتح وسكون الذال المعجمة في اللغة هو الإسقاط»[3]. فالحذف حسب ما نصّت عليه هذه الأقول هو الاسقاط، قد يكون لجزء الشيء، وقد يكون للشيء كلّه.

أمّا الحذف في مفهومه الاصطلاحي، فقد اختلفت تسمياته وتعدّدت، وجمع بعضها "حسن العكيلي" من مظان اللغة العربية في قوله: « عُرِّف [الحذف] بأسماء مختلفة: الاتّساع، والاختصار، والإيجاز، والاختزال، والإضمار، والتصرّف في تأليف الكلام، وشجاعة العربية، والوجازة، والاختزان»[4]. وذكر صاحب الطراز في الفصل

(1) – الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط4، 1990م. مادة [حذف] ج4 ، ص1341.

(2) – ابن منظور، لسان العرب: مجلد 4، ص65.

(3) – محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: تحقيق علي دحروج. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان. ط1، 1996م. ج1 (أ–ش)، ص631.

(4) – العكيلي (حسن منديل حسن)، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 2009م. ص104.

السّادس: « في الإيجاز والحذف، ويقال له: الإشارة أيضا»[1]، ويضاف إليه التّقدير والاستتار والتّغييب...

كما تنوّعت تعاريفه بحسب مجالات التّخصص، إذ يمكن أنْ نجد في اللّغة العربية كثيرًا من صوّر الحذف، فهناك الحذف البلاغيّ، والحذف الصّرفيّ، والعروضيّ، والإملائيّ، والنّحويّ، وما إلى ذلك.

أمّا "سيبويه" فقد أشار للحذف الصرفيّ بقوله: « اعلمْ أنّهم مما يحذفون الكلم وإنْ كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويَستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتَّى يصير ساقطًا..»[2]، وبعد ذلك يشرع في التمثيل لما ذكر من دون أنْ يورد تعريفا محدّدا للحذف.

وكذا الأمر عند "ابن جني" الذي أظهر وعيه بصوّر الحذف التّي تكتنف اللغة العربية، يقول في "باب شجاعة العربية": « قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه...»[3]، ثم يشرع في التّمثيل لكلّ صورة من صور الحذف وتقدير المحذوف، من دون أنْ يضع مفهوما محددا له.

و"عبد القاهر الجرجاني" عمّم الحديث عن الحذف فقال: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبنِ...»[4]، أشار إلى جمال الحذف وبلاغته، ووصفه من دون أن يعرّفه.

---

(1) – العلوي (يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم)، الطراز: تحقيق عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. ط1، 2002م. جزء 2، ص49.

(2) – سيبويه، الكتاب: ج1، ص50

(3) – ابن جني، الخصائص: ج2، ص243.

(4) – الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص106.

أمّا الزركشي فيعرفّه بقوله: « إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل...»[1]، فهو يشترط الدليل في كلّ حذف.

وعرّفه "بدوي طبانة" في معجم المصطلحات البلاغية قائلا: « أحد قسْمي الإيجاز، ويكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة، بل لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علوّ بلاغته، ولصار إلى شيء مُسْتركٍّ مسترذل، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرّقة»[2]. وهو مشروط عنده –كذلك- بعدم الإخلال بالمعنى.

كما يراه "أحمد عفيفي" نوعا من التّخفيف من الثّقل النّطقي للفظ، أو التّخفيف من عناصر الجملة في حال طولها[3]، ويتمثّل ذلك للناظر من خلال صوّر الإدغام، وحذف التّنوين وقفًا، والوقف على كثير من كلمات القرآن الكريم..، وهذا ما نبّه إليه "ابن جني" في كتابه[4].

ومن هذه التعريفات، يمكننا أنْ نخلص إلى أنّ الحذف النحويّ هو إسقاط ما كان موجودًا من حركة أو حرف، أو كلمة فأكثر.

وشغل الحذف الدارسين من النّحاة والبلاغيين على السّواء، فدرسه كلّ واحد حسب مجال اهتمامه والهدف المنشود من دراسته، فالنّحاة درسوه من منظور ما يصحّ وما لا يصحّ، فيُحذف ما عُدَّ من المتممات، ولا يحذف ما عدّ عمدة أو ما قام مقامه، فكانت انطلاقتهم في دراسة بناء الحذف من تحديد سيبويه لعناصر الجملة في باب "هذا باب في المسند والمسند إليه" بقوله: « وهما مما لا يستغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّم منه بدًّا...»[5]، وبناء على هذا، فإنّ اللغة المعيارية تستوجب ذكر هذه

(1) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص685.

(2) – بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: ص155.

(3) – أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي: الدار المصرية اللبنانية. ط1، 1996م. ص: 217.

(4) – ينظر: ابن جني، الخصائص: ج2، ص243 وما بعدها .

(5) – سيبويه، الكتاب: ج1، ص48.

العناصر مجتمعة. أمّا في الاستعمال فقد يُسقِط المتكلّم أحدَ العنصرين، متكئا على دلالة المقام والمقال[1]، فغالبا ما تكون البنية السطحية منقوصة على عكس ما يتجلى في ذهن المتلقي، لذلك هناك من يطلق على الحذف في الدرس اللساني تسمية "الاكتفاء بالمبنى العدمي"[2].

والبلاغيون يراعون ما يصحّ حسب قواعد النّحاة، مع شرط ألّا يؤدّي إلى الغموض والتّعمية؛ وهذا ما يقرّره عبد القاهر الجرجاني حين يستعير من سيبويه أدواته ويصرّح أنّ الحذف عند العرب لا يكون إلاّ عن دليل حالي أو مقالي؛ لأنّ التّعليل بكثرة الاستعمال وعلم المخاطب بالمحذوف هما المسوّغان اللّذان يؤديانه إلى بلاغة استعمال هذا الأسلوب[3].

أمّا الدراسات الحديثة فقد وجدت مبتغاها في الحذف، وعدّته بنية أسلوبية خلاّقة؛ لها من الإمكانات الإيحائية ما يُسهم في تجسيد أدبية النّص شعرا ونثرا على السّواء.

2. الفرق بين الحذف والإضمار

إنّ الحديث عن الحذف يستوجب ذكر اللّبس الّذي يكتّنف المصطلح في استعماله مع مصطلح الإضمار قريب الشّبه به؛ إذ كان التّنبّه لما يمكن أنْ يحدث من تداخل بين المصطلحين، يقول صاحب كتاب: "ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي": «والواقع أنّ المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النّحاة ابتداء من سيبويه، ولا توجد تفرقة دقيقة تراعى في استعمالهما باستثناء إضمار الفاعل الذي لا يسمونه حذفا، وسيبويه يتكلّم في مواضع كثيرة عن الحذف في الأسماء والأفعال، وعن الإضمار في

(1) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص313.

(2) – روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء: ترجمة تمام حسان. عالم الكتب، القاهرة، مصر. ط1، 1998م. ص340.

(3) – الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص112.

الأفعال بحيث لا يتبين من استعماله تفرقة بينهما»[1].

وقال "الزركشي": « الفرق بينه وبين الإضمار: أنّ شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو: ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَّشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإنسان/31]، ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ﴾[الأحزاب/24]، ﴿ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمُ ﴾[النساء/171] ... وهذا لا يشترط في الحذف، ويدل على أنه لابد في الإضمار من ملاحظة المقدر باب الاشتقاق، فإنه من أضمرت الشيء أخفيته ... وأما الحذف فمن حذفت الشيء قطعته وهو يشعر بالطرح، بخلاف الإضمار، ولهذا قالوا: "أنْ" تنصب ظاهرة ومضمرة »[2].

وفي السّياق نفسه يقول "الكفوي(ت1094هـ)": « والحذف إسقاط الشيء لفظا ومعنى. والإضمار إسقاط الشيء لفظا لا معنى »[3].

لكن هذا لا يعفي هذا التعريف من الغموض في المفهومين، إذ يُستفاد من تعريف "الكفوي" أنّ الإضمار ينوى فيه المحذوف، والحذف لا ينوى فيه المحذوف، لكنه ما دام مقرراً فلا بد أن يكون منوياً، ومن ثمّ يستويان في وجوب التقرير ولا يظهر وجه التفرقة بينهما.

وأمّا "محمد عبد المطلب" فله فهم آخر للموضوع حين يقول: « ويبدو أنّ الفكر البلاغي لم يتعامل مع هذه الظاهرة على نحو مزدوج تنفيذيا، على معنى تصوّر وجود المسند إليه أوّلا، ثم حذفه ثانيا، بل التّصوّر قائم على خلفية مثالية في الوعي اللغوي عموما، ثم مجيء التركيب مخالفا لها بإسقاط المسند إليه ابتداء»[4]. وقد بنى "محمد عبد

(1) – طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: الدار الجامعية للطباعة والنشر، الأسكندرية، مصر. 1998م. ص20.

(2) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص685.

(3) – الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني)، الكليات– معجم في المصطلحات والفروق اللغوية–: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط2، 1998م. ص384.

(4) – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى: ص216.

المطلب" هذه الفكرة على أساس « أنّ (الغياب) يساوي (العدم) كان سابقا على (الحضور)...»[1]، ويقابل بها التبرير السائد الذي بنى عليه علماء البلاغة رأيهم؛ من أنّ الذكر هو (الأصل)، والأصل مقدّم على الفرع.

ولذا يكون التفريقُ الإجرائي بين الحذف والإضمار، في أنّ الإضمار هو الاستتار الذي يختص بالضمائر، وأنّ الحذف يكون في أي جزء آخر من أجزاء الجملة.

3. القيمة الأسلوبية للحذف

إنّ أهمية بناء أسلوب الحذف تكمن في إثارة الذّهن للبحث عن العنصر المحذوف، سواء كان جملة أم كلمة أم حرفاً أم حركة، وهي مهمة تقع على عاتق المتلقي، الأمر الذي يحدّد القصد والغاية من الحذف، وهذه السّمة المهمّة التي تتبناها الدراسات السّردية الحديثة، يكون القرآن الكريم قد أصّلها بشكل دقيق بحضورها فيه[2].

فانصراف ذهن المتلقي إلى تقدير المحذوف لأجل أنْ يُفهم النّص بشكل أفضل، هو ما تدعو إليه الحداثة التّي ترمي إلى إشراك المرسل والمرسل إليه معا في النصِّ[3]. وفي هذا السّياق يقول "عبد السلام المسدي": « ... فستاندال (Stendhal) يشير إلى أنّ جوهر الأسلوب كامن فيما تُضفيه على الفِكَرِ بما يُحَقِّق كلّ التأثير الذي صيغت من أجله، ويتبنى فلوبير نفس المنحى إذ يعرّف الأسلوب بأنّه سَهْمٌ يرافق الفكرة وَيَخِزُ متقبِّلها»[4].

إنّ أسلوب الحذف يسعى إلى السّمو بالمتلقي، بأن يجعله متلقياً على درجة عالية من الفهم؛ بحيث لا يكتفي بالحاضر، بل يبحث عن الغائب، ويقدّر المحذوف تقديراً صحيحًا لأجل أنْ يصل إلى ما يختفي في عمق النّص، فتتحرك ردود أفعاله تجاه النّص،

(1) – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى: ص216.

(2) – شارف مزاري، مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية: منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م. ص190.

(3) – المرجع نفسه: ص90.

(4) – عبد السلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب: ص82.

وتجاه تقبّله وفهمه، من بعد إعمال الفكر وتدقيق النّظر. ويعبّر "محمد عبد المطلب" عن ذلك قائلا: « إنّ الحذف يؤدي بالضرورة إلى دخول (المحذوف) دائرة الإبهام، وهو ما يؤدي إلى حصول ألم للنّفس لجهلها به، فإذا التفتت إلى القرينة تفطّنت له، فيحصلُ لها اللّذة بالعلم، واللّذة الحاصلة بعد الألم، أقوى من اللّذة الحاصلة ابتداء »[1].

أما "مصطفى السّعدني" فيرى أنّ للحذف وظيفة مزدوجة،؛ حيث يظهر الشقّ الأول في الإيحاء بأنْ ينشّطه ويقويه، أما الشقّ الثاني فيتعلق بتنشيط خيال المتلقي[2]، وهذا « فضلا عن فلسفته الكامنة في خلافية الحضور والغياب أو النطق والصمت، فالمباينة بين كلا الطرفين تعمل على استدعاء الغائب للحاضر كما يستدعي الحاضر الغائب.»[3].

إنّ العامل الأساس في كشف جمال أسلوب الحذف، هو العقل الفطن والحسّ المرهف وإدراك ما ينطوي عليه من أسرار بلاغية.

ولعل علماء البلاغة القدامى حين تحدّثوا عن بناء أسلوب الحذف، كانوا واعين بالخطاب البلاغي ومكوناته، والاستعمالات التي ينبغي أنْ يتّصف بها في أشكالها الحقيقية والمجازية، حيث أمعنوا النّظر في مفهوم التغيير التركيبي المعياري؛ واتجهوا فيه اتجاهاً جمالياً حين اهتموا بالعلاقات الإسنادية المتبادلة.

إنّ بناء النقص بالحذف في اللغة العربية يقوم على عدّة أسباب، وتبعاً لهذه الأسباب تعددت أنواعه، وقد أشار "السيوطي" إلى أهمّها حين خصّص فصلا لأنواع الحذف[4]، على النحو الآتي:

---

(1) – محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى: ص221.

(2) – مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث: منشأة المعارف، الاسكندرية. 1998م. ص139.

(3) – المرجع نفسه: ص139.

(4) – السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، الإتقان في علوم القرآن: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان. 1988م. ج3، ص180.

-**الاقتطاع**: « وهو حذف بعض حروف الكلمة»[1]، ومن أمثلته حذف همزة "أنا" في قوله تعالى: ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللّهُ رَبِّي ﴾[الكهف/38]، إذ الأصل فيها "لكن أنا"، فحذفت الهمزة في "أنا" للتخفيف وأدغمت في النون.

-**الاكتفاء**: « وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة»[2]، ونصّ على أنّ هذا النّوع يختص في غالب الأحيان بالارتباط العطفي، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحرّ ﴾[النحل/81]، والتقدير "الحرّ والبردّ، ولكن خُصّ الحرّ بالذّكر دون البرد، والوقاية منه أهمّ عند العرب الذين وُجه إليهم الخطاب.

-**الاحتباك**: « وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول»[3]، ومن الأمثلة التي ساقها، قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ﴾[البقرة/171]، وتقدير المحذوف: تدخل غير بيضاء، وأخرجها تخرج بيضاء، فحذف من الأول "غير بيضاء" ومن الثاني "وأخرجها".

على أنّ الحذف لا يتمّ إلاّ إذا استوفت الشروط التي فصّل فيها العلماء، ونجملها فيما اعتمده جمهور النّحاة، والتي جعلها ابن هشام ثمانية شروط[4]، هي:

1. وجود دليل حالي أو مقالي، حتى يكون اللّبس مأمونًا، يطلق عليهما "ابن هشام": دليل الحذف غير الصناعي[5].
2. ألا يكون ما يحذف أصلا.
3. ألا يكون ما يحذف مؤكداً، لأنَّ الغرض من الحذف التخفيف والاختصار.
4. ألا يؤدي إلى اختصار المختصر، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله؛ لأنّه

(1) – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج3، ص180-181.
(2) – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج3، ص181.
(3) – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج3، ص182.
(4) – ابن هشام، مغني اللبيب: ج2، ص692-700.
(5) – ابن هشام، مغني اللبيب: ج2، ص694.

اختصار للفعل.

5. ألا يكون عوضًا عن شيء.

6. ألا يؤدي حذفه إلى تقوية العامل الضعيف، مع إمكان إعمال العامل القوي، فلا يحذف الضمير في: زيدٌ ضربته؛ لأنه يؤدى إلى إعمال المبتدأ وإهمال الفعل مع أنه أقوى.

7. ألا يكون عاملا ضعيفًا، فلا يحذف الجار والجازم والناصب للفعل إلا في مواضع قويت فيها الدلالة، وكثر فيها استعمال تلك العوامل.

8. ألا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل.

ثم تُفصّل الدّراسة القول في هذه الشّروط بتفصيل جميل.

4. صور الحذف

للحذف صور متعدّدة تتنوّع بحسب أنواع المحذوفات التي تكون عند النّحاة مبوّبة إلى عمدة وفضلة، وعند البلاغيين مبوّبة إلى مسند أو مسند إليه أو متعلّق، وعند الأسلوبيين مبوّبة إلى محركات وواصلات[1]، وخير من فصّل فيها وصنّفها يحي العلوي في كتاب الطراز[2]. وبذلك تتمظهر صور الحذف في: حذف المبتدأ، وحذف الخبر، وحذف الفعل، وحذف المفعول، وحذف المتعلق...

(1) – الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات: ص303.

(2) – العلوي، الطراز: ج2، ص49-64.

- أسلوب الحذف في تفسير آيات القصص

إذا جئنا إلى تفسير آيات القصص في "الظلال"، لنرصد مواضع الحذف وصوّره، وجدنا أنّ هذا البناء الأسلوبي وظّفه الكاتب بشكل قصدي وواضح عن طريق حذف عنصر من التركيب أو أكثر، ويتمظهر في صوّر شتى، فقد يحذف الفاعل أو المفعول به أو المضاف أو اسم الموصول أو الصفة أو حرف الجر، وقد يحذف تركيبًا كاملًا أو جزءًا منه أو متعلّقًا.

وبناء الحذف الذي يعنينا —هنا- هو الحذف الذي ينمّ عن اختيار أسلوبي، يجنح إليه الكاتب ليوصل مراده وفق طريقة يرتضيها.

والمحذوف —عند سيد قطب- يفهم من خلال السياق أو من خلال وجود قرينة تدل عليه، كما سيتبين فيما يأتي.

أ. حذف المبتدأ

إنّ المبتدأ أحد ركني التركيب الإسنادي، وهو عمدة إلاّ أنّ النّحاة أجازوا حذفه في مواضع عدّة، وحدّدوا شروطًا لذلك[1].

وقد شكّل حذف المبتدأ بناءً أسلوبيا من أبنية نصوص تفسير القصص، فحُذف في مواضع متنوعة، من دون أنْ يخلّ ذلك بالمعنى لمرافقته بقرينة مقالية تسهّل على القارئ الفهم، وقد سعى إلى تحقيق أغراض مختلفة:

فمن صور الحذف في المبتدأ، قوله:

1- « ... ويَكْشِفُ لهُمْ عَنْ حَقِيقَةِ الحيَاةِ الدّنْيَا: (إنمَا هَذِهِ الحيَاة الدّنْيَا مَتَاع).. مَتَاعٌ زائلٌ لا ثبَاتَ لَهُ ولا دَوامَ »[2].

(1) - طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ص115 وما بعدها.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد5، جزء 24، ص3082.

بنى " سيد " التركيب على ما ورد في الآية المفسّرة، فحذف المبتدأ لفظ (الحياة الدنيا) بحيث لا ينصرف ذهن المتلقي إلا إليه. وهذا دليل على تأثره بالأسلوب القرآني تأثرًا عميقا.

وهذا الضرب من البناء كثير في كلام العرب، يقول الجرجاني: « ومما اعتيد فيه أن يجيء خبرًا قد بني على مبتدإ محذوف قولهم بعد أنْ يذكروا الرّجل: فتى من صفته كذا وأغرّ من صفته كيت وكيت...»[1].

ومن ذلك القبيل قوله:

2- « تَبْدَأُ السّورَةُ بِتَسْبِيحِ اللهِ، أَلْيَقُ حرَكَةٍ نَفْسِيّةٍ تَتّسِقُ مَعَ جَوِّ الإسْرَاءِ اللطِيفِ، وأَلْيَقُ صِلَةٍ بَيْنَ العَبْدِ والرَّبِّ في ذَلِكَ الأُفُقِ الوَضِيءِ»[2].

حذف المبتدأ -هنا- لأنّ تقدير الكلام مفهوم ضمنا، أنّه يعود على "تسبيح الله"، والتّقدير: "هو أليق حركة نفسية..، وهو أليق صلة بين العبد وربه.."، فلا حاجة لأنّ يذكر المبتدأ لأنّه معلوم، وإعادة ذّكره لن يضيف شيئا جديدا للمعنى.

ومثله قوله:

3- « هَذِهِ هِيَ إِشَارَةُ البَدْءِ في القِصَّةِ وإعْلاَنِ الافْتِتَاحِ. خَبَرٌ تَقْرِيرِيٌّ عَنْ أبْرَزِ النِّعَمِ التّي أنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَى دَاودَ وسُلَيْمَانَ - عليهما السّلام- نِعْمَةِ العِلْمِ...»[3].

حذف المبتدأ الذي يعود إلى "إشارة البدء في القصة" المذكورة في بداية السّورة. ونلاحظ أنّ هذا البناء الأسلوبي يجنح إلى الحذف والتقدير، ويعتمد على جهد تأويليّ يستدعي البحث في المقدّر والغائب، بناء على القرائن المقالية التي تومئ إليه وتدل عليه[4]. ويكون بذلك قد ابتعد عن إطالة تُفسد جمال الأسلوب، وأضفى على النّص

(1) - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص108.

(2) - في ظلال القرآن: مجلد4، جزء 15، ص2211.

(3) - في ظلال القرآن: مجلد5، جزء 19، ص2633.

(4) - حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية: ص259.

صفة الإيحاء التي تثير المتلقي وتشدّ انتباهه.

وقوله أيضا:

4- « (قَالُوا: أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا؟ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ!).. سُوءُ الظَّنِّ وعَدَمُ الفَهْمِ، والتَّحَدِّي لِلنّذِيرِ، واسْتِعْجَالُ العَذَابِ الذِّي يُنْذِرُهُمْ بِهِ، والاسْتِهْزَاءُ والتّكْذِيبُ. وإِصْرَارٌ عَلَى البَاطِلِ واعْتِزَازٌ! »[1].

تكرّر حذف المبتدأ في التراكيب المتتالية، وتقدير المحذوف "هو"، يعود على القول الوارد في الآية القرآنية، فلم تكن هناك حاجة لإعادته. وهذا الصّنف من البناء مطّرد في كلام العرب، يقول عبد القاهر الجرجاني: « ومن المواضع التي يطّرد فيها حذف المبتدأ القطعُ والاستئناف يبدأون بذكر الرّجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما آخر وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ..»[2].

ومن أمثلته كذلك، قوله:

5- « (قَالَ: أنَا يُوسُفُ. وَهَذَا أَخِي. قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا. إِنّهُ مَنْ يَتّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يَضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِينَ).. مُفَاجَأَةٌ! مُفَاجَأَةٌ عَجِيبَةٌ. يُعْلِنُهَا لهُمْ يُوسُفُ ويُذَكّرُهُمْ في إِجْمَالٍ بِمَا فَعَلُوهُ بِيُوسُفَ وأَخِيهِ في دفْعَةِ الجَهَالَةِ .. ولا يَزِيدُ..»[3]. والتقدير: "هي مفاجأة".

وقوله:

6- «.. حَبّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ. صَغِيرةٌ ضَائِعَةٌ لا وَزْنَ لهَا ولا قِيمَة (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ).. صَلْبَةٌ مَحْشُورَةٌ فِيهَا لا تَظْهَرُ ولا يَتَوَصّلُ إِلَيْهَا... (أَوْ فِي الأَرْضِ) ضَائِعَةٌ فِي ثَرَاهَا وَحَصَاهَا لا تَبِينُ. (إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)..تَعْقِيبٌ يُنَاسِبُ المشْهَدَ الخَفِيَ اللطِيفَ »[4].

حذف المبتدأ الذي ذكر قبل العديد من التراكيب، والكاتب يعوّل على ذاكرة

(1) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء 26، ص3266.

(2) – الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص107.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد4، جزء 13، ص2027.

(4) – في ظلال القرآن : مجلد5، جزء 21، ص2789.

المتلقي وتركيزه في تقدير المحذوف، والمقام مقام تدبّر ويقتضي منه حضور الفّكر ونشاطه.

ومن صور الحذف في المبتدأ الحذف عند التكرار دون استعمال حرف العطف، ومن ذلك، قوله:

7- « ... فَهُوَ مُعَجَّلٌ إِلَى تَبْشِيرِهِ. مُعَجَّلٌ إلى لِقَائِهِ. مُعَجَّلٌ إلى كَشْفِ مَا عَلِقَ بِقَلْبِهِ مِنْ حُزْنٍ، وَمَا أَلَمَّ بِجِسْمِهِ مِنْ ضَنَى، وَمَا أَصَابَ بَصَرَهُ مِنْ كَلاَلٍ...»[1].

حذف المبتدأ لأنّه يتكرّر في أكثر من تركيب، ويُؤْمَن مع حذفه اللّبس بحيث لا ينصرف ذهن المتلقي إلى غيره، وتحصل الفائدة، كما يؤدي إلى الاختصار في التّعبير.

ومن صوره –كذلك– عند التكرار مع استعمال حرف العطف، قوله:

8- « والقُرْآنُ كِتَابُ دَعْوَةٍ، و دَسْتُورُ نِظَامٍ، و مَنْهَجُ حَيَاةٍ، لا كِتَابَ رِوَايَةٍ ولا تَسْلِيّةٍ ولا تَارِيخ..»[2].

حذف المبتدأ (القرآن) الذي يتكرّر في تراكيب متتالية بعد العطف، والتقدير: "والقرآن دستور نظام، والقرآن منهج حياة"، لأنّ العطف يغني عن الذكر.

وقد وظّف (سيد) هذا الضرب من البناء بكثرة في الظلال، ومن أمثلته البارزة قوله:

9- « ... وهِيَ الكَلِمَةُ الفَاصِلَةُ، و اليَقِينُ الجَازِمُ، و الاتجَاهُ الأخِيرُ.. فَلا تَرَدُّدَ بَعْدَ ذَلِكَ ولا حَيْرَةً فِيمَا تَجَلّى لِلْعَقْلِ مِنْ تَصُوّرٍ مُطَابِقٍ لِلْحَقِيقَةِ التِّي فِي الضَّمِيرِ »[3].

والتقدير: " وهِيَ الكَلِمَةُ الفَاصِلَةُ، وهي اليَقِينُ الجَازِمُ، وهي الاتجَاهُ الأخِيرُ.." فالضمير "هي" يعود على الكلمة التي قالها إبراهيم: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ

(1) – في ظلال القرآن : مجلد4، جزء 13، ص2027.

(2) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء 1، ص55.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد2، جزء7، ص1141.

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام/78-79).

ومنه أيضا قوله:

10- « فَهُوَ الإِصْرَارُ المطْلَقُ عَلَى الشَّرِّ، و التَّصْمِيمُ المطْلَقُ عَلَى الغِوَايَةِ..»[1].

11- « اعْتِرَافٌ بالخَطِيئَةِ، و إقْرَارٌ بالذّنْبِ، و تَقْرِيرٌ لما يَرَوْنَهُ مِنْ إِيثَارِ اللهِ لَهُ عَلَيْهِمْ بالمكَانَةِ والحِلْمِ والتّقْوَى والإحْسَانِ. يُقَابِلُهُ يُوسُفُ بالصَّفْحِ والعَفْوِّ وإنْهَاءِ الموْقِفِ المخْجِلِ. شِيمَةُ الرّجُلِ الكَرِيمِ »[2].

وتقدير المحذوف "هو" الذي تجنب تكراره مع الخبر في تراكيب متتالية، وأدى الخبر المراد.

12- « إِنَّ السِّمَاتِ الرّئِيسِيّةَ لِطَبِيعَةِ إِسْرَائِيل تَبْدُو وَاضِحَةً فِي قِصَّةِ البَقَرَةِ هَذِهِ: انْقِطَاعُ الصّلَةِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وذَلِكَ النّبْعُ الشّفِيفُ الرّقْرَاقُ: نَبْعُ الإيمَانِ بالغَيْبِ، والثِّقَةُ بِاللهِ، والاسْتِعْدَادُ لتَصْدِيقِ مَا يَأتِيهِمْ بِهِ الرّسُلُ. ثُمّ التّلَكّؤُ فِي الاسْتِجَابَةِ للتَكالِيفِ، وتَلَمُّسُ الحُجُجِ والمعَاذِيرِ، والسُّخْرِيَّةُ المنْبَعِثَةُ مِنْ صَفَاقَةِ القَلْبِ وسَلاَطَةِ اللسَانِ!»[3].

ففي الجزء الأول من النص حذف المبتدأ "انقطاع" بعد حرف العطف، والجزء الثاني من النص حذف المبتدأ المقدر بـ"سمة" لأنه بصدد تعداد السّمات الرئيسية لطبيعة إسرائيل التي تستشف من أحداث في قصة البقرة.

13- « فَهُوَ الإِصْرَارُ المطْلَقُ عَلَى الشّرِّ، و التَّصْمِيمُ المطْلَقُ عَلَى الغِوَايَةِ . . وبِذَلِكَ تَتَكَشَّفُ هَذِهِ الطّبِيعَةُ عَنْ خَصَائِصِهَا الأولَى . .»[4].

(1) – في ظلال القرآن : مجلد3، جزء8، ص1266.
(2) – في ظلال القرآن : مجلد4، جزء 13، ص2027.
(3) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص77.
(4) – في ظلال القرآن: مجلد3، جزء8، ص1266.

وهذا الحذف يدخل في باب ما يسميه علماء البلاغة الاحتراز عن العبث[1]، فالقرينة تدل على المحذوف، والتقدير "وهو التصميم"، ويكون ظهوره عبثا ويقلّل من القيمة الأسلوبية للعبارة، ذلك أن الجملتين معطوفتان، والمبتدئين مشتركان في الحكم[2].

وعلى المنوال ذاته:

14- « إنَّهُ لمْ يَسْجُدْ شُكْرًا كَمَا يَسْجُدُ رِجَالُ الحَاشِيَةِ المتَمَلِّقُونَ للطّوَاغِيتِ. ولمْ يَقُلْ لَهُ: عِشْتَ يَا مَوْلاَيَ وَأَنَا عَبْدُكَ الخَاضِعُ أوْ خَادِمُكَ الأمِينُ، كَمَا يَقُولُ المتَمَلّقُونَ للطّوَاغِيتِ!»[3].

هنا تبدو نبرة "سيد" حادة ولهجته عالية، حتى إنّه ليسوّي المبتدأ بالخبر.

وقد يحذف المبتدأ في تراكيب متتالية، مع توظيف حرف العطف مرّة والاستغناء عنه مرّة أخرى، من ذلك قوله:

15- « ولَكِنّ المفَاجَأَة البَعِيدَة تَقَعُ، وتَتْبَعُهَا مُفَاجَأَةٌ أُخْرَى: (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا) .. مُفَاجَأَةُ القَمِيصِ. وهُوَ دَلِيلٌ عَلَى يُوسفَ وقُرْبِ لُقْيَاهُ. ومُفَاجَأَةُ ارْتِدَادِ البَصَرِ بَعْدَ مَا ابْيَضّتْ عَيْنَاهُ...»[4].

فنوّع في الأسلوب بحذف المبتدأ "المفاجأة" دون عطف "مفاجأة القميص"، وجاء الحذف في التركيب الثاني و"مفاجأة ارتداد البصر" بعد حرف العطف، لأنّه بصدد تعداد المفاجئات التي وقعت لـ "يعقوب".

16- « فهُوَ الاتجَاهُ إلى فَاطِرِ السّمَاوَاتِ والأرْضِ. الاتجَاهُ الحَنِيفُ الذي لا يَنْحَرِفُ إلى الشِّرْكِ. وهيَ الكلِمَةُ الفَاصِلَةُ، و اليَقِينُ الجَازِمُ، و الاتجَاهُ الأخِيرُ.. فَلا تَرَدّدَ بعدَ ذلِك

(1) – ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: ص39. ومحمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص232.
(2) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص225.
(3) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء 13، ص2005.
(4) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء 13، ص2028.

ولا حَيْرَةَ فِيمَا تجَلَّى للعَقْلِ مِنْ تَصوُّرٍ مُطابِقٍ للحَقِيقَةِ التّي في الضّمِيرِ »[1].

نوّع –هنا– أيضا في التعبير؛ بحيث حذف المبتدأ (هو) الذي تكرّر دون عطف، ثمّ حذفه بعد العطف، ولم تكن هناك خشية اللبس في تقدير المبتدأ الأول والثاني لأنّه يلتزم بالقاعدة بأنْ يذكر ثم يحذف. وهنا غاية أخرى من الحذف وهي تجنّب التكرير في الكلمة والجملة.

ب. حذف الفعل

يحذف الفعل في الجملة العربية على الرّغم من كونه عمدة، ويكون حذفه واجبا في بعض الأحيان لارتباطه بأساليب دأب المتكلّمون فيها على حذف الفعل وفاعله، ولا يجوّز النّحاة إظهاره[2]، كما هي الحال في أسلوب النّداء والقسم والمدح والذم والإغراء والتحذير والتخصيص...

ويكون حذف الفعل جائزا في أحيان أخرى، ولا يوجد مانع من ذكره، قال سيبويه في باب "ما يضمر فيه الفعل المستعمَل إظهارُه بعد حرف": « وذلك قولك: "الناس مجزيُّونَ بأَعمالهم، إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌ". و: "المرءُ مقتولٌ بما قَتَلَ به، إنْ خِنْجَرًا فخنجرٌ وإن سيفًا فسيفٌ»[3]، ثم يعلّق على ذلك قائلا: « وإن شئتَ أظهرتَ الفعلَ فقلت: "إنْ كان خِنْجَرًا فخنجرٌ وإنْ كان شرًّا فشر»[4].

يُكثر "سيد" من حذف الفعل بعد العطف اقتفاءً لما فَصُح من القول، ومن أمثلته، قوله:

17- « وهيَ مَلَكَةٌ يَتَأَتَّى مَعَهَا وَضْعُ الأمُورِ في مَوَاضِعِهَا الصَّحِيحَةِ، وَوَزْنُ الأمُورِ

(1) – في ظلال القرآن: مجلد2، جزء7، ص1141.

(2) – ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ص 253.

(3) – سيبويه، الكتاب: ج1، ص312.

(4) – المرجع نفسه: ج1، ص312.

بمَوَازِينِهَا الصّحِيحَةِ، وإدْرَاكُ غَايَاتِ الأَوَامِرِ والتّوْجِيهَاتِ..»[1].

حذف الفعل (المسند) "يتأتى" مع متعلقه (معها) بعد العطف في التركيب الثاني والثالث، والتقدير: "يتأتى معها وزن الأمور..، ويتأتى معها إدراك غايات الأوامر..."، لتشترك هذه الفواعل في حكم واحد.

وقوله:

18- « ويَبْدُو في طَرِيقَةِ تَنَاوُلِ يُوسُفَ للحَدِيثِ لُطْفُ مَدْخَلِهِ إلى النُّفُوسِ، وكِيَاسَتُه وتَنَقُّلُهُ في الحَدِيثِ في رِفْقٍ لَطِيفٍ..»[2].

حذف الفعل " يبدو" ومتعلقه "في طريقة تناول يوسف للحديث" بعد عطف المسند إليه على سابقه؛ وقد حذفه احترازا من عبثية التّصريح، لأنّ السّياق يدلّ عليه، والتّقدير: "يبدو في طريقة تناول يوسف للحديث كياسته، ويبدو في طريقة تناول يوسف للحديث تنقّله في الحديث في رفق لطيف..."، ولا يخفى ما في هذه العبارة من إملال ينتج عن تكرار ما ذكر، والقرينة المقالية الأولى تغني عن التكرار، فحسُن الحذف.

وقوله في موضع آخر:

19- « ولا يَجُوزُ إذَنْ أنْ يُسْتَعْبَدَ أو يُسْتَذَلَّ لِقَاءَ تَوْفِيرِ قِيمَةٍ مَادِيَّةٍ أو شَيْءٍ مَادِيٍّ .. لا يَجوزُ أنْ يَعْتَدِي عَلَى أيِّ مُقَوِّمٍ منْ مُقَوِّمَاتِ إنْسَانِيَتِهِ الكرِيمَةِ، ولا أنْ تُهْدَرَ أيَّةُ قِيمَةٍ منْ قِيَّمِهِ لِقَاءَ تَحقِيقِ أيِّ كَسْبٍ مَادِيٍّ ، أو إنتَاجِ أيِّ شَيْءٍ مَادِيٍّ ، أو تَكثِيرِ أيِّ عُنْصُرٍ مَادِيٍّ..»[3].

نوّع الكاتب في الأسلوب بين الذّكر والحذف، فذكر الفعل "يجوز" بعد النّفي دون عطف في قوله "لا يجوز أنّ يعتدي على أيّ مقوّم، وحذفه بعد النفي مع العطف في قوله "ولا أن تهدر أية قيمة..."، والتقدير: ولا يجوز أن تهدر أية قيمة..".

(1) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء2، ص139.

(2) – في ظلال القرآن: مجلد4، جزء 12، ص1988.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص60.

وفي قوله:

20- « وأيُّ تَلَفُّتٍ عنْه منْ أيِّ أَحَدٍ يَسْتَنْزِلُ غَضَبَ اللهِ الصّارِمِ، وأخْذَهُ الحَاسِمِ»[1].

حذف الفعل (يستنزل) من التركيب "أخذه الحاسم"، لدلالة ما قبله عليه[2]، والتقدير: "ويستنزل أخذه الحاسم"، فكثرة التكرار تبعد النّص عن الفنية، بل من شأنه أنْ يبعث الملل في النفس، ويأخذها بالضّيق والسّأم، والنّفوس تميل إلى التّنويع في الأساليب، وفي هذا التنويع تجديد للكلام.

ومن قبيل حذف الفعل بعد العطف –كذلك– قوله:

21- « هذِهِ السّورَةُ كُلّهَا تَقُصُّ قِصّةَ نُوحٍ –عليه السلام– مَعَ قَوْمِهِ؛ وتَصِفُ تَجْرِبَةً منْ تَجَارِبِ الدّعْوَةِ في الأرْضِ؛ وتمَثّلُ دَوْرَةً منْ دَوَرَاتِ العِلاَجِ الدَّائِمِ الثّابِتِ المتَكَرّرِ للبَشَرِيّةِ؛ وشَوْطًا منْ أشْوَاطِ المعْرَكَةِ الخالِدَةِ بينَ الخَيْرِ والشّرِّ...»[3].

حذف الفعل "تمثل" مع فاعله المضمر، بعد العطف على سابقه لإشراك ما بعده في حكم ما قبله، حيث يظهر عمله في نصب المفعول "شوطًا".

ومنه أيضا النص الآتي:

22- « ولا يُفَصّلُ هُنَا قِصّةَ غَرَقِهِمْ، ولا قِصّةَ الطُوفَانِ الذّي أغْرَقَهُمْ...!»[4].

حذف الفعل المضارع "يُفصّل" العامل بعد العطف، والتقدير: ولا يُفصّل قِصّةَ الطُوفَانِ الذّي أغْرَقَهُمْ، فـ"قصّة الطوفان" مفعول به للفعل "يفصّل" المحذوف يدل عليه المذكور قبله اختصارًا واحترازا من العبث[5].

(1) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء 29، ص3674.

(2) – عادل منّاع، نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية: مصر العربية للنشر والتوزيع. ط1، 2011م. ص121.

(3) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء 29، ص3706.

(4) – في ظلال القرآن: مجلد6، جزء29، ص3716.

(5) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص325.

وقد ينوّع في الأسلوب بين الذّكر مرّة، والحذف مرّة أخرى، والشاهد قوله:

23- « ويَعْرِضُ قِصّةَ الدّعْوَةِ إلى اللهِ واسْتِجَابَةِ البَشَرِيَّةِ لها جِيلاً بعْدَ جِيلٍ؛ كَمَا يَعْرِضُ طَبِيعَةَ الإيمَانِ في نُفُوسِ هذِهِ النُّخْبَةِ المخْتَارَةِ منَ البَشَرِ، وطَبِيعَةَ تَصُوّرِهِمْ للعَلاقَةِ بيْنَهُمْ وبيْنَ ربِّهِم الذِّي خَصَّهُم بهَذَا الفَضْلِ العَظِيمِ..»[1].

حذف الفعل المضارع "يعرض" في التركيب الأول، والتقدير: "ويعرض استجابة البشرية..."؛ ليشرك في الحكم "قصة الدّعوة إلى الله" و"استجابة البشرية لها". والأمر نفسه في التركيب الثاني: حذف الفعل "يعرض"، والتقدير: "ويعرض طبيعة تصوّرهم للعلاقة بينهم وبين ربهم...".

ج. حذف المفعول به

تجيز اللغة العربية حذف المفعول به إذا كان الفعل متعديًّا، على الرّغم من الحاجة الملّحة إليه في أداء المعنى وتمامه، إذ يقول عبد القاهر الجرجاني: « أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف خصوصاً، فإنّ الحاجة إليه أمسّ، وهو بما نحن بصدده أخصّ، واللطائف كأنّها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحُسنِ والرّونق أعجب وأظهر...»[2].

والحذف في المفعول به نوعان، يقول "ابن هشام" في هذا الشّأن: « جَرَتْ عادة النّحويين أنْ يقولوا: يحذف المفعول به اختصارًا واقتصارًا. ويريدون بالاختصار الحذف لدليل، وبالاقتصار الحذف لغير دليل، ويمثلونه بنحو ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي أوقعوا هذين الفعلين، وقول العرب فيما يتعدى إلى اثنين "مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ" أي تكون منه خيلة»[3]. ويشرح صالح السّمرائي[4] ذلك بأنّ الحذف اختصارا يُقصد به أنْ يحذف لفظ المفعول

(1) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص55.

(2) – الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص111.

(3) – ابن هشام، مغني اللبيب: ج2، ص702.

(4) – السامرائي (فاضل صالح)، معاني النحو: شركة العاتك، القاهرة، مصر. ط2، 2003م. ج2، ص81.

من الكلام، لكنّه مراد في المعنى، وشرطه أنْ يدلّ عليه دليل، أمّا الحذف اقتصارًا ألاّ يكون مرادًا معنى.

وقد رصدنا النّوعين من الحذف في أسلوب "سيد".

أمّا النّوع الأول فنجده في قوله:

24- «..إنّ إبْرَاهِيمَ قَدْ أفَادَ مِنْ عِظَةِ رَبِّهِ لَهُ في الأُولَى. لَقَدْ وَعَى مُنْذُ أنْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: (لاَ يَنَالُ عَهْدِيَ الظَالِمِينَ)»[1].

حذف المفعول به للفعل "أفاد" و"وعى" والتقدير "أفاد موعظة.." و"وعى شيئا".

فالحذف –هنا- يدخل في سياق كون المفعول معلوما، « لا يوجد للفعل المذكور مفعول سواه بدليل الحال، أو ما سبق من الكلام، إلاّ أنّنا نطرحه ونتناساه بهدف توفّر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخليصه له» [2].

ومن هذا القبيل قوله:

25- « ... ومَالِكُ السّمَاوَاتِ والأرْضِ ومَا بيْنَهُمَا هوَ الذّي يمْنَحُ ويمْنَعُ، ويَصْطَفِي منْ يَشَاءُ ويخْتَارُ »[3].

حذف المفعول به "من يشاء" مع الفعل الماضي "اختار"، لأنّ ذكره مع الفعل اصطفى أغنى عن إعادته، والتّقدير: "يصطفي من يشاء ويختار من يشاء".

وأمّا النّوع الثاني من حذف المفعول به، نجده في قوله:

26- « وهِيَ دَعْوَى لا يجْرُؤُونَ عَلَى ادِّعَائِهَا. ومَالِكُ السّمَاوَاتِ والأرْضِ ومَا بيْنَهُمَا هوَ الذّي يمْنَحُ ويمْنَعُ »[4].

(1) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص113.

(2) – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية: ص318.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد5، جزء 23، ص3013.

(4) – في ظلال القرآن : مجلد5، جزء 23، ص3013.

حذف المفعول به مع الفعلين منح ومنع، وعاملهما معاملة اللازم، ولم يذكر في العبارة ما يمنح مالك السماوات والأرض وما بينهما، وما يمنعه؛ لأنّه أراد الإشارة إلى مطلق المنح ومطلق المنع، فيعطي ما يشاء لمن يشاء، ويمنع ما يشاء عمّن يشاء، فهما موضع الاهتمام[1]، وهما المقصودان بالتنبيه والالتفات.

يقول السّيد خضر: « وقد يحذف المفعول كذلك لترك مجال للمخاطب يتصوّر فيه ألوانا عدّة ممكنة في ذلك المقام كانت ستختصر بالذكر في لون واحد، ولذا يكون ترك الذكر أفصح من الذكر كما قال عبد القاهر الجرجاني»[2]. ولتوضيح الفكرة أكثر، يعرض مثالا من الأمثلة التي شرحها الجرجاني: « ومنه ﴿فأما من أعطى واتقى﴾(الليل/5) لم يذكر مفعولي أعطى واتقى ليشمل العطاء والتقوى كل ما يمكن دخوله تحت هذين المعنيين من إعطاء المال أو الطعام أو كلّ عون واتقاء الله تعالى أو اتقاء المحارم ... ولو ذكر المفعول لاقتصر على لون واحد من العطاء أو التقوى..»[3].

د. حذف الاسم الموصول

كان لحذف الاسم الموصول نصيب في أبنية أساليب المدونة، وقد جوّز النّحاة حذف الاسم الموصول إذا عُلم، كأنْ يُعطف على اسم موصول مثله[4].

ومن النّصوص التي حذف فيها الاسم الموصول، قوله:

27- « هَذَا الذِّي قَدْ يُفسِدُ أحْيَانًا، وقَدْ يُسْفِكُ الدّمَاءَ أحْيَانًا »[5].

حذف الاسم الموصول " الذي " (للمفرد المذكر) من التركيب الثاني لوجود ما

(1) – أبو شادي (مصطفى عبد السلام)، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مكتبة القرآن، القاهرة، مصر. 1992م. ص19.

(2) – السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية –دراسة بلاغية دلالية–: مكتبة الآداب، القاهرة. ط2، 2009م. ص131.

(3) – السيد خضر، فواصل الآيات القرآنية –دراسة بلاغية دلالية–: ص131.

(4) – وينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ج2، ص719. وفاضل السامرائي، معاني النحو: ج1، ص131.

(5) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص57.

يدلّ عليه في التركّيب السّابق له، فعطفت صلة الموصول المحذوف على صلة سابقه، مما يأمن اللبس، ويبعد الغموض.

وقوله أيضا:

28- « وبالطّرِيقَةِ التّي تُنَاسِبُ الجَوَّ والسّيَاقَ، وتُحَقِّقُ الجَمَالَ الفَنِيَّ الصّادِقَ..»[1].

حَذف الاسم الموصول "التي" (للمفرد المؤنث) المذكور في التركيب السّابق، وعَطف صلّة الاسم الموصول المحذوف على صلّة المذكور[2].

كما حذف الاسم الموصول مع صلته قبل العطف، خلافا لما سبق، من ذلك قوله:

29- « وفي سِيَاقِ الدّعْوَةِ يجِيءُ القَصَصُ المخْتَارُ، بالقَدْرِ وبالطَرِيقَةِ التّي تُنَاسِبُ الجَوَّ والسّيَاقَ..»[3].

حذف الاسم الموصول (الصفة) في تركيب المعطوف عليه، قبل أن يذكر في تركيب المعطوف، والتقدير: "بالقدر الذي يناسب الجوّ وبالطريقة التي تناسب السّياق".

و. حذف الموصوف

قد يحذف الموصوف[4] إذا تكرّر مع أكثر من صفة، إذ يعدّ ذكره أولّ مرّة مع الصّفة الأولى مؤشر على أمن اللّبس، من أمثلته، قوله:

30- « تَتَجَلَّى ثِقَةُ المؤْمِنِ الواثِقِ بِربِّهِ، المطْمَئِنِّ إِلى أنّ رَبّهُ لا يَرْضَى أنْ يَنْجَحَ السِّحْرُ وهُوَ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»[1].

(1) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص55.

(2) – هذا الضرب من الأسلوب شائع في القرآن الكريم. ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ص142.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص55.

(4) – ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ج2، ص719.

حذف الموصوف "ثقة المؤمن" في الجملة الثانية وأبقي على الصفة "المطمئن"، فلم تكن هناك حاجة إلى إعادة ذكره وقد ذكر في الجملة التي سبقته[2].

وفي قوله:

31- « وكُلُّ جُهْدٍ يُبْذَلُ في هَذِهِ المحَاوَلَةِ هُوَ جُهْدٌ ضَائِعٌ، ذَاهِبٌ سُدًى، بِلاَ ثَمْرَةٍ ولا جَدْوَى»[3].

ذكر لفظ "جهد" مع صفته "ضائع" في الجملة الأولى، ثمّ حذفه في الجملة الثانية وترك صفته "ذاهب"، لأمن اللبس.

ز. حذف المضاف

من الأبنية الكثيرة في اللغة العربية: حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه[4]، ويكثر ذلك في المدونة بعد العطف، ومن أمثلته قوله:

32- « خَيْرُ النّمُوِّ الدّائِمِ، والرُّقِيِّ الدَائِمِ. خَيْرُ الحركةِ الهادِمَةِ البانِيَةِ. خَيْرُ المحاوَلَةِ التّي لا تَكُفُّ، و التّطَلُّعِ الذّي لا يَقِفُ، و التّغْيِّيرِ والتّطويرِ في هَذَا المُلْكِ الكَبِيرِ»[5].

ذكر المضاف "خير" في الجملة الأولى، ثم حذفه بعد واو العطف في الجملة الثانية، ويعيد ذكره دون عطف، ثمّ يُعيد حذفه بعد العطف مرّة أخرى؛ لأجل التّنويع في التّعبير. وهي سمّة أخرى في أسلوبه: تعاقب الحذف والإظهار في التّعبير.

وفي قوله:

33- «..لا يَجوزُ أنْ يَعْتَدِي عَلَى أيِّ مُقَوِّمٍ منْ مُقَوِّمَاتِ إنْسَانِيَتِهِ الكرِيمَةِ، ولا أنْ تُهْدَرَ

(1) – في ظلال القرآن : مجلد3، جزء11، ص1815.

(2) – وشواهد هذا البناء الأسلوبي كثيرة جمّة في القرآن الكريم. ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ص85-91.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص59.

(4) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص713-715.

(5) – في ظلال القرآن: مجلد1، جزء1، ص57.

أيَّةُ قِيمَةٍ منْ قِيَّمِهِ لِقَاءَ تَحقِيقِ أيِّ كَسْبِ مَادِيٍّ ، أو إنتَاجِ أيِّ شَيْءٍ مَادِيٍّ، أو تَكثِيرِ أيِّ عُنْصُرٍ مَادِيٍّ...»[1].

حذف المضاف بعد حرف العطف "أو" وترك المضاف إليه دليلا عليه، والتقدير: " لقاء تحقيق أي كسب مادي، أو لقاء إنتاج أيّ شيء مادي، أو لقاء تكثير أيّ عنصر مادي"، فلما توفرت القرينة المقالية التي تعين المتلقي على ملء البياض، جنح إلى حذف المضاف في مأمن من اللبس، وهذا الضرب من الأساليب كثير جدّا في القرآن الكريم[2].

ح. حذف جملة

قد تحذف الجملة كلّها[3] إذا لوحظ في السّياق ما يدلّ عليها، بحيث يمكّن المتلقي من تقدير المحذوف، بناءً على ما توفّر له من قرائن مقالية ومقامية. وقد اعتمد "سيد" على هذا البناء في الظلال.

ومن أمثلته، قوله:

34- « ومِنْ هَذِهِ النّظرَة للإنْسَانِ تَنْبَثِقُ جُمْلَةُ اعْتِباراتٍ ذاتِ قِيمَةٍ كبِيرَةٍ في عالِمِ التّصوُّرِ، وفي عالِمِ الواقِعِ عَلَى السَّوَاءَ »[4].

حذف الجملة "تنبثق جملة اعتبارات ذات قيمة كبيرة" وترك متعلقه بعد حرف العطف ليشركه مع ما قبله في الحكم، وهو ما قرره صراحة في نهاية كلامه: "على السّواء"، وبذلك يكون المتلقي مدركا تمام الإدراك موضع الحذف وتقدير الجملة المحذوفة لأن الشروط المقالية توفرت له ليتمكن من الربط بين عناصر الأسلوب المذكورة والمحذوفة.

وقوله:

(1) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص60.

(2) – ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ص69-81.

(3) – ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ج2، ص746 وما بعدها. الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص744.

(4) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص60.

35- « والشُّكْرُ للهِ دَرَجَاتٌ، تَبْدَأُ بالاعْتِرَافِ بِفَضْلِهِ والحيَاءِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ. وتَنْتَهِي بالتّجَرُّدِ لشُكْرِهِ والقَصْدِ إلى هَذا الشُّكْرِ في كُلِّ حَرَكَةِ بَدَنٍ، وفي كُلِّ لَفْظَةِ لِسَانٍ، وفي كُلِّ خَفْقَةِ قَلْبٍ، وفي كُلِّ خَطْرَةِ جِنَانٍ »[1].

حذف الجملة الاسمية " القصد إلى هذا الشكر" وترك المتعلق في جمل متتالية، والتقدير: "والقصد إلى هذا الشكر في كُلِّ لَفْظَةِ لِسَانٍ، والقصد إلى هذا الشكر في كُلِّ خَفْقَةِ قَلْبٍ، والقصد إلى هذا الشكر في كُلِّ خَطْرَةِ جِنَانٍ"، وحُذف لدلالة السياق عليه، وطلبا للإيجاز، وابتعادا عن العبث بذكر ما لا حاجة لذكره، لأنّ الكاتب في صدد تعداد ما يمكن أن يكون فيه قصد للشكر، ويلعب المتلقي دوره في ملاحظة العناصر المحذوفة[2].

وهو الغرض نفسه في قوله:

36- « لقَدْ خَفِيَتْ عَلَيْهِمْ حِكْمَةُ المشِيئَةِ العُلْيَا، في بِنَاءِ هَذِهِ الأرْض وعِمَارَتِها، وفي تَنْمِيّةِ الحياةِ وتَنْوِيعِهَا، وفي تَحْقِيقِ إرادَةِ الخالِقِ ونامُوسِ الوجُودِ في تَطْوِيرِهَا وترْقِيَتِهَا وتَعْدِيلِهَا، عَلَى يَدِّ خَلِيفَةِ اللهِ في أرضِهِ»[3].

حذف الجملة وترك المتعلق بعد حرف العطف، تجنبا للوقوع في العبث، لأن الجملة المحذوفة معلومة من بداية النص، وإعادتها من شأنها أنْ تُثقل كاهل المتلقي وتدفعه إلى الملل.

ويحذف التركيب الإسنادي في مثل قوله:

37- « إنَّ اللهَ - سبحانه - لا يَكِلُ النّاسَ إلى فَلَتَاتٍ عَابِرَةٍ، ولا إلى جُزَافٍ لا ضَابِطَ

(1) - في ظلال القرآن : مجلد1، ج2، ص140.

(2) - لحلوحي صالح، (الظواهر الأسلوبية في شعر نزار قباني)، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر. ع8، جانفي 2011.

(3) - في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص57.

له.. إنمَا هِيَ سُنَّتُهُ يمْضِي بهَا قَدَرُه»[1].

حذف التركيب المتكوّن من الفعل والفاعل والمفعول "يكل النّاس"، المذكور في الجملة السّابقة، وترك المتعلق بالفعل " إلى جزاف لا ضابط له" بعد حرف العطف وحرف النفي المكرر "لا".

وفي قوله:

38- « لقَدْ رَسَمَ يُوسُفُ -عليه السلام- بهذِهِ الكلِمَات القَلِيلَة النّاصِعَة الحَاسِمَة المنِيرَة، كُلَّ مَعَالم هَذا الدّين، و كُلّ مُقَوِّمَاتِ هَذِهِ العَقِيدَةِ »[2].

نجده في الشاهد، يحذف الجملة الفعلية الطويلة المتكوّنة من الحرف والفعل والفاعل والمتعلقات "لقد رسم يوسف -عليه السلام- بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة" ويأتي بالمفعول به معطوفا على المفعول السّابق له، ليضع المفعولين (كلّ معالم هذا الدين، وكلّ مقومات هذه العقيدة) تحت حكم عامل واحد (رسَمَ)، لأنّ هدف الكاتب هو إظهار المفعول به ليبين العمل الكبير الذي قدّمه يوسف -عليه السّلام- للدين والعقيدة.

وقد يُنوّع التّعبير؛ فيحذف مرّة، ويذكر أخرى في الجملة الواحدة، نحو قوله:

39- « وهَا هِيَ ذِي أمُّهُ حائِرَةٌ بِه، خائِفَةٌ علَيْه، تَخْشَى أنْ يَصِلَ نَبَؤُهُ إلى الجلادِينَ، وتَرْجُفُ أنْ تَتَنَاوَلَ عُنُقَهُ السِّكِينُ. هَا هِيَ ذِي بِطِفْلِهَا الصّغِيرِ في قَلْبِ المخَافَةِ، عَاجِزَةٌ عنْ حِمَايَتِهِ، عاجِزَةٌ عنْ إخْفَائِهِ، عاجِزَةٌ عنْ حَجْزِ صَوْتِهِ الفِطْرِيِّ أنْ يَنُمَّ عليه؛ عاجِزَةٌ عنْ تَلْقِينِهِ حِيلَةً أوْ وَسِيلَةً..» [3].

ذكر التركيب الاسمي (ها هي ذي أمّه) في بداية الجملة، ثمّ يحذفه في الجملة الثانية، ثمّ يعود فيذكره ثانية عندما يطول التركيب ويحسّ بأنّ اللبس سيتسرب إلى ذهن

(1) - في ظلال القرآن : مجلد3، جزء10، ص1535.

(2) - في ظلال القرآن : مجلد4، جزء 12، ص1989. ومجلد4، جزء 12، ص1991.

(3) - في ظلال القرآن : مجلد5، جزء20، ص2678.

المتلقي، فيُذكره بشق منه (ها هي ذي) ليعود فيحذفه في الجمل الآتية بعده. وهذا التنويع من شأنه أنْ يدفع الملل، ويجدّد النشاط.

وقد يستغني الكاتب –في بعض الأحيانا– عن جزء من الجملة، ويُبقي على جزء منها فقط، كقوله في هذا الشاهد:

40– « لا نُرِيدُ أنْ نُجِيبَ بهَذَا، وإنْ كَانَ لهُ وَجْهٌ، لأنّنَا نَرَى أنّ الأمرَ في هَذِه المسْألَةِ أبْعدَ أعْمَاقًا، و أوْسَعَ آفاقًا منْ أنْ يَرْتَكِنَ إلى هَذا الوَجْه »[1].

حذف جزءا من الجملة "لأننا نرى أن الأمر في هذه المسألة" وأبقى على خبر أنّ "أوسع" بعد واو العطف، وذلك يفي بغرض الكاتب.

ط. حذف المتعلق به وترك ما يدلّ عليه

يحذف المتعلّق به، ويترك المتعلّق دليلا عليه[2]، في مثل قوله:

41– « ومَا يَبْلُغُ تَعْبِيرٌ مُجَرّدٌ عنْ دِقَّةِ عِلْمِ اللهِ وشُمُولِهِ، وعنْ قُدْرَةِ اللهِ سبْحَانهُ، وعنْ دِقَّةِ الحِسَابِ وعَدَالَةِ المِيزَانِ مَا يَبْلُغُه هَذا التّعْبِيرُ المصَوّرُ »[3].

حذف المتعلق به، وأبقى على المتعلّق، والتقدير: "ومجرد عن قدرة الله سبحانه، ومجرد عن دقّة الحساب وعدالة الميزان". والمتعلقان هما الجار والمجرور.

وفي قوله:

42– « .. ولِنَأْخُذْ منَ القِصّةِ مَا تُشِيرُ إلَيْهِ منْ حَقَائِقَ كَوْنِيّةٍ وإنْسَانِيّةٍ، ومنْ تَصُوّرٍ للوُجُودِ وارْتِبَاطاتِه، ومِنْ إيحَاءٍ بِطَبِيعَةِ الإنْسَانِ وقِيّمِهِ ومَوازِينِه »[4].

حذف الفعل وترك المتعلق دليلا عليه، والتقدير: "وما تشير إليه من تصور للوجود

(1) – في ظلال القرآن : مجلد4، جزء13، ص2006.
(2) – ينظر: أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ص30.
(3) – في ظلال القرآن : مجلد5، جزء21، ص2789.
(4) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص59.

وارتباطاته، وما تشير إليه من إيحاء بطبيعة الإنسان..".

وفي قوله:

43- « إنّ أبْرَزَ إيحَاءَاتِ قِصّةِ آدَم .. هوَ القِيمَةُ الكُبْرَى التّي يُعْطِيهَا التّصَوّرُ الإسْلامِيُّ للإنْسَانِ و لِدَوْرِهِ في الأرْضِ، و لمكَانِهِ في نِظَامِ الوُجُودِ، و للْقِيَمِ التّي يُوزَنُ بهَا. ثُمَّ لحَقِيقَةِ ارْتِبَاطِهِ بِعَهْدِ اللهِ، وحَقِيقَةِ هَذا العَهْد الذّي قامَتْ خِلافَتُهُ عَلى أسَاسِهِ..»[1].

حذف الفعل مع فاعله ومفعوله المتصل به وترك المتعلق به في تراكيب متتالية بعد العطف، والتقدير: "ويعطيها التصور الإسلامي لمكانه في نظام الوجود، ويعطيها التصور الإسلامي للقيم التي يوزن بها. ثم يعطيها التصور الإسلامي لحقيقة ارتباطه بعهد الله.."

وقد يلجأ الكاتب إلى التنويع في أبنية النقص بالحذف، حين يوظف الاحتباك[2]، كما في قوله:

44- « وأوّلُ اعْتِبَارٍ منْ هذِه الاعْتِبَارات هوَ أنَّ الإنْسَانَ سَيِّدُ هذِه الأرْض، ومنْ أجْلِهِ خُلِقَ كُلُّ شَيءٍ فِيهَا .. فهُوَ إذَنْ أعَزُّ وأكْرَمُ وأغْلَى مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَادِيٍّ، ومِنْ كُلِّ قِيمَةٍ مادِيّةٍ في هذِه الأرْض جَمِيعًا »[3].

فحذف المتعلّق بعد اسم التفضيل، ثم حذف اسم التفضيل وترك المتعلّق. فهذا التّنويع في الأساليب من شأنه ينشط المتلقي، ويزيده لذّة واستمتاعا.

وفي السّياق يقول:

45- «.. فهَذِهِ المادِيَاتُ كلّهَا مخْلُوقَةٌ أوْ مَصْنُوعَةٌ منْ أجْلِهِ. منْ أجْلِ تحْقِيقِ إنْسَانِيَتِه. منْ أجْلِ تَقْرِيرِ وُجُودِهِ الإنْسَانيِّ »[4].

(1) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص60.

(2) – يقول عنه السيوطي: " وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقلّ من تنبّه له أو نبّه عليه من أهل البلاغة..." ينظر في تعريف الاحتباك: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج3، ص182.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص60.

(4) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص60.

حذف الجار والمجرور بعد اسم المفعول الأول (مخلوقة)، وذكره بعد اسم المفعول الثاني (مصنوعة)، ثم حذف المتعلّق به (اسم المفعول) وترك المتعلق الذي تكرر دون عطف على سبيل البدل.

ي. حذف الناسخ

من صور الحذف في النّواسخ، ألفيناه يحذف "إنّ" واسمها[1]، مثل قوله:

46- « وفي أحْدَاثِ المعْرَكَةِ التّي تُصَوِّرُهَا القِصّةُ بيْنَ الإنْسَانِ والشّيْطَانِ مَذْكَرٌ دائِمٌ بِطَبِيعَةِ المعْرَكَةِ. إنَّهَا بيْنَ عَهْدِ اللهِ وغِوَايَةِ الشّيْطَانِ. بيْنَ الإيمَانِ والكُفْرِ. بيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، بيْنَ الهُدَى والضّلالِ..»[2].

حذف إنّ واسمها الضّمير المتّصل (إنّها) في الجمل المتكرّرة المتتالية، وقد ذكرت في الجمل الأولى "إنها بين عهد الله وغواية الشيطان"، فلا حاجة لإعادتها، فهي معلومة ولا يستدعي تقديرها كثرة تفكير.

ومن صور هذا البناء نجد الشاهد:

47- « والسّورَةُ بجُمْلتِهَا تُلقِي في الحِسِّ بِكُلِّ قُوّةٍ وعُمْقٍ إحْسَاسًا واحِدًا بمعْنَى واحِدٍ .. أنّ هَذا الأمْر، أمْرَ الدّينِ والعَقِيدَةِ، جِدٌّ خالِصٍ حازِمٍ جازِمٍ. جِدٌّ كُلُّهُ لا هَزْلَ فيهِ. ولا مجَالَ فيهِ للهَزْلِ. جِدٌّ في الدّنْيا وجِدٌّ في الآخِرَة، وجِدٌّ في مِيزَانِ اللهِ وحِسَابِهِ. جِدٌّ لا يحْتَمِلُ التّلَفُّتَ عنْه هُنَا أوْ هُنَاك كَثِيرًا ولا قَلِيلاً »[3].

حذف "أنّ" واسمها الظاهر "أن هذا الأمر"، في تراكيب متتالية، بعد العطف ومن دونه، وهو يضع في نصب العين أنّه ذكره قبل الحذف.

وفي قوله:

(1) – علي أبو المكارم، الجملة الاسمية: ص96 وما بعدها.

(2) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص61.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد6، جزء29، ص3674.

48- « إنّهَا العاصِفَةُ الهوْجَاءُ المجْتَاحَةُ البَارِدَةُ في أيّامِ نَحْسٍ عَليْهِم. وإنّهُ الخِزْيُ في الحيَاةِ الدّنْيَا. الخِزْيُ اللائِقُ بالمسْتَكْبِرِينَ المتَبَاهِينَ المخْتَالِينَ عَلَى العِبَادِ »[1].

حذف إنّ واسمها الضمير المتصل من التركيب، وقد ذكرهما في التركيب السابق.

وقد يحذف إن واسمها لكن دون أن يذكرهما صراحة من قبل، إنما يبني تركيب على ما ذكر في الآية المفسّرَة، مثل قوله:

49- « (قَالُوا: تَاللهِ. إنّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القَدِيمِ)..في ضَلالِكَ بِيُوسُفَ، وضَلاَلِكَ بانْتِظارِهِ وقدْ ذَهَبَ مَذْهَبَ الذّي لا يَعُودُ »[2].

حذف إنّ واسمها المذكورين في الآية، والتقدير: " إنك في ضلالك بيوسف".

وكذلك يطال الحذف "كان"، في مثل قوله:

50- « وهذِه الشّرِكةُ تَتَمَثّلُ في أوْهَامِ الوَثَنِيّةِ الجاهِلِيّةِ، إذْ كانُوا يجْعَلُونَ في أمْوَالِهِمْ نَصِيبًا للآلِهَةِ المدْعَاةِ - فهِيَ للشَيْطَانِ – وفي أوْلادِهِمْ نُذُورًا للآلِهَةِ أوْ عَبِيدًا لهَا - فهِيَ للشَيْطَانِ -كعَبْدِ اللاّتِ وعَبْدِ مَنَاةِ »[3].

مسّ الحذف كان واسمها وخبرها "كانوا يجعلون" وأبقى على متعلقات الخبر؛ المفعول به والجار والمجرور، والتقدير: " وكانوا يجعلون في أولادهم نذورا للآلهة..."، وغرضه من ذلك إشراك التركيب الأول والثاني في الحكم.

وفي قوله كذلك:

51- « فَلَمْ تَكُنِ النّتِيجَةُ مجُرّدَ هَلاَكِ هذِه الكَثْرَةِ، بلْ كانَ قبْلَهَا نجَاةُ القِلّةِ منْ جمِيعِ الأخْطارِ؛ و استِخْلافُهَا في الأرْضِ، تُعِيدُ تَعْمِيرَهَا وتجْدِيدَ الحيَاةِ فِيهَا، وتَأدِيَةَ الدّوْرِ الرّئِيسِيِّ فَتْرَةً منَ الزّمَانِ »[4].

(1) – في ظلال القرآن : مجلد5، جزء24، ص3118.

(2) – في ظلال القرآن : مجلد4، جزء13، ص2028.

(3) – في ظلال القرآن : مجلد4، جزء15، ص2239.

(4) – في ظلال القرآن : مجلد3، جزء11، ص1812.

حذف كان وخبرها (الظرف) بعد واو العطف، وترك اسمها (استخلافها) معطوفا على اسمها في التركيب الأول (نجاة القلّة).

وفي قوله:

52- « كانَتْ إيقَاظًا للقُوَى المذْخُورَةِ في كيَانِه. كانَتْ تَدْرِيبًا لهُ عَلى تَلَقِّي الغِوَايَةِ، وتَذَوّقِ العاقِبَةِ، وتجَرُّعِ النّدامَةِ، ومَعْرِفَةِ العَدُوِّ، والالْتِجاءِ بعْدَ ذلِك إلى الملاذِ الأمِينِ »[1].

حذف كان واسمها وخبرها والمتعلق وحرف الجر، وعطف الاسم المجرور على مثيله، والتقدير: " كانت تدريبا له على تلقي الغواية، وكانت تدريبا له على تذوق العاقبة، وكانت تدريبا له على تجرع الندامة، وكانت تدريبا له على معرفة العدوّ، وكانت تدريبا له على الالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين"، وقد أفاد الحذف البعد عن الوقوع في العبث بذكر ما يغني حذفه عن ذكره.

ك. حذف الجار

أقرّ النّحاة جواز حذف الجار مع بقاء عمله في المجرور[2]، ويكثر ذلك في القرآن الكريم قبل أنّ وإنّ المصدريتين[3]، لكن أكثر ما حذف حرف الجر في المدونة كان بعد العطف، ومن أمثلته، قوله:

53- « شَكَّ أنّ للقَصَصِ طرِيقتَه الخاصَة في عَرْضِ الحقَائِق، وإدْخَالِها إلى القُلُوبِ، في صُورَةٍ حيّةٍ، عَمِيقَةِ الإيقَاعِ»[4].

حذف حرف الجر بعد العطف، والتقدير: "وفي إدخالها إلى القلوب"، ويهدف الكاتب إلى تنشيط ذهن المتلقي لتقدير المحذوف بالارتكاز على قرينة السياق[5].

(1) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص59.

(2) – ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج2، ص736.

(3) – أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ص101.

(4) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء3، ص390.

(5) – جبار أهليل الزيدي: أسلوبية اللغة عند نازك الملائكة: ص205.

وفي قوله أيضا:

54- « وإذَنْ فَقَدْ وُهِبَ هَذا الكَائِنُ الجَدِيدُ منَ الطاقاتِ الكامِنَةِ، و الاسْتِعْداداتِ المذْخُورَةِ كِفَاءَ ما في هذِه الأرْضِ منْ قُوَى وطاقاتٍ، و كنُوزٍ وخاماتٍ..»[1].

والتقدير "ومن الاستعدادات المذخورة"، "ومن كنوز وخامات"، فحذف حرف الجر "من" بعد واو العطف اختصارًا.

ل. حذف الجار والمجرور

إذا كان الأدباء يلجأون إلى الحذف لأجل أن يوشّوا نتاجهم الأدبي بشيء من الغموض الّذي من شأنه أنْ يزيد العمل الأدبي الإثارة والبهاء، فإنّ سيد قطب عندما يبني أسلوبه على الحذف، يكون بعيدًا كلّ البعد عن غرض الغموض؛ ذلك أنّه في موقف يستدعي الإبانة والوضوح (التفسير)، ويسعى إلى تنشيط ذهن المتلقي ليقدّر المحذوف بناء على القرينة المصاحبة التي يوفّرها السّياق.

فمن ما حذف فيه الجار والمجرور[2] المتعلقان بالفعل أو ما شابهه، قوله:

55- « وهَذا فَضْلُ طَرِيقَةِ القُرآنِ المعْجِزَةِ الجمِيلَةِ الأداءِ، العَمِيقَةِ الإيقَاعِ .. حَبّةٌ منْ خَرْدَلٍ. صَغِيرَةٌ ضائِعَةٌ لا وَزْنَ لها ولا قِيمَةَ »[3].

حذف المتعلق من قوله "لا قيمة" وتقديره "لها"، وهو يعوّل في تقدير المتلقي للمحذوف على ما ورد في الجملة قبل العطف: "لا وزن لها"، « حيث ترد البنية بتمامها قبل ورود البنية التي وقع فيها الحذف»[4].

ومثله قوله:

(1) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص56.

(2) – الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ص718

(3) – في ظلال القرآن : مجلد5، جزء21، ص2789.

(4) – روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء: ص23.

56- « ولا يَتّخِذُ طرائِقَ الجدَلِ الذّهْنِيِّ البَارِدِ والقَضَايَا المَنْطِقِيّةِ التّي لا حَيَاةَ فيهَا ولا حَرَكَةَ »[1].

فحذف المتعلق (الجار والمجرور) المكرّر بعد العطف والتقدير: "لا حركة فيها".

وكذلك في قوله:

57- « لا مُؤاخَذَةَ لَكُم ولا تَأنِيبَ اليَومَ. فَقَد انتَهَى الأمْرُ منْ نَفسِي ولمْ تَعُدْ لَه جُذُورٌ»[2].

حذف المتعلّق بعد العطف، والتقدير: "ولا تأنيب لكم"، وكان بإمكانه أنْ يُعيد حرف الجرّ مع الضمير "فيها"، لكنه رغب عن ذلك كي يبتعد عن التكرار والإطالة، واعتدادًا بالمبنى العدمي على حدّ قول اللسانين النصيّين[3]، ما دام يؤدي القصد ويغني عن الذّكر.

وقوله:

58- « لِيَتِمَّ منْ وَرَاءِ هَذا الشّرّ الجُزْئِي الظاهِر خَيْرٌ أكْبَرُ وأشْمَلُ »[4].

حذف المتعلّق باسم التفضيل "أكبر" وأشمل"، والتقدير: " أكبر منه وأشمل منه".

إنّ بناء النقص الذي يكون عن طريق الحذف من الأبنية الأسلوبية التي تظهر بوضوح في التراكيب اللغوية؛ ولاسيما أن اللغة تميل إلى الاقتصاد فتسقط من الكلام العناصر التي لا تؤثر على دلالة التركيب؛ سواء أكان جملة أم كلمة أم حرفاً، بتوفّر المؤشرات المقامية والمقالية.

إنّ توظيف بناء النقص يمثّل صراعا للكاتب مع صرامة المنظومة اللغوية عندما تعجز اللغة عن حمل أفكاره، ليجعل المتلقي يجتهد في تقدير العنصر المحذوف بل

(1) – في ظلال القرآن : مجلد5، جزء20، ص2729.

(2) – في ظلال القرآن : مجلد4، جزء13، ص2027.

(3) – روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء: ص21.

(4) – في ظلال القرآن : مجلد1، جزء1، ص57.

ليبتكره؛ وبذلك يتحقق هدف الكاتب في إيقاظ اهتمام المتلقي وإشراكه في مجريات النص، ويتحقّق هدف المتلقي في تحقيق المتعة الذهنية والنفسية معا. ومن هنا فإنّ بناء الحذف في العمل الإبداعي ليس بناء محايدا ولا عفويا، وإنّما هو عمل مقصود يلجأ إليه الكاتب عمدا بحثا عن الطّاقات التّعبيرية.

- خلاصة:

كان بناء النقص بالحذف سمة أخرى من سمات البناء الأسلوبي، تدلّ على فطنة الكاتب وتمرّسه؛ فوظّفه حين لا يكون هناك بدّ من ذكر العبارة، حتى لا يدبّ الملل في النّفوس، وحين يرغب في تنشيط ذهن القارئ، بأن يجعله يملأ الفراغ، ويسوّد البياض، ويشعره بتقاسمه النص بناء ومعرفة.

- إنّ هذه الأبنية التيّ رُصدت وغيرها، تدلّ بوضوح على أسلوب الكاتب الذي أفاد من الشّعر —وهو شاعر- إيقاعه، وأفاد من القرآن الكريم —وهو حافظ ودارس إيّاه- حسن تصرفه بالألفاظ والتراكيب، وأفاد من النّقد —وهو الناقد المنظر- حسن العرض والتناسق الفكري.

- يحسن الحذف عند "سيد قطب" في بعض المواضع؛ لقوة الدلالة عليه أو عندما يقصد به تعداد الأشياء؛ فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيلجأ إلى الحذف ويكتفي بدلالة الحال عليه، ويترك المجال في تقدير المحذوفات لذهن القارئ.

- من صور الحذف التي تكثر في المدونة، حذف الجار والمجرور مع متعلقه بعد حرف العطف، تجنبا للإملال بذكر ما ذكر.

- لم يجنح الحذف -عنده- إلى الغموض المكثّف الذي يمكنه أنْ يؤدي إلى غموض المعنى، وإنما يؤدي التركيب فيه المقصد البلاغي رأسا، لأنّ المدونة هي تفسير للقرآن الكريم، والكاتب يسعى لتيسير ما تعسّر على المتلقي فهمه.

خاتمة

لقد صدقت نبوءة سيد قطب حين قال: « أنّ أفكارنا وكلماتنا تظلّ جثثاً هامدة، حتّى إذا مِتْنا في سبيلها أو غذّيناها بالدّماء، انتفضتْ حيّةً، وعاشتْ بين الأحيَاء»[1]، فما إنْ نُفّذ فيه حكم الإعدام حتّى هبّت دُورُ النّشر – المعتمدة وغير المعتمدة– تُعيد طبعاعةَ كتبه؛ طبعات شرعية وأخرى غير شرعية، ولكنها لاقت – جميعها– رواجا واسعا بين المتلقين: من ممجدين ومعارضين ومنتقدين، غير منتبهين إلى ما نقّحه وصحّحه، فأغلب المنتقدين الذين كالوا له الانتقاد والسّباب اعتمدوا على الطبعات الأولى لكتبه، وإذا ما عاد القارئ ليتفحّص الأمر بنفسه لن يجد الأفكار موضع الانتقاد في الطبعات المعتمدة لاحقا. وعلى الرّغم مما وُجّه إليه من انتقادات، يبقى قامة في الفكر العربي–الإسلامي الحديث.

وإذا كانت الانتقادات التي طالت كتبه بصفة عامة قد خبت، فإنّ كتابه "في ظلال القرآن" يبقى محل اهتمام الدارسين على اختلاف تخصصاتهم، لما تميّز به من خصائص فكرية ومنهجية وأسلوبية...

وإذا خفتت الانتقادات التي طالت كتبه بصفة عامة، فإنّ كتابه "في ظلال القرآن" يبقى محل اهتمام الدارسين على اختلاف تخصصاتهم، لما تميّز به من خصائص فكرية ومنهجية وأسلوبية...

هذا الكتاب الذي كان مدونة هذه الدراسة؛ طبعته أبنية الأسلوبية تعبّر بصدق عن شخصيته الأدبية، وتكوينه النّقدي، وتوجهه الإسلامي.

ويمكن إجمال الأحكام التي خلص إليها البحث فيما يأتي:

(1) سيد قطب، دراسات إسلامية: ص139.

○ على الرّغم من كون المدونة نثرية، إلاّ أنّ بناء التوازي كان سمّة بارزة؛ وظّفه الكاتب، ونوّع في صوره، فكان موّلِدا للدلالات ومكثّفا لها، لا يحسّ القارئ بتكلّف في صياغة العبارات أو إطناب لأجل إحداث توازن، بل ينساب مع المعنى بعفوية ويسر.

○ وظّف سيد قطب بناء التبادل بالتقديم والتأخير في جلّ نصوصه، وفي مواقع مختلفة؛ مما يدل على تمكّنه من ناصية اللغة، وحسن تصرفه في تراكيبها، بتطويعها لأفكاره، فلا يبقى رهينة الأنموذج النّحوي المعياري، الذي من شأنه أنْ يحُولَ دون تدفّق الأفكار بسلاسة، فيعدّل بناء التركيب —من دون أن يخرقه- لأجل الفكرة، وليس العكس.

○ بناء الزيادة بالاعتراض، كان بصمة تؤكّد ما يتميّز به كتاب " في ظلال القرآن" من كم معرفي، لا ينحصر في التفسير —الموضوع المحوري للكتاب- بل يتعداه إلى معارف مختلفة ومتنوعة، لا يتردّد الكاتب في بثّها بين الحين والآخر، في ثنايا الكلام، بين الجمل، وحتّى بين المتلازات، بغية تنوير قارئه بما يتهيأ له جهله به، أو بغية تخصيص الكلام وتحديده، بتراكيب قد تطول أو تقصر، لكنها تفيد وتمتع بما لا يُتوقّع.

○ وبناء النقص بالحذف كان سمة أخرى من سمات البناء الأسلوبي، تدلّ على فطنة الكاتب وتمرّسه، فوظّفه حين لا يكون هناك بدّ من ذكر العبارة، فيدبّ الملل في النّفوس، وحين يرغب في تنشيط ذهن القارئ، بأن يجعله يملأ الفراغ، ويسوّد البياض، ويشعره بتقاسمه النص بناء ومعرفة.

إنّ هذه الأبنية التيّ رصدت وغيرها، تدلّ بوضوح على أسلوب الكاتب الذي أفاد من الشّعر —وهو شاعر- إيقاعه، وأفاد من القرآن الكريم —وهو حافظ ودارس له-

حسن تصرفه بالألفاظ والتراكيب، وأفاد من النّقد –وهو الناقد المنظر– حسن العرض والتناسق الفكري.

وفي نهاية المطاف يمكن القول: إنّ أسلوب سيد قطب فيه تفاوت؛ فقد يعتمد على توصيل الفكرة بتعبير مختصر وسريع؛ ويبدو ذلك واضحا في أسلوبي التقديم والتأخير والحذف، وقد يميل إلى التوسّع والإطالة؛ ويبدو ذلك جليا في أسلوبي التوازي والاعتراض.

وإنّي لأدعو الباحثين والدارسين إلى إجراء مزيد من الدراسات والبحوث في أسلوب سيد قطب، فهناك من الظواهر الأسلوبية التي تحتاج إلى مزيد من الاستقصاء مع عينات مختلفة عن عينة الدراسة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه الطاهرين ومن تبعهم محسنا إلى يوم الدين.

مسرد

المصادر والمراجع

○ القرآن الكريم

❖ المصادر:

○ **سيد قطب:**

01- في ظلال القرآن: دار الشروق، القاهرة، مصر. الطبعة الشرعية 35. 2005م.

❖ المراجع العربية:

○ **ابن الأثير** (ضياء الدين/ت637هـ):

02- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، مصر. ط2، (د.ت).

○ **ابن الحيدرة** (أبو الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي اليمني/ ت599هـ):

03- كشف المشكل في النحو: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1912م.

○ **ابن القيم الجوزية** (شمس الدين أبو عبد الله محمد/ت751هـ):

04- كتاب الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان): صححه محمد بن بدر الدين النعساني. مطبعة السعادة، مصر. ط1، 1327هـ.

○ **ابن المعتز** (عبد الله/ت296هـ):

05- كتاب البديع: دار الميسرة، بيروت، لبنان. ط3، 1982م.

○ **ابن باز (عبد العزيز بن عبد الله):**

06- تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعوان: دار أصالة الحاضر، الرياض، السعودية. ط1، 2009م.

○ **ابن جني** (أبو الفتح عثمان/ت392هـ):

07- الخصائص: تح/ عبد الحكيم بن محمد. المكتبة التوفيقية. (د.م)، (د.ت).

○ **ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد**/ت808هـ):

08- مقدمة ابن خلدون: تحقيق: عبد الله محمد الدّويش، مكتبة الهداية، دمشق،سورية. ط1، 2004م.

○ **ابن سنان الخفاجي** (أبو محمد عبد الله بن سعيد/ ت466هـ):

09- سر الفصاحة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1982م.

○ **ابن عقيل** (بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري الهمداني/ت769هـ):

10- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: دار التراث، القاهرة، مصر. ط20، 1980م.

○ **ابن فارس** (أبو الحسن أحمد بن زكرياء القزويني الرازي/ت395هـ):

11- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: المكتبة السلفية، القاهرة، مصر. 1910م.

○ **ابن قتيبة** (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري/ت276هـ):

12- الشعر والشعراء: تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة. ط2، 1982م.

○ **ابن كثير** (الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير/ت774هـ):

13- تفسير القرآن العظيم: تحقيق سامي بن محمد السّلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. ط2، 1999م.

○ **ابن هشام الأنصاري** (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله/ت761هـ):

14- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان. (د.ت).

15- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. 1991م.

○ **ابن يعيش** (موفق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي/ت643هـ):

16- شرح المفصل للزمخشري: تقديم وفهرسة إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 2001م.

○ **أبو شادي (مصطفى عبد السلام):**

17- الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مكتبة القرآن، القاهرة، مصر. 1992م.

○ **أحمد درويش:**

18- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر. 1998م.

○ **أحمد عفيفي:**

19- ظاهرة التخفيف في النحو العربي: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة. ط1، 1996م.

○ **البدراوي زهران:**

20- أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث: دار المعارف، القاهرة، مصر. 1982م.

○ **بوقرة نعمان:**

21- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة: منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر. 2006م.

○ **تامر سلّوم:**

22- علم المعاني قراءة ثانية للتشكيل النحوي: منشورات جامعة تشرين، اللاذقيّة، سوريا. 1996م.

○ **تمام حسان:**

23- الأصول (دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو –فقه اللغة – البلاغة): عالم الكتب، القاهرة، مصر. 2000م.

24- اللغة العربية معناها ومبناها: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. 1994م.

○ **توفيق الفيل:**

25- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر. 1991م.

○ **جابر عصفور:**

26- الصورة الفنية في التراث النقدي عند العرب: المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان. ط3، 1992م.

○ **الجرجاني** (عبد القاهر/ت476هـ):

27- دلائل الإعجاز في علم المعاني: تصحيح محمد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، تعليق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة ، بيروت، لبنان. ط2، 1998م.

○ **حسين بن محمود:**

28- مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب: دار الجبهة للنشر والتوزيع. (د.م). شعبان 1429هـ.

○ **حسين جمعة:**

29- التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية وفكرية وأسلوبية) : منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية. ط1، 2005م.

30- جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية): منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق. 2005م.

○ **الخالدي (صلاح عبد الفتاح):**

31- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: دار القلم، دمشق، الدر الشامية، بيروت. ط2، 1994م.

32- سيد قطب الأديب الناقد، والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد: دار القلم، دمشق. ط1، 2000م.

33- مدخل إلى ظلال القرآن: دار الشهاب، باتنة، الجزائر. (د.ت).

34- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: شركة الشهاب، باتنة، الجزائر. 1988م.

35- المنهج الحركي في القرآن: دار عمار، عمان، الأردن. ط2، 2000م.

○ **الخباص (عبد الله عوض):**

36- سيد قطب: الأديب الناقد: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر. (د.ت).

○ **الدويش (عبد الله محمد):**

37- المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال: مكتبة دار العليان، بريدة، السعودية. ط1، 1987م.

○ **رمضان صادق:**

38- شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية (دراسات أدبية): الهيئة المصرية العامة للكتاب. (د.م). 1998م.

○ **الزركشي** (بدر الدين محمد بن عبد الله/ت794هـ):

39- البرهان في علوم القرآن: تحقيق أبو الفضل الدّمياطي، دار الحديث. 2006م.

○ **الزمخشري** (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر/ت538هـ):

40- المفصّل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان. ط2، (د.ت).

○ **السامرائي (فاضل صالح)**:

41- معاني النحو: شركة العاتك، القاهرة، مصر. ط2، 2003م.

○ **السّناني (عبد الله بن عصام)**:

42- براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمة: مكتبة الفرقان، عجمان، الإمارات. ط2، 1424هـ.

○ **سيبويه** (عمرو بن عثمان بن قنبر/ 180هـ):

43- الكتاب: علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1999م.

○ **السيد خضر**:

44- فواصل الآيات القرآنية -دراسة بلاغية دلالية-: مكتبة الآداب، القاهرة. ط2، 2009م.

○ **سيد قطب**:

45- أشواك: دار سعد، القاهرة، مصر. 1947م.

46- التصوير الفني في القرآن: دار الشروق، القاهرة. ط16، 2002م.

47- الحياة في ظلال القرآن: ، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر. ط4، 2011م.

48- النقد الأدبي أصوله ومناهجه: دار الشروق، القاهرة، مصر. ط8، 2003م.

49- طفل من القرية: دون دار نشر. ط4، 1967م.

50- مشاهد القيامة في القرآن: دار الشروق، القاهرة، مصر. (د.ت).

51- مهمّة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر: منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا. ط1، 1996م.

52- معالم في الطريق: الطبعة الشرعية السادسة. دار الشروق، بيروت، لبنان.1979م.

○ **السيوطي** (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر/ت911هـ):

53- الإتقان في علوم القرآن: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان. 1988م.

54- همع الهوامع في شرح الجوامع: تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1998م.

55- معترك الأقران في إعجاز القرآن:ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1988م.

○ **شارف مزاري:**

56- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية: منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية. 2001م.

○ **الشمسان (أبو أوس إبراهيم):**

57- الجملة الشرطية عند النحاة العرب: مطابع الدجوي، عابدين. ط1، 1981م.

○ **صلاح فضل:**

58- بلاغة الخطاب وعلم النص(سلسلة عالم المعرفة): المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت. أغسطس 1992م.

59- علم الأسلوب –مبادئه وإجراءاته: دار الشروق، القاهرة-بيروت. ط1، 1998م.

60- نظرية البنائية في النقد الأدبي: دار الشروق، القاهرة، مصر. ط1، 1998م.

○ **طاهر سليمان حمودة:**

61- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: الدار الجامعية للطباعة والنشر، الأسكندرية، مصر. 1998م.

○ **الطرابلسي (محمد الهادي)**:

62- خصائص الأسلوب في الشوقيات: منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. مجلد عدد 20. 1981م.

○ **عادل منّاع**:

63- نحو النص اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية: مصر العربية للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. ط1، 2011م.

○ **عبد الحكيم راضي**:

64- نظرية اللغة في النقد العربي (دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقاد العرب): المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر. ط1، 2003م.

○ **عبد السّلام المسدّي**:

65- الأسلوبية والأسلوب: الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا. ط3، (د.ت).

○ **عبد الواحد حسن الشيخ**:

66- البديع والتوازي: مطبعة الإشعاع الفنية، مصر. ط1، 1999م.

○ **عبد الوهاب جعفر**:

67- البنوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها: دار المعارف، 1980م.

○ **العسكري** (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل/ت395هـ):

68- الصناعتين (الكتابة والشعر): مطبعة محمود بك، الاستانة. ط1. 1319هـ.

○ **عصام شرتح**:

69- ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل: منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، سوريا. 2005م.

○ **العكيلي (حسن منديل حسن):**

70- الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 2009م.

○ **العلوي** (يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم/ت749هـ):

71- الطراز، تحقيق عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان. ط1، 2002م.

○ **علي أبو المكارم:**

72- الجملة الاسمية: مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، مصر. ط1، 2007م.

○ **عمايرة (خليل أحمد):**

73- في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية. ط1، 1984م.

○ **العنبكي (علي عبد الله حسين):**

74- البناء اللغوي في الفواصل القرآنية: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ط1، 2001م.

○ **فتح الله أحمد سليمان:**

75- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر. 2004م.

○ **القرني (عائض بن عبد الله):**

76- اقرأ باسم ربك: دار ابن حزم، بيروت، لبنان. ط1، 2000م.

○ **القزويني** (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القُضاة سعد الدين أبو محمد عبد الرحمن/ت 682هـ):

77- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (د.ت).

○ **لاشين (محمود شفيق):**

78- شعر عمر أبو ريشة (قراءة في الأسلوب): الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة. ط1، 2009م.

○ **محمد العمري:**

79- تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر: الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية. ط1، 1990م.

○ **محمد حسنين أبو موسى:**

80- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: دار الفكر العربي. (د.م)، (د.ت).

○ **محمد حماسة عبد اللطيف:**

81- بناء الجملة العربية: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر. 2003م.

○ **محمد عبد المطلب:**

82- البلاغة العربية قراءة أخرى: الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان). ط1، 1997م.

83- البلاغة والأسلوبية: مكتبة لبنان ناشرون، والشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان). ط1، 1994م.

84- بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي): دار المعارف، القاهرة، مصر. ط2، 1995م.

○ **محمد عزام:**

85- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة (دراسة في نقد النقد): منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا. 2003م.

○ **محمد مفتاح:**

86- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط3، 1992م.

87- التلقي والتأويل- مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 1994م.

88- التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية): المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء/ بيروت. ط1، 1996م.

○ **المدخلي (ربيع بن هادي عُمير):**

89- العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع، الجزائر. ط1، 2002م.

○ **المراغي (أحمد مصطفى):**

90- علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني: المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان. ط1، 2004م.

○ **المزغدي (أبو بلال عبد القادر منير):**

91- الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي: طب بريس، الرباط، المغرب. ط1، 2002م.

○ **مسعود بودوخة:**

92- دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري: عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. 2011م.

○ **مصطفى السعدني:**

93- البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث: منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر. 1998م.

○ **منذر عياشي:**

94- مقالات في الأسلوبية: اتحاد الكتاب العرب، دمشق. ط1، 1990م.

○ **منير سلطان:**

95- بلاغة الكلمة والجملة والجمل: منشاة المعارف، الاسكندرية، مصر. ط1، 1988م.

○ **مهدي المخزومي:**

96- في النحو العربي (نقد وتوجيه): منشورات دار الرائد العربي، بيروت، لبنان. ط2، 1986م.

○ **مهدي فضل الله:**

97- مع سيد قطب في فكرة السياسي الديني: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. 1978م.

○ **موسى سامح ربابعة:**

98- قراءة النص الشعري الجاهلي: جامعة اليرموك، الأردن. 1991م.

99- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها: دار الكندي، الأردن. ط2، 2003م.

○ **الميداني (عبد الرّحمن حسن حبنّكة):**

100- البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكلٍ جديد من طريف وتليد: دار القلم، دمشق، سوريا. ط2، 1428هـ/2007م.

○ **ميشال زكريا:**

101- الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءة تمهيدية: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط2، 1985م.

○ **نازك الملائكة:**

102- قضايا الشعر المعاصر: منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق. ط3، 1967م.

○ **نصر الدين بن زروق:**

103- الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم: دار هومة، الجزائر. 2013م.

○ **وصفي عاشور أبو زيد:**

104- في ظلال سيد قطب "لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري": صوت القلم العربي، مصر. ط1، 2009م.

○ **يوسف أبو العدوس:**

105- الأسلوبية (الرؤية والتطبيق): دار المسيرة، عمان، الأردن. ط1، 2007م.

❖ **الكتب المترجمة:**

○ **أوزوالد ديكرو & جان ماري سشايفر:**

106- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: ترجمة منذر عياشي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت. ط2، 2007م.

○ **جان بياجيه:**

107- البنيوية: ترجمة عارف منيمنه، وبشير أوبري. منشورات عويدات، بيروت-باريس. ط4، 1985م.

○ **جمال الدين بن الشيخ:**

108- الشعرية العربية: ترجمة مبارك حنون، ومحمد الوالي، ومحمد أوراغ. دار توبقال للنشر، المغرب. ط1، 1996م.

○ **جون كوهين:**

109- بناء لغة الشعر: ترجمة أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر. 1990م.

○ **روبرت دي بوجراند:**

110- النص والخطاب والإجراء: ترجمة تمام حسان. عالم الكتب، القاهرة، مصر. ط1، 1998م.

○ **رومان جاكبسون:**

111- قضايا الشعرية: ترجمة محمد الولي ومبارك حنون. دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 1988م.

○ **فردينان ده سوسر:**

112- محاضرات في الألسنية العامة: ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر. 1986م.

○ **ليونارد جاكسون:**

113- بؤس البنوية (الأدب والنظرية البنوية): ترجمة ثائر ديب، دار الفرقد، دمشق، سوريا. 2008م.

❖ المراجع باللغة الأجنبية:

- **Ferdinand de Saussure**:

114- Cours de Linguistique Générale, éditions talantikit, Bejaïa. 2002.

- **Gérard Genette**:

115- Palimpsestes, la Littérature au second degré: édition du seuil, paris. 1982.

- **Jean Dubois & autres**:

116- Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, éd Larousse.1999.

- **P. Forest et G. Conio**:

117- Dictionnaire Fondamental du Français Littéraire: Maxi-livres, Brodard & Taupin CPI. France. 2004.

- **Patrick Charaudeau**, **Dominique Maingueneau**:

118- Dictionnaire d'Analyse du Discours: édition du seuil, paris, V.1, 2002.

❖ رسائل وأطروحات جامعية:

- **جبار أهليل زغير محمد الزيدي المياحي:**

119- أسلوبية اللغة عند نازك الملائكة: رسالة دكتوراه، كلية التربية (صفيّ الدين الحلي)، جامعة بابل. 2011م.

- **مسلم مالك بعير الأسدي:**

120- لغة الشّعر عند أحمد مطر: رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق. أيلول 2007م.

❖ المعاجم والقواميس:

○ **ابن منظور** (أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم/ت711هـ):

121- لسان العرب: دار صادر، بيروت، لبنان. ط7، 2011م.

○ **أحمد مطلوب**:

122- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983م.

○ **بدوي طبانة**:

123- معجم البلاغة العربية: دار المنارة، جدة، ودار الرفاعي، الرياض، السعودية. ط3، 1988م.

○ **التهانوي** (محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي/ت. بعد 1158هـ):

124- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان. ط1، 1996م.

○ **جورج مونان**:

125- معجم اللسانيات: ترجمة جمال الحضري. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت، لبنان. ط1. 2012م.

○ **الجوهري** (إسماعيل بن نصر بن حماد/ت398هـ):

126- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تح: أحمد عبد الغفور عطّار. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ط4، 1990م.

○ **عزيزة فوال بابتي:**

127- المعجم المفصل في النحو العربي: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط1، 1992م.

○ **الفيروزآبادي** (مجد الدين محمد بن يعقوب/ت817هـ):

128- القاموس المحيط: تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط8، 2005م.

○ **كاتي وايلز:**

129- معجم الأسلوبيات: ترجمة خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة. بيروت، لبنان. ط1، سبتمبر2014م.

○ **الكفوي** (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني/ت1094هـ):

130- الكليات- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية-: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ط2، 1998م.

○ **مجدي وهبه وكامل المهندس:**

131- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مكتبة لبنان، بيروت، لبنان. ط2، 1984م.

○ **مجمع اللغة العربية بالقاهرة:**

132- المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية، (د.م). ط4، 2004م.

○ **محمد عناني:**

133- المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم إنجليزي-عربي): الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، مصر. ط3، 2003م.

○ **نخبة من اللغويين:**

134- معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي-إنجليزي، إنجليزي-عربي): مكتبة لبنان، بيروت، لبنان. ط1، 1983م.

❖ المجلات والأبحاث:

○ **عباس علي المصري:**

135- (التشكيل اللغوي في شعر السجن عند أبي فراس الحمداني)، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، مجلد13، ع1، يناير 2009م.

○ **لحلوحي صالح:**

136- (الظواهر الأسلوبية في شعر نزار قباني)، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر. ع8، جانفي 2011م.

○ **محمد كنوني:**

137- (التوازي ولغة الشعر): مجلة فكر ونقد، المغرب. ع18، ابريل 1999م.

○ **محمود عياد:**

138- (الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف): مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد1، ع2، القاهرة، 1981م.

○ **محمود محمد سليمان علي الجعيدي:**

139- (الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي- دراسة نحوية دلالية)، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، عدد 32، 2003م.

❖ المواقع الإلكترونية:

140- موقع الموسوعة الحرة ويكبيديا ar.wikipedia.org/wiki/

مسرد الموضوعات

العنـــاصـــر **الصفحة**

شكر وعرفان
مقدمة ..... أ- ز
مدخل : (في المدونة وصاحبها والإجراء المنهجي) 01
أوّلا: التعريف بصاحب المدّونة 02
1 – مولده 02
2 – نشأته 03
3 – مراحل التطور الفكري 07
– المرحلة الأولى 07
– المرحلة الثانية 07
– المرحلة الثالثة 09
– المرحلة الرابعة 10
4– مؤلفاته المطبوعة 10
ثانيا: التعريف بالمدونة 13
1 – التسمية 13
2 – التطور التاريخي لتفسير "الظلال" 15
3 – طبعات "الظلال" وترجماته 18
4 – دراسات عن "الظلال" 20
ثالثا: البناء والأسلوب والعلاقة بينهما 24
1 – مصطلح البناء 24
2 – مصطلح الأسلوب 26
3 – علاقة البنية بالأسلوب 28
الفصل الأول: أسلوب التوازي 30
– تأسيس 31
– أسلوب التوازي في تفسير آيات القصص 36
أوّلا: التوازي المتطابق 37
ثانيا: التوازي المتماثل 53

ثالثا: التوازي المتقابل..... 62
رابعا: التوازي المتوقع 67
1- تكرار أنساق تعبيرية 67
2- توازي تكرار الأساليب 72
- خلاصة 79
الفصل الثاني: أسلوب التقديم والتأخير 81
- تأسيس 82
- أسلوب التقديم والتأخير في تفسير قصص القرآن 94
أولا: ما يختص بالجملة الاسمية 94
1 – تقديم الخبر على المبتدأ 94
2 – تقديم خبر "كان" وأخواتها 101
3 – تقديم خبر "إنّ" وأخواتها 106
ثانيا: ما يختص بالجملة الفعلية 111
- تقديم المفعول به 111
ثالثا: ما يختص بأشباه الجمل (الجار والمجرور) 115
1 – تقديم الجار والمجرور على الفاعل 115
2 – تقديم الجار والمجرور على المفعول 118
3 – تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل معا 122
- خلاصة 125
الفصل الثالث: أسلوب الاعتراض 126
- تأسيس 127
- أسلوب الاعتراض في تفسير آيات القصص 135
أولا: الاعتراض بين عنصري الجملة الاسمية 136
1 – الاعتراض بين المبتدأ والخبر 136
أ – الاعتراض بالقوالب الجاهزة 136
ب – الاعتراض بشبه الجملة 141
ج – الاعتراض بشبه الجملة الظرفية 142
د – الاعتراض بالجملة الحالية 143

هـ – الاعتراض بالجملة التفسيرية 144
و – الاعتراض بالبدل 146
2 – الاعتراض بين ما أصله مبتدأ وخبر 148
أ – الاعتراض بين اسم "إنّ" وخبرها 148
ب – الاعتراض بين اسم "كان" وخبرها 150
ثانيا: الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية 154
أ – الاعتراض بين الفعل والفاعل 154
ب – الاعتراض بين الفعل ومفعوله 155
ج – الاعتراض بين الفاعل والمفعول 157
د – الاعتراض بين المفعولين 159
هـ – الاعتراض بين الفعل وشبه الجملة المتعلقة به 160
و – الاعتراض بين الشرط وجوابه 161
ز – الاعتراض بين الحال وصاحبها 163
ح – الاعتراض بين البدل والمبدل منه 165
ط – الاعتراض بين المستثنى والمستثنى منه 166
ي – الاعتراض بين المنعوت والنعت 167
ك – الاعتراض بين المتعاطفين 168
– خلاصة 170
الفصل الرابع: أسلوب الحذف 172
– تأسيس 173
– أسلوب الحذف في تفسير آيات القصص 183
أ – حذف المبتدأ 183
ب – حذف الفعل 189
ج – حذف المفعول به 192
د – حذف الاسم الموصول 194
و – حذف الموصوف 195
ز – حذف المضاف 196
ح – حذف جملة 197

ط – حذف المتعلق 200
ي – حذف الناسخ 202
ك – حذف الجار 204
ل – حذف الجار والمجرور 205
– خلاصة 208
خـاتـمة 209
مسرد المصادر والمراجع 213
مسرد الموضوعات 232
ملخص الدراسة 237

﴿ والحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾

(**الصافات/ 182**)

ملخّص البحث

هذه الأطروحة بعنوان « **بناء الأسلوب في تفسير سيّد قطب (في ظلال القرآن) –آيات القصص أنموذجا –** » مقدّمة من الطالب/ **عبد الرحمن جودي**، وبإشراف الأستاذ الدكتور/ **بلقاسم بلعرج** لغرض الحصول على درجة دكتوراه العلوم علوم اللسان العربي، وتحتوي على تمهيد، وأربعة فصول تهدف جميعا إلى الوقوف على بناء أسلوب سيد قطب في تفسيره لآيات القصص القرآني من خلال كتابه: "في ظلال القرآن"، وذيّلت هذه الأطروحة بخاتمة ضمّت حاصل النتائج العلمية المتوصل إليها، وقد أُعتمد في ذلك المنهج الأسلوبي في دراسة موضوعات الأطروحة وفصولها، بدءًا من المدخل الذي خصّ بالتعريف بالمدونة وصاحبها، والإجراء المنهجي المتّبع؛ ثمّ الفصل الأول في دراسة بناء التوازي ببيان مفهومه والخلوص إلى معرفة أنواع التوازي التي شكّلت أسلوب سيد قطب، ثمّ الفصل الثاني في دراسة التقديم والتأخير بعرض موقف النّحاة والبلاغيين منه، وتمظهراته في تفسير آيات القصص؛ ثم الفصل الثالث في دراسة الاعتراض بتحديد أنواعه وشروطه عند النّحاة والبلاغيين، وتطبيق ذلك على المدونة بعدّه أسلوبا من أساليب سيد قطب، أمّا الفصل الرابع فكان في دراسة الحذف، بالتطرق لمواقعه وشروطه في العربية ورصد ذلك في المدونة.

وقد خلصت الدراسة إلى أنّ هذه الأبنية التيّ رُصدت تدلّ بصدق على أسلوب الكاتب الذي أفاد من الشّعر إيقاعه، وأفاد من القرآن الكريم حسن نظمه وتصرّفه بالألفاظ والتراكيب، وأفاد من النّقد تقنية العرض وعمق التحليل والتناسق الفكري.

Research Summary

This thesis entitled « stylistic structure in the interpretation of Sayyid Qutb (Fi Zilal al-Quran)[1] - Interpretation of mandates stories model -» presented by the student Djoudi Abderrahmane, and under the supervision of Prof. Belaredj Belkacem for the purpose of obtaining the degree of Doctorate of Science in the Arabic Sciences language, it contains rebooted, and four chapters all aim to stand on stylistic structure of Sayyid Qutb in his interpretation of the verses of the Qur'an stories through his book: "Fi Zilal al-Quran", and appended this thesis to a conclusion, it included holds scientific results reached, and it has been adopted the Stylistic approach in the study of topics and chapters of thesis, starting from entrance which singled out the definition of the Code and its owner, and the procedure of systematic followed ; then the first chapter in the study of building parallel statement concept and clearance to know the types of parallelism that formed Sayyid Qutb style, then the second chapter in the study of surrender and the delays introduced grammarians position and the rhetorical position , and his guises in the interpretation of the verses of the stories; then the third chapter in the study of objection identifying its types and conditions with grammarians and the rhetorical, and apply that on code after a method of Sayyid Qutb methods, while the four chapter was in the study of deletion addressing its positions and its conditions in the Arabic and monitoring in the code.

The study concluded that these buildings which demonstrated shows the sincerity of the author's style who benefited from poetry rhythm, and benefited from the Holy Qur'an the good system and his actions with words and structures, and benefited from critique display technique and depth of analysis and intellectual consistency.

[1] *In the Shade of the Qur'an*